حالات نادرة

(4)

قصص غريبة تدور أحداثها حول
فتيات كويتيات



م. عبدالوهاب السيد الرفاعي



الطبعة الثامنة

م. عبدالوهاب السيد الرفاعي

حالات نادرة (4)

العنوان

حالات نادرة (4)

تأليف

م. عبدالوهاب السيد الرفاعي

الطبعة

الثامنة 2020

دار عصير الكتب - مصر

ردمك:

978-99966-47-99-4

رقم الإيداع: 2015/776

تصميم وإخراج

نوفا بلس للنشر والتوزيع



نوفا بلس للنشر والتوزيع

NOVA PLUS FOR PUBLISHING AND DISTRIBUTING

www.novapluskw.com

مكتبة | 770
سُر مَن قرأ

حالات نادرة(4)

قصص غريبة تدور أحداثها حول فتيات كويتيات

م. عبدالوهاب السيد الرفاعي



قبل بدء الليلة الموعودة

نحن في بدايات شهر (ديسمبر).. وفي مساء يوم (الخميس).. لا يوجد أجمل من ذلك الشعور بعد آخر يوم عمل وفي بداية إجازة طويلة ستمتد إلى شهر قادم.. فلا مسؤوليات ولا التزامات من أي نوع.. يبدو أنني أصر على أن تكون حياتي مختلفة عن الناس كوني أقدم دوما على إجازاتي في فترة الشتاء هروبا من زحمة الشوارع والمدارس والمؤسسات الحكومية.. لأكون نائما في شقتي بأمان وهدوء تاركا ضجيج العالم بعيدا عني.

لكني لست في فراشي الآن بالطبع.. فالساعة لا تتجاوز السابعة والنصف مساء.. لقد حلقت ذقني واستحممت للتو شاعرا بتلك اللذة حين يلمس جسدك الماء الحار ويشعرك بالدفء الذي تحتاجه.. أرتدي ثيابا مريحة للغاية.. وفوقها المعطف الثقيل مع تلك اللفة حول رقبتي.. لأخرج أخيرا من شقتي.. إلى أين؟!!.. ستعرفون بعد قليل.. لا يمكن أن أقود السيارة قبل تشغيل أغنية تزيد سيارتي دفئا وتنساب موسيقاها إلى شراييني.. تطوف أصابعي سريعا على الأغاني الموجودة في ذاكرة هاتفي.. آه.. أغنية (لو حكينا يا حبيبي)

للعندليب (عبدالحليم حافظ).. لم أستمع إليها منذ مدة.. حقا أن أغنيتك المفضلة تخبر الكثير عنك.. والأغنية المفضلة بالنسبة لي تلك التي لم أستمع إليها منذ زمن بعيد ونسيتها تماما.. لأتذكرها فجأة وتنساب ذكرياتها الجميلة إلى قلبي.

أقود سيارتي حيث وجهتي إلى منطقة (المنصورية).. البرد قارس بالفعل ويخلق شعورا محببا بالكآبة.. المعذرة.. نسيت أن أعرفكم بنفسي.. نعم.. أنا الطبيب النفسي ذاته.. أنا الذي سردت لكم سابقا أغرب القصص والحالات التي مرت علي في مستشفى الطب النفسي في 3 أجزاء حملت اسم (حالات نادرة).. صحيح أن أحداث الأجزاء غير مرتبطة ببعضها إطلاقا كوني أتحدث عن قصص منفصلة في كل مرة.. لكن هناك شيء واحد يجمعها.. وهو شخصي المتواضع بطبيعة الحال.. خاصة أن لي دورا ما في كل قصة تقريبا.

من الغريب فعلا أن نصل إلى الجزء الرابع من مذكراتي.. فقد كنت أظن دوما أن الناس ستقذف بالجزء الأول من أقرب نافذة.. لكني فوجئت بالنجاح الكبير والكم الهائل من القراء الذين قرؤوا الجزء الأول ثم الثاني فالثالث.. وطالبوني بعدها بالمزيد.. آملا ألا يكون هذا المزيد ثقيلا عليكم.

والواقع أنه لم يتغير شيء في حياتي على الإطلاق منذ آخر مرة سردت لكم فيها مذكراتي.. فما زلت ذلك الطبيب الشاب النحيل الذي يرتدي نظارات دقيقة محاولة لإظهار بعض الوقار وإضفاء المزيد من السنوات لعمري الذي لا يتجاوز الـ 38 عاما كونه سن صغيرة نسبيا قياسا للأطباء الذين اعتدنا أن نراهم يرتدون نظارات سميكة وقد زحف الإرهاق على ملامحهم وغزا الشيب شعرهم.. وبالطبع لم أخبر أحد باسمي حتى الآن كما تعلمون.. فقدت اعتدت سماع لقب (دكتور) من الجميع.. حتى من أقاربي أنفسهم.

تسألونني إن كنت قد تزوجت؟!.. ما زلت أعزبا حتى هذه اللحظة.. والأسباب كثيرة.. أشعر أن قلبي ملكٌ للأنثى.. فلا أستطيع الارتباط بواحدة فقط.. وفي نفس الوقت.. لا أستطيع الضحك على عقول البريئات.. لذا تجدوني دوما أنظر إليهن بتقديس ورهبة دون أن أسمح لإحداهن أن تمتلك قلبي.. لأنني عاشق بدون حبيبة!!.. ولأنني وحيد وأنتمي إلى نفسي بشدة.

وما زلت أعيش وحيدا أيضا في شقة صغيرة أنيقة هي عالمي كله في منطقة (الشامية).. وربما تتذكرون اعتراض أشقائي ووالدتي حين قررت الخروج من بيت العائلة والإقامة في

شقة كون الأمر يبدو غريبا وليس معتادا في مجتمعنا.. مما سينشر حولي الأقاويل بأنني شاب منحرف اخترت حياة اللهو والعبث.. وهو ما يظنه معظم الناس مع الأسف في مجتمعنا الخليجي الحبيب.

هذه حياتي باختصار شديد.. ممارسة عملي في مستشفى الطب النفسي.. الجلوس وحيدا في شقتي مستمتعا بذلك أيما استمتاع.. وأحاول دوما أن أطور من قدراتي من خلال القراءة ومشاهدة الأفلام الوثائقية كوني أدرك جيدا أن الميت هو الذي يتوقف عن البحث والاطلاع.. لذا فهناك الكثير من الموتى الأحياء في مجتمعنا مع الأسف.. ماذا؟!.. تسألون عن ميولي السياسية؟!.. سؤال متوقع كون الجميع في (الكويت) أصبحوا يتحدثون في السياسة مؤخرا.. أستطيع أن أقول إنني أنتظر اليوم الذي ترتفع فيه أدخنة المصانع ونزرع فيه صحراء (الكويت) ويرتقي مستوى الأدب والثقافة والفن.. عندها فقط سأنحاز إلى الجهة التي ستساهم في ذلك.. كما أنني.... مهلا.. هاتفي النقال يرن.. إنها هي.. الفتاة ذاتها التي دعتني إلى شقتها.. لا.. أرجوكم لا تذهبوا بظنونكم إلى العبث والليالي الحمراء.. الأمر يختلف عما تظنوه.. أجيب على الاتصال وأخبر الفتاة

أنني في طريقي إليها وسأصل خلال دقائق.. فتشكرني على التزامي بالموعد وتؤكد أنها بانتظاري.. كم أعشق الأنثى.. أراها دائما تمتلك الذكاء العاطفي وقدرة رائعة على قراءة مشاعر وملامح وانفعالات الشخص الجالس أمامها.. هذه موهبة لا يمتلكها الرجل.

عيونكم ما تزال تنظر إلي بترقب منتظرين توضيحا عن هوية هذه الفتاة!!!.. في الواقع أنني لا أعرفها ولم أرها من قبل!!!.. كل ما أعرفه أن اسمها (مشاعل).. لقد حصلَت على رقم هاتفي بطريقة ما -وهو أمر سهل في هذا الزمن كما تعلمون- واتصلت بي منذ حوالي أسبوع لتطلب مني زيارتها في شقتها حيث ستكون مع فتاتين أخرتين.. تقول إن كل منهن قد مرت بتجربة غريبة للغاية تندرج تحت بند (حالات نادرة).. ويرغبن جميعهن أن يسردن لي تلك التجارب علها تملأ الجزء الرابع من مذكراتي.. وهي في واقع الأمر ليست مشاكل تحتاج إلى حلول.. بل ستكون جلسة فضفضة على حد قولهن.. و(جراحة نفسية) على حد قولي!!!.

لماذا قبلت بتلك الزيارة؟!.. في الواقع أنني رفضت في

البداية.. وطلبت من (مشاعل) أن تزورني في المستشفى مع الفتاتين الأخرتين.. لكنها ظلت ترجوني طوال يومين وتتوسل إلي أن أقبل دعوتها.. وأنني لن أندم أبدا على زيارتها التي سأستمع فيها إلى قصص ستثير اهتمامي على حد قولها.. و.. ضعفت في النهاية أمام هذه التوسلات.. ووافقت وسط عبارات الشكر التي انهالت على مسامعي.. ولا أنكر أيضا أن وجودي بين 3 فتيات في مقتبل العمر أمر سيشعرني بالبهجة.. طبعا.. من يرفض الجلوس مع الجنس اللطيف والاستماع إلى مشاكله؟!.. إنني أفعل ذلك في المستشفى باستمرار.. لكن هذه المرة الأولى التي سأستمع فيها إلى تلك القصص خارج أجواء المستشفى.. يبدو أنني لم أعد طبيبا نفسيا فقط.. بل أصبحت استشاريا نفسيا أيضا*.. لماذا محور القصص متعلق دوما بالجنس الناعم؟!!.. لقد ذكرت السبب في أجزاء سابقة.. فمجتمعنا يدلل الرجل ويسمح له بالعبث وفعل كل ما يحلو له.. في حين لا يرحم أبدا أخطاء الأنثى ويحاسبها عليها بقسوة شديدة.. وهذا

---

* (الطب النفسي) و(علم النفس) تخصصان يختلفان عن بعضهما وليسا شيئا واحدا كما يظن البعض.. فالطب النفسي أحد أفرع الطب.. والعلاج الأساسي فيه يكون من خلال الأدوية والعقاقير الطبية للسيطرة على الأعراض النفسية.. أما (علم النفس) فلا علاقة له بكلية الطب.. بل يعتمد في تشخيصه على تتبع مراحل العمر المختلفة للمريض لمعرفة الأسباب الأساسية للمرض.. ثم عمل خطة علاجية على هذا الأساس من خلال الجلسات المستمرة دون تدخل للأدوية.

ما جعلهن يمثلن النسبة الأكبر من (زبائني) بسبب كل هذه الضغوط الاجتماعية التي يتعرضن لها من العائلة أو الزوج أو حتى من الحبيب!!.. تدور تلك الخواطر في عقلي قبل أن أصل أخيرا إلى وجهتي وإلى عنوان تلـك الشقة في منطقة (المنصورية) الجميلة وصـوت (عبدالحليم حافظ) لا يزال يشدو بألم.

تقف سيارتي أمام ذلك البيت الحديث ببنائه وتصميمه.. أترجل من السيارة وأصعد إلى الدور الثالث.. إنه من تلك البيوت التي قام أصحابها بتحويلها إلى مجموعة من الشقق ومن ثم تأجيرها على الناس.. أقف أمام الباب للحظات.. أتأكد من هندامي وآخذ نفسا عميقا.. ثم أضرب الجرس.. لحظات قليلة.. لتفتح لي فتاة بيضاء البشرة طويلة الشعر نسبيا.. نحيلة الجسم ترتدي ثيابا رياضية.. وتضع ماكياجا خفيفا ويلتف حول رقبتها عقدا دقيقا زادها جمالا إلى درجة تجعلني أشعر بالحنين لحب لم أعثر عليه بعد!!!.. لتبتسم بعفوية وتعرفني بنفسها أنها (مشاعل) صاحبة الدعوة وهي ترحب بي وتسمح لي بالدخول حيث الدفء الجميل في الداخل.. فابتسمت بدوري ودخلت.. لأجد فتاتين أخرتين.. إحداهما ترتدي النقاب.. أما الأخرى

فوجهها مألوفا للغاية حتى إنني فوجئت كثيرا بوجودها في هذا اللقاء!!!.. إنها فتاة قصيرة الشعر والقامة.. نحيلة الجسد أيضا.. ألقيت عليها تحية خاصة وصافحتها بحرارة كوني أعرفها جيدا.. فقد كانت نزيلة في المستشفى فترة طويلة.. كما ألقيت تحية مهذبة على الفتاة المنقبة التي ابتسمت مرحبة كما هو واضح من عينيها اللتين ضاقتا فجأة كما يحدث لنا جميعا عندما نبتسم.

كان الترحيب هادئا رقيقا يناسب تماما أجواء الشقة المرتبة الأنيقة بأثاثها وإضاءتها الخافتة والشموع التي ملأت جوانبها.. حتى بدت وكأنها غرفة مساج في أحد المعاهد الصحية الراقية.. وهذا ما ساعدنا على الاسترخاء أكثر ليسود المكان صمت محبب.. خاصة مع أكواب الشاي الجميلة التي تنتظرنا وصينية المعجنات التي تحمل علامة شركة شهيرة.. قبل أن تقطع (مشاعل) حاجز الصمت لتقول بابتسامة عريضة:

- أخيرا التقيت بك يا دكتور.. لقد قرأت مذكراتك جيدا أكثر من مرة.. وشعرت أنك الشخص المناسب لنروي لك تجاربنا المذهلة التي عشناها.. بالمناسبة.. جميعنا نلتقي ببعضنا أول مرة.. لذلك لا داعي للخجل.

قالت الفتاة قصيرة الشعر بهدوء:

- أما أنا فمألوفة بالنسبة لك يا دكتور.. لقد كنت نزيلة في المستشفى فترة طويلة.. وأنت تعرف قصتي كاملة.. لكن هذا لا يمنع من سردها بكل تفاصيلها في هذه الأمسية الجميلة.. خاصة أن هناك جوانبا ما زلت تجهلها!!.

قلت بصدق يشوبه بعض الخجل:

- بكل تأكيد أتذكرك جيدا.. ويسعدني أن أراك مرة أخرى وبحالة نفسية أفضل كما تبدين لي.

تقول (مشاعل) مبتسمة وهي تصب لي الشاي محدثة قرقرة محببة للنفس:

- ستكـون أمسيـة طويلـة يا دكتور.. فكل واحدة منا لديها قصة ترويها.. إن عموم البشر في النهاية يحتاجون للقبول الاجتماعي وأن يثير كلامهم انبهار الآخرين.. لهذا ربما تجد البعض ثرثارا لا يتوقف عن الكلام.. آمل ألا ترانا كذلك.

ابتسمت أمام هذا التعقيب لأقول:

- إطلاقا.. أظن أنني سأستمتع كثيرا بهذه الأمسية.. فأنا أعشق دوما القصص متعددة الرواة.. أعتقد أنه يطلق

عليها اسم (ديكاميرون)*.. لكن أخبريني.. كيف التقيتن ببعضكن؟!.

ردت (مشاعل) وهي تضحك:

- لدي حساب في أحد مواقع التواصل الاجتماعي حيث نشرت فيه إعلانا منذ أكثر من شهر عن أمسية سأقيمها في شقتي لكل فتاة مرت بقصة غريبة تستحق السرد أمام طبيب نفسي سيكون متواجدا معنا!!.. مع كل الوعود بسرية اللقاء وبالأمان وبأن الأمر ليس عبثا.. لا أنكر أن هناك العديد من الرسائل العابثة التي وصلتني.. لكني في النهاية اقتنعت برسالتين فقط.. وهما من الفتاتين اللتين تراهما معنا الآن.. الأمر بسيط للغاية كما ترى.. وأرجوك لا تسألني لماذا أقدمت على هذا التصرف.. فأنا نفسي لا أعرف السبب.. ربما هو الملل فحسب.. وربما هي الرغبة بالتنفيس وبصق ذلك السر الذي أعيشه من ذاكرتي إن صح التعبير.

---

* يشار دوما إلى القصص متعددة الرواة بكلمة (ديكاميرون) بالفعل.. وهي اسم رواية قديمة لكاتب إيطالي اسمه (جيوفاني بوكاتشيو) عاش بين عامي ١٣١٣ - ١٣٧٥.. إذ تحدث في روايته تلك عن واقعة مرض الطاعون الذي ضرب مدينة (فلورنسا) عام ١٣٤٨.. فقد خرج من المدينة الموبوءة ١٠ فتيان من الجنسين واتجهوا إلى الريف هربا من الإصابة بهذا الوباء.. فبقوا هناك عدة أيام بانتظار زوال موجة الطاعون التي أصابت مدينتهم.. ولكي يقتلوا الملل ووقت الفراغ.. كان على كل واحد منهم أن يروي قصة واحدة في اليوم.. ومن هنا جاء اسم الرواية والذي يعني (١٠ أيام).

سألتها مبتسما:

- وكيف عرفت أنني سألبي الدعوة؟!.

مطت شفتيها لتقول ببساطة:

- لا أدري.. لم أظن أنك سترفض.. خاصة مع توسلاتي التي استمرت طوال يومين.. ولو رفضت عموما كنت سأعتذر للفتاتين وأنهي كل شيء.

تحدثت الفتاة المنقبة أول مرة قائلة:

- لقد حضرت لأنني أرغب بالفضفضة بالفعل.. فهناك سر هائل يثقل كاهلي أشعر أنني سأنفجر لو لم أبح به لأحد.. لكن رغم كل شيء.. ارتديت النقاب حفاظا على سرية شخصيتي.. أعتقد عندما تسمعون قصتي كاملة ستفهمون السبب.

سكتنا قليلا.. لتقول (مشاعل) فجأة:

- تفضلوا.. كلوا ما تشاؤون من المعجنات الموجود أمامكم.. ولنبدأ الآن.. ستكون أمامنا ليلة مسلية وشائكة بنفس الوقت.. سأبدأ بسرد قصتي أولا كوني صاحبة الدعوة.. سيساهم ذلك بكسر حاجز الخجل وتشجيعكما على سرد قصتيكما فيما بعد.

ابتسمنا جميعا متفهمين.. واضح أن كل منهن قد تعرضت لجروح.. ونحن نعلم أن للجروح ندوبا.. وللندوب قصصا تثير الاهتمام!!!.. لذا سأترككم الآن لأستمع إلى 3 قصص من هؤلاء الفتيات.. ستكون أمسية جميلة إلى درجة الحزن المحبب.. خاصة مع أضواء الشموع المتراقصة والأجواء الغامضة التي تشعرك أنك ترتاد أدغال النفس المظلمة.

ستكون قصصا تكتب بين النجوم ولا مكان لها على الأرض.. فهي تتحدث عن الأشياء التي لا يقولها الناس ويخفونها عنا.. حتى لتشعر أن العالم الذي يعيشه الآخرون مزيف.. بينما عالمنا في هذه الشقة الحميمة هو الحقيقي.

وبعد ختام هذه الأمسية.. أعدكم أنني سأذكر تعليقا على كل قصة وأبدي رأيي بتفاصيلها.. آملا أن تكون آرائي ذات فائدة.. والآن أرجوكم الصمت.. ولتستعدوا لأكثر ساعات حياتكم إثارة مع هذا الكتاب.. حيث سندخل عالما غريبا من المشاكل والشخصيات التي ملأت قصصها حياتي بالكوابيس.. قصص من الحالات النادرة.. بجزئها الرابع.

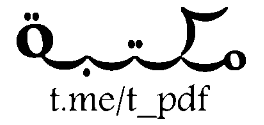
النوع الثالث!!

تحكيها: مشاعل

العمر: 23 عاما

صفات مميزة: نحيلة.. متوسطة القامة.. بيضاء البشرة..

طويلة الشعر وعلى قدر كبير من الجمال



احم.. احم.. إنني سعيدة جدا بوجودي بينكم.. ويبدو أن هذه الأمسية الساحرة ستظل محفورة في ذاكرتي إلى الأبد.. فأجواؤها تبشر بذلك.. لذا آمل أن تكون بحجم ترقبنا.. وأن تكون القصص كلها مثيرة تحبس الأنفاس.. خاصة بوجودك معنا يا دكتور.. لن تصدق إلى أي درجة أنا سعيدة بلقائك بعد أن سمعت وقرأت عنك الكثير.. بل أنا واثقة بأن معظم الفتيات قد قرأن مذكراتك وانبهرن بأحداثها كونك تفهم نفسية الأنثى بطريقة لا تصدق!!.. كما أنني أدرك جيدا أن كل فتاة جلست أمامك قد بدأت كلامها على الأرجح بتلك العبارة الشهيرة: ((قصتي غريبة ومختلفة عن كل ما قد يخطر على البال)).. لكني أؤكد لك أن قصتي ستكون مختلفة بالفعل حتى لو ترددت تلك العبارة على مسامعك كثيرا.. وأعدك أنك ستصدم بتفاصيلها رغم أنها تتعلق بصلب تخصصك كطبيب عام قبل أن تتخصص في الطب النفسي.. فقصتي تحوي الكثير من الشبهات العلمية والأخلاقية وربما الدينية!!!.. أعلم أن كلامي هذا قد يصدمكم جميعا.. لكنه الواقع.. إنها من القصص التي لا يعرف المرء موقعه فيها حتى وإن عاصر أحداثها لحظة بلحظة!!!.

بدأت قصتي منذ حوالي سنتين.. وبنقطة خلاف كانت مادة دسمة للنقاش الحاد والطويـل على مائـدة الغداء مع والدتي وشقيقاتي.. إذ كنت أتمنى أن يكون زوجي كبيرا في السن!!!.. أكبر مني بسنوات طويلة.. ربما بسبب خوفي المستمر من شباب هذا الوقت الذين لا يملكون خبرة كبيرة في الزواج ولا حتى القدرة على تحمل المسؤوليـة.. وقد يعـود السبب أيضا إلى تعلقي الشديد بأبي -رحمه الله- والـذي كان رجلا بمعنى الكلمة.. يتحمل مسؤولية البيت كاملة قبـل أن يتوفاه اللـه ويتركنـي مع أمي وشقيقاتـي الثلاثـة.. إذ لم يرزقه اللـه بأولاد.. لكنـه كان سعيـدا بوجودنـا.. فخورا جدا بنا.. وكانت والدتي تشعر بأمان لا حد له معـه.

أعترف دون غرور بأن هناك عددا كبيرا من العرسان الذين تقدموا لي.. لأن صديقاتـي وقريباتـي يقمـن بترشيحـي للزواج باستمرار بسبب جمالي الأخاذ على حد قولهن.. لكن الرفض كان جوابي دوما وسط اعتراضات الجميع.. خصوصا أمي أطال الله في عمرها التي ظلـت تردد تلك المقولـة التـي رددتها كل أم على وجه الأرض: ((أريد أن أرى أبنـاءك قبل موتي)).. فكنت أدخل في جدل يومي

معها ومع شقيقاتي حول هذا الأمر.

إلى أن ظهر ذلك الرجل في حياتي بصورة مفاجئة!!!.. رجل في أوائل الأربعينيات من العمر.. نحيل الجسد.. غزا الشيب شعره واختلط بالشعر الأسود.. يحمل قدرا من الوسامة مع نظاراته الطبية الرفيعة.. لقد قابلته في مقر عملي الحكومي أثناء إنجاز معاملته.. وكان يحدق بي دون توقف وأنا أتحقق من أوراقه.. ثم.. رفعت رأسي إليه مستفهمة عن سبب تحديقه.. ليقول فجأة:

- المعذرة.. هل تسمحين لي بالنظر إلى ملامحك فترة أطول؟!.. أريد أن أتذكرك في أحلامي!!!.

لا أنكر أنني تعرضت إلى معاكسات عديدة في السابق.. لكن أحد لم يقل لي كلاما كهذا يشبع غريزتي الأنثوية.. خاصة من رجل كبير في السن ويحمل كل علامات الوقار.. حتى إنني لم أمنع نفسي من الابتسام رغما عني بسبب كلماته الساحرة.. وكونها تأتي من طبيب حسب ما تشير هويته الرسمية.. الأمر الذي ضاعف سعادتي.. فدائما كلمة (طبيب) أو (دكتور) تثير في أعماق الإنسان الكثير من المشاعر الإيجابية.. وأن الذي يحمل هذا اللقب دون شك رجل مثقف جدا.. قوي الشخصية.. ولا أفهم سبب

ربطي الدائم بين مهنة الطب بقوة الشخصية.. لكن هذا كان شعوري حينها.

المهم أن لقائي الأول به انتهى بعد أن أنجزت معاملته ظنا مني أنني لن أراه مرة أخرى وأن معاكسته تلك كانت عابرة.. لكني فوجئت به يزورني بعدها بأيام قليلة ويتبادل معي أطراف الحديث مدة أطول حول أمور عامة لا علاقة لها بالعمل.. بل ولم يتركني هذه المرة إلا حين لاحظ أنني شعرت بالحرج من جلوسنا الطويل أمام زملائي الموظفين الذين انشغلوا جميعهم بمراجعين آخرين.. فأعطاني البطاقة الخاصة به والتي تحوي جميع بياناته.. منها رقم هاتفه بالطبع.. ورجاني أن أتصل به للضرورة القصوى وأن الأمر جدي للغاية على حد قوله.. أي أمر؟!.. لم أكن بحاجة إلى ذكاء لأفهم أنه معجب بي.. وربما.. ربما بادلته نفس الإعجاب!!.. إذ شعرت أنه يمثل نموذجا لفارس الأحلام الذي طالما تمنيته.. لذا ألقيت نظرة سريعة على بطاقته وأومأت برأسي بشيء من الخجل كناية عن الرضا.. وقد كان ما فعلته رسالة صريحة مني لهذا الرجل بأنني لست مرتبطة.

في البداية سارت الأمور على خير ما يرام حين اتصلت به في نفس الليلة وتحدثنا طويلا.. لأعرف عنه كل شيء تقريبا..

عرفت أنه عاش تجربة زواج فاشلة انتهت بانفصاله وعدم إنجابه.. ثم انتقل إلى (بريطانيا) لاستكمال دراسته.. ليعود بعدها ويعيش في بيت والده الذي تكدس بأشقائه المتزوجين وعائلاتهم.. وعرفت أنه ليس قريبا من أشقائه وإن كانوا جميعا في بيت واحد.. إذ لا يشعر بالانتماء لهم بسبب الفارق الثقافي بينه وبينهم.. كما أنه في وضع مادي مستقر بطبيعة الحال كونه طبيبا وغير متزوج.. و.. لن أطيل عليكم بمحادثاتنا الهاتفية التي استمرت أياما متتالية شعرت فيها بانجذاب كبير نحوه بسبب قوة شخصيته ورقة مشاعره بنفس الوقت.. وهذا ما شجعني على لقائه أكثر من مرة في إحدى المقاهي.. إلى أن جننت!!.. أعني أحببت!!.. المعذرة.. فأنا أربط الحب دوما بالجنون.. لأنك ستفقد عقلك متى ما فقدت قلبك وأصبح ملكا لحبيبك!!.. المهم أنني أحببته بعد أن تأكدت أنه الرجل الذي طالما تمنيت أن يكون زوجا لي.. لقد أسر جمالي عينيه.. وأسر جمال شخصيته قلبي!!!.

أتذكر الاعتراض المتخاذل من أمي واستنكار شقيقاتي.. لا لشيء سوى لأنه يفوقني عمرا بسنوات طويلة.. مع تذكيري

المستمر بأنه سيكون في الستين من العمر حين أصل إلى سن الأربعين وهو سن صغير سيجعلني بمثابة الممرضة لزوجي حين يتقدم به العمر على حد قولهن.. وهو كلام فيه شيء من الصحة بالطبع.. لكن من قال إن التقارب في السن يجعل الزواج ناجحا؟!.. هناك علاقات كثيرة انتهت بفشل ذريع رغم فارق السن البسيط بين الزوجين.. جميعنا ندرك جيدا أن هذا ليس بمقياس.. لذا.. بعد محاولات لإقناعي بالعدول عن قراري.. ومع محاولاتي المستمرة لإقناع الجميع.. وبعد أن التقت والدتي وشقيقاتي بزوج المستقبل وشقيقته حين قاما بزيارتنا ذات يوم ليتقدم لخطبتي رسميا.. ضعفت حجتهن شيئا فشيئا.. وحصلْت أخيرا على موافقة وتبريكات الجميع.

تم بعدها حفل زفافنا في أحد الفنادق الشهيرة وبحضور عائلي بهيج كما يقال دوما.. وإنني -بالمناسبة- أقولها صراحة إن الكثير من الفتيات لا تعرفن عن الزواج سوى حفل الزفاف.. ثم تتفاجئن بالكم الهائل من المسؤوليات.. أما أنا فكنت أدرك أن اختياري ناجح.. خاصة بعد أن التقيت بأفراد عائلته وشعرت بالألفة نحوهم وببساطتهم.. واضعة في الاعتبار محاولة تقريب زوجي من أشقائه في المستقبل

بعد زواجنا واستقرارنا.

المهم أننا انتقلنا إلى عش الزوجية الذي بدا لي وكأنه بداية حياة جديدة سعيدة.. وعش الزوجية هذه الشقة التي أستضيفكم فيها الآن والتي قام زوجي بتأجيرها وتأثيثها بالكامل.. فكل ما كان علي اختيار الشقة.. ثم الذهاب لاختيار الأثاث الذي يعجبني.. ليقوم هو بكل الإجراءات المتبقية.. ألم أقل لكم إنه رجل يتحمل المسؤولية كاملة؟!!.

كانت أيام زواجنا الأولى رائعة بحق.. فقد تبين لي أن زوجي ليس مختلفا على الإطلاق عما كان عليه أثناء تعارفنا.. ولم يكن يتصنع أي شيء كما يفعل الكثير من الأزواج الذين تُصدم بهم زوجاتهم فيما بعد.. وهذا ما أتوقعه من رجل ناضج يكبرني سنا بهذا الفارق.. إذ لم يكن يحب الخروج كثيرا كما أخبرني عن نفسه.. فلا يخرج تقريبا سوى للذهاب إلى نوباته الصباحية والمسائية في المستشفى كحال أي طبيب.. وحين يعود يقضي وقته بالكامل معي.. أو نخرج معا لتناول العشاء في أحد المطاعم.. أو الذهاب إلى السينما.. أي ما يفعله كل زوجين تقريبا في (الكويت).. وكان أيضا يقضي ساعات ليست بالقليلة في غرفة المكتب ويطلب مني بكل لطف أن أتركه وحده.. فكنت أحترم رغبته هذه كونه لا

يقصر أبدا في تحمل مسؤولياته تجاهي.

حياة جميلة للغاية كما ترون.. وما جعلها أكثر متعة تأجيل رغبتي في الإنجاب.. إذ أردت الانتظار قليلا والاستقرار أكثر في حياتي.. ولا أنسى أن أذكر أنه لم تكن لدينا خادمة كما هو الحال مع معظم المتزوجين حديثا.. لذا رحنا نستعين بطبخ والدتي حيث يقوم سائقها بإيصاله لنا يوميا كوني موظفة ولا أستطيع أن أقوم بأعمال التنظيف والطبخ والعمل بنفس الوقت.. كما كنا نستعين بخادمة والدتي أيضا لتنظيف الشقة مرتين أسبوعيا على أن تصل خادمتنا الجديدة قريبا.. وهذه البداية الطبيعية لكل زواج كما نعرف جميعا.

متى أخذت القصة المنحى الآخر الذي تأخذه جميع القصص التي ملأت مذكراتك يا دكتور؟!.. بالطبع.. فأنا لم أجلس معكم لأخبركم كم حياتي رائعة.. بل تذكّروا أنني قلت إن قصتي بالغة الغرابة وستصدمكم جميعا!!!.. حسنا.. لقد حدث التغيير المخيف بعد أكثر من عام على زواجنا.. حين كنا نشاهد مسرحية محلية على إحدى القنوات في وقت متأخر نسبيا من عطلة نهاية الأسبوع.. أتذكر أن زوجي بدا مترددا وعقله منشغلا بشيء آخر رغم

التعليقات المضحكة التي كانت تخرج على لسان الفنان القدير (عبدالحسين عبدالرضا).. فانتبهت إلى ذلك كوني لم أره بهذه الصورة من قبل.. حاولت أن أعرف منه ما يشغل باله.. لكنه ظل قلقا لا يعرف كيف يخبرني بما لديه.. فنهضت من مكاني واتجهت ناحيته لأحتضنه بحنان وأنا أطلب منه أن يثق بي وأن يتحدث دون تردد.. و:

- هناك أمر يشغل ذهني مؤخرا يا عزيزتي.. ولا أعرف إن كان من الصواب أن أخبرك به.

قالها وبدأ يلقي مقدمة طويلة عن حبه لي وأنني حبيبته وكاتمة أسراره و.. كأنه يحاول استمالتي إلى نقطة ما!!.. لذا طلبت منه مبتسمة أن يخبرني بما لديه ولن أغضب أبدا إن كان يظن أنه قد فعل شيئا أغضبني.. لكنه لوح بيديه بتوتر وهو يقول:

- ليس الأمر كما يتصوره عقلك.. فالواقع أن لدي سرا.. سرا أحتفظ به منذ مدة طويلة ولا يعرف أحد عنه أي شيء.. ولا حتى أفراد عائلتي!!!.

أثار كلامه هذا اهتمامي كثيرا.. فقمت لا شعوريا بالضغط على زر إغلاق التلفاز في جهاز التحكم.. ثم التفت لأوليه كل انتباهي وأنا أنظر إليه بترقب منتظرة أن يكمل حديثه..

فاستطرد قائلا بتوتر:

- لقد مررت منذ سنـوات قليلة بتجربة مذهلة لا تصدق.. بل أنا نفسي أشك في واقعية حدوثها رغم أنني عشت تفاصيلها لحظة بلحظة.. عزيزتي.. لا أعرف كيف أقولها.. حسنا.. لقد.. لقد مت ذات يوم.. وعدت إلى الحيـاة!!!.

نعم.. هذا ما قاله!!!.. في بادىء الأمـر ظننت كلامـه مجازيـا.. لا شك أنه يعني شيئا آخر.. لذا ابتسمت وأخبرته عن كيفية حدوث ذلك وما الموقف الذي تعرض له وأصابه بذلك الشعور.. إلا أنه نظر إلى عيني مباشرة.. ليكرر بإصرار:

- عزيزتي.. ما تسمعينه حقيقة.. لقد مت ذات يوم ثم عدت إلى الحياة.. هو ما أقوله حرفيا!!!.

اختفت ابتسامتي.. ونظرت إليه متسائلة أمام نظراته الجادة.. ليقول بحزم:

- كما ذكرت لك.. أنا لم أخبر أحدا على الإطلاق بهذا السر.. ولا حتى أفراد عائلتي.. لقد تعرضت منذ بضع سنوات لحادث مروري أثناء دراستي في (بريطانيا).. كان الحادث مخيفا تقطعت فيه سيارتي إربا وتعرضت لإصابات بليغة تم نقلي على إثرها إلى المستشفى.. وعبثا حاول الأطباء

إنقاذي بكل الوسائل لكنهم عجزوا عن ذلك.. إلى أن أعلنوا موتي بالفعل!!!!!.. لكني عدت إلى الحياة بعدها بأقل من ساعة وبصورة مفاجئة!!!.

سألته باستغراب شديد:

- مستحيل.. لا شك أن الأطباء أخطؤوا.. لا يمكن أن يموت أحد ويعود إلى الحياة.

قال بلهجة من بحث كثيرا في هذا الأمر:

- بل ممكن جدا!!!.. أمر كهذا يعرف باسم (أعراض لازاروس).. إنها ظاهرة حقيقية سجلت عودة أشخاص إلى الحياة بعد أن أعلن الأطباء موتهم رسميا.. بعضهم عادوا إلى الحياة بعد موتهم بدقائق قليلة.. وبعضهم بعد ساعات*!!!.

---

* حقيقة.. وتعتبر (أعراض لازاروس) (Lazarus syndrome) ظاهرة نادرة الحدوث وأسبابها غير مفهومة حتى الآن.. وهي -كما تشير أحداث القصة- عبارة عن عودة الميت إلى الحياة بصورة مفاجئة بعد فشل الأطباء بإنعاشه!!!.. نعم.. لا يوجد أي خيال في الأمر رغم غرابته الشديدة.. فهناك أكثر من ٢٥ حالة مسجلة في المراجع الطبية عن أشخاص أعلن الأطباء موتهم رسميا ثم فوجئوا بعد دقائق أو ساعات قليلة بعودتهم إلى الحياة دون سبب واضح!!.. وقد أطلق على هذه الظاهرة اسم (أعراض لازاروس) نسبة إلى القديس الذي حمل الاسم ذاته والذي يروي الإنجيل أن المسيح -عليه السلام- قد أحياه بعد موته.. وبسبب هذه الظاهرة.. توصي المراجع الطبية حاليا بمتابعة العلامات الحياتية عند الميت لبعض الوقت قبل الإعلان رسميا عن الوفاة.. وبقي أن نقول إن معظم من عادوا إلى الحياة قد توفوا بعد ساعات أو أيام قليلة.. وبعضهم عاشوا شهورا وقليل منهم عاشوا سنوات أخرى.

هززت رأسي نفيا لأقول غير مصدقة:

- لا يمكن.. إن ما تقوله مستحيل بكل المقاييس.. لا يوجد إنسان يستطيع العودة من الموت.

رد بصبر:

- إنها ظاهرة علمية حقيقية لكنها لم تدرّس بشكل كاف.. فهي مسجلة في المراجع الطبية.. بل وحدثت حتى لشخصية عربية شهيرة.. الممثل المصري الراحل (صلاح قابيل)*.

شهقت دون قصد وأنا أقول:

- يا إلهي.. هل يعقل هذا؟!!.. أنا.. أنا لم أسمع عن شيء كهذا من قبل!!!.

أكمل بقلق:

---

* حقيقة.. وقد توفي الفنان المصري الشهير (صلاح قابيل) عام ١٩٩٢ إثر أزمة قلبية مفاجئة.. حيث تم إعلان وفاته رسميا ومن ثم دفنه بحضور أقاربه ومحبيه.. وفي اليوم التالي لوفاته شاع خبر مفاده أن حارس المقبرة سمع أصواتا تخرج من القبر.. إلا أنه فر هاربا من شدة الخوف ظنا منه أن الأمر يتعلق بالأشباح والجن.. وقد تم فتح القبر في اليوم التالي بإشراف الطب الشرعى والنيابة العامة.. فتم العثور على جثمان الفنان الراحل ملقى على سلالم القبر -كون بعض القبور في مصر تكون عادة على شكل غرف- متوفيا بسكتة قلبية نتيجة الخوف الشديد على الأرجح وبشكل يوحي أنه كان يحاول فتح المقبرة أو ربما يطلب الاستغاثة!!!.. علما بأن هذه الحكاية ظلت حديث وسائل الإعلام آنذاك واستحوذت على اهتمام الكثيرين الذين انقسموا بين مصدق للرواية ومكذب لها.. منهم أفراد عائلة الفنان وأقاربه أنفسهم.. حيث أكد بعضهم حدوثها ونفاها آخرون.

- كما قلت لك.. لقد توفيت فعليا وأعلن الأطباء موتي.. لكن بعدها بأقل من ساعة عدت إلى الحياة دون سبب مفهوم.. فتمكن الأطباء من إنقاذي.. حيث مكثت في المستشفى أكثر من شهر إلى أن تعافيت من كل إصاباتي.

سألته بذهول:

- وهل كنت تشعر بما يدور حولك أثناء موتك؟!!.

بدا سؤالي غبيا للوهلة الأولى.. لكنه رد باهتمام وهو يحك ذقنه الحليق:

- الأمر شبيه إلى حد ما بالغيبوبة.. الفارق أن المرء عادة لا يشعر بشيء على الإطلاق أثناء الغيبوبة.. سواء ما يدور حوله في العالم الخارجي أو حتى شعوره الداخلي.. أما بالنسبة لي فقد كان هناك شعور داخلي بمنتهى الروعة.. راحة نفسية هائلة لا أجد الكلمات أو العبارات لشرحها لك.. أستطيع أن أقول إنني انتقلت إلى عالم آخر لا يمكن وصفه.. عالم رائع نقي نظيف بلا هموم شعرت فيه للحظة وكأنني مولود جديد.. حتى إنني كنت بحالة صحية أفضل عندما عدت إلى الحياة.. مما منح الأطباء الوقت اللازم لإنقاذي وعلاجي.

قلت ولا يزال الذهول مسيطرا علي:

- هذا غريب.. غريب بحق.. لكن.. لماذا أراك قلقا هكذا؟!!.. لقد نجوت من موت محقق وحصلت على فرصة ثانية للحياة.

قال بثبات دون أن ينظر إلي:

- إنني.. إنني أريد أن أمر بتلك التجربة.. أريد أن أموت مرة أخرى!!!.

سألته غير مصدقة:

- ماذا؟!.. تريد.. تريد أن تنتحر؟!!!!.. ما الذي تقوله؟!!.

رد وهو يلوح بيديه:

- من تحدث عن الانتحار؟!.. أقول إنني أريد تكرار التجربة التي مررت بها.. أريد أن أجرب الموت على أن أعود إلى الحياة مرة أخرى!!!.

صحت بذعر:

- هل تمزح؟!!.. وهل هي لعبة كي تموت وتعود للحياة كما تشاء؟!.. إن كنت صادقا بوصفك لما حدث فهي معجزة حقيقية يكاد يكون تكرارها مستحيلا.. وبصراحة.. أشعر

أن هناك أمرا دينيا غير مريحا فيما تقوله!!!.

رد بحزم:

- إنني أتحدث عن العلم.. العلم فقط يا عزيزتي.. لقد قضيت السنوات التالية من تعرضي لذلك الحادث في دراسة (أعراض لازاروس).. ولم يكن الأمر يسيرا على الإطلاق بالطبع.. فنحن نتحدث عن حالة نادرة جدا لا يملك لها الطب أي إجابات.. لذا بدأت دراساتي من الصفر تقريبا على عكس جميع الدراسات الأخرى التي تستند عادة إلى معلومات سابقة.. كنت أريد معرفة نوعية التجربة التي مررت بها وفهم لحظات الصفاء الرائعة التي عشتها أثناء موتي وطبيعة المكان الذي انتقلت إليه.. قرأت عشرات الكتب.. بل وسافرت لأقابل أشخاصا من مختلف دول العالم مروا بتلك التجربة النادرة.. قبل أن أصل إلى ذلك الاكتشاف المثير.. اكتشاف خطير قد يغير مفهومنا ونظرتنا للإنسان وللعالم كله.. فهناك نوع ثالث من الموت لا يعرفه عامة الناس.. ولا حتى الطب نفسه!!!.

نظرت إليه بذهول بلغ أقصاه.. لأقول وأنا أستذكر بعض قراءاتي:

- حسب علمي أن هناك موت سريري.. والموت البيولوجي المعروف الذي تنتهي فيه حياة الإنسان*!!!.. فما الذي تعنيه بأنك اكتشفت نوعا ثالثا من الموت؟!!.

رد بحماس شديد:

- موت (لازاروس) الذي لا يعرفه العلم بعد.. إنه موت نستطيع أن نذهب إليه ثم نعود منه إلى الحياة.. تماما كما حدث معي!!!.

سألته بغضب:

- هل جننت؟!.. وكيف ستفعل ذلك؟!.. ولماذا تريد أن تمر بتجربة كهذه أصلا؟!.

---

* (الموت السريري) أو (الموت الإكلينيكي) حالة التوقف الفجائي للتنفس ودوران الدم في الأوعية الدموية.. وهو ما يسمى أيضا بالسكتة القلبية.. ومن الممكن في أحيان قليلة إنعاش القلب ومن ثم إنقاذ حياة المريض.. لكن إذا فشل الأطباء في ذلك فإن المريض سيدخل سريعا حالة الموت البيولوجي وهو الموت النهائي الذي نعرفه جميعا.. وفي الماضي كان يعتبر الأطباء توقف دوران الدم والتنفس كافيا لإعلان وفاة المريض.. لكن مع ظهور الاستراتيجيات الحديثة كوسائل إنعاش القلب والصدمات الكهربائية وغيرها من العلاجات الحديثة.. جاء مسمى (الموت السريري) الذي يمنح بعض الأمل في عودة من توقف قلبه إلى الحياة.. لذا فإن هناك نوعين معروفين من الموت.. (الموت السريري) و(الموت البيولوجي) الذي يعلن من خلاله الأطباء وفاة المريض رسميا.

كانت المرة الأولى التي أتحدث فيها معه بهذه الحدة.. لكنه لم يغضب.. بل رد وهو يزفر:

- لأسباب علمية وإنسانية بحتة.. هذه التجربة ستكون فتحا جديدا في عالم الطب.. فكم من مصاب وصل المستشفى متأخرا ولم يجد الأطباء الوقت الكافي لإنقاذه؟!.. وكم من مريض عانى بسبب مرض السرطان الخبيث الذي لا يرحم وينتشر بسرعة في الجسد؟!.. تخيلي أن نتمكن من فصل حياة المريض عن جسده ثم نعيدها إليه متى ما تم علاجه.. فحتى المخدر (البنج) لا يفعل شيئا كهذا ولا يؤخر أعراض المرض.. لأن من يتعرض للبنج في النهاية شخص حي.. أما في حالة (أعراض لازاروس) فسيكون حينها المصاب أو المريض ميت مؤقتا.. هذا سيجنبه آلاما كثيرة ويمنح الأطباء الوقت الكافي لإنقاذه دون أن تتدهور حالته.. تخيلي الشهرة والمجد اللذين سأنالهما جراء هذا الاكتشاف المذهل.. وهو بكل تأكيد أفضل من المحاولات الخرقاء التي يقوم بها بعض الأثرياء والمشاهير للبحث عن وسيلة لإطالة العمر كما يفعل رئيس جمهورية (كازاخستان) على سبيل المثال.. هذا الأحمق الذي أمر علماء بلده أكثر من مرة أن يوجهوا طاقاتهم لاكتشاف

(إكسير الحياة)*.

سألته بمزيج غريب من الانبهار والعصبية:

- لماذا تريد رأيي إن كنت قد اتخذت قرارك كما يبدو؟!!.

قال برجاء وتردد واضحين حتى بدا لي مزعزعا ضعيف الشخصية وكأنه رجل آخر:

- لأنني أريدك أن تساعديني في خوض هذه التجربة!!!.

شهقت غير مصدقة لأقول:

- أساعدك؟!!.. أساعدك لتموت؟!.. ما الذي تقوله؟!!.. ثم كيف تعرف أنك ستتمكن بعدها من العودة إلى الحياة أصلاً؟!.. ماذا لو مت فعليا كما يموت الناس؟!.. هذا انتحار.

رد برجاء:

- لقد درست الأمر جيدا كما أخبرتك يا عزيزتي طوال السنوات الماضية وعرفت عنه الكثير.. فهناك هالة من الطاقة لا ترى بالعين المجردة تحيط بجميع الكائنات الحية بغلاف

---

* حقيقة.. فقد أمر رئيس جمهورية (كازاخستان) (نور سلطان نظربايف) (Nursultan Nazarbayev) علماء بلده بذلك.. إذ قال حرفيا في أحد خطاباته موجها كلامه لهم: ((الناس في عمري هذا يتعجلون الحصول على ما يبقيهم أحياء إلى الأبد.. الآن إذا تكرمتم!!)).. علما بأن الرئيس المذكور يبلغ الـ ٧٥ من العمر تقريبا ويحلم بأن يحكم بلاده إلى الأبد.. وهو -على عكس باقي زعماء العالم- يرى أن القوة ليست بامتلاك السلاح النووي.. بل باكتشاف العقار الذي سيطيل حياة الناس.. وصرح أن الدول التي ستكتشفه ستكون المتقدمة وستقود العالم.

غير مرئي*.. إذا نجحنا بامتصاصها من الجسد فسيتعرض الإنسان لـ(أعراض لازاروس).. وسيتمكن من العودة إلى الحياة عندما نعيد إليه هذه الطاقة.. لقد قضيت عدة سنوات في البحث والدراسة إلى أن توصلت لاختراع جهاز صغير بحجم كف اليد أوصل أقطابه إلى الرأس لامتصاص هذه الطاقة من الجسد إلى أن يفارق الحياة.. ومن ثم نعيدها إليه متى ما أردنا إعادته إلى الحياة.. سأجرب الموت لمدة ساعة.. أرجوك ساعديني.. أحتاج إلى مساعد.. ولا أستطيع أن أثق بأحد سواك.

قلت بعصبية شديدة:

- لن أساعدك بفعل شيء كهذا.. إنه جنون مطلق.. بل إنك تخيفني في واقع الأمر.

---

* في عام ١٩٣٩ تحدث الباحث الروسي (سيميون كيرليان) (Semyon Kirlian) عن اكتشاف هالة تحيط بجميع الكائنات الحية من بشر وحيوانات ونباتات بغلاف غير مرئي يشع على هيئة موجات كهرومغناطيسية ذات ألوان مختلفة.. وقد أطلق عليها اسم (الهالة) أو (الأورا) (Aura).. حيث ادعى أيضاً أنه يمكن إثبات الهالات علمياً وتفسير ألوانها وأشكالها بناء على الحالة النفسية والجسدية للإنسان.. بل واخترع هذا الباحث جهازا لتصوير تلك الهالات أطلق عليه اسم (تصوير كيرليان) (Kirlian photography).. إلا أن صور تلك الهالات لم تكن مقنعة للعلماء.. حيث لاحظوا أن الهالات تتأثر أيضا بأجواء المكان بسبب حرارة الجو والرطوبة أو البرد الشديد مثلا.. ولا يمكن الأخذ بها لمعرفة حالة المريض الصحية والمزاجية بصورة قاطعة.

رد باستنكار:

- جميع الاكتشافات العلمية سببت الخوف للناس في بادىء الأمر.. لا يوجد اكتشاف جديد إلا وكانت الأغلبية ضده.. خذي مثالا على هذا أطفال الأنابيب*.. ظللنا سنوات طويلة نناقش تحريمها من الناحية الشرعية؟!.. الموبايل المزوَّد بكاميرا حرَّمته بعض الدول فور ظهوره ثم اضطرت لبيعه وتداوله بعد ذلك وهو حرام في رأيها.. حتى القطار قالوا إنه سيدمر البيئة ويهلك الزرع**.. لكن العلم انتصر والآن نرى القطارات في كل مكان دون اعتراض من أحد.. إنني أمام اكتشاف قد يغير تاريخ البشرية.. وأنت لا تريدين تجربته فقط لأنك خائفة؟!!.. ساعديني أرجوك.. فحتى أقرب أصدقائي رفض مساعدتي خوفا على حياتي وأن يتم اتهامه بقتلي في حال فشلت التجربة.

---

* (طفل الأنبوب) أو كما يطلق عليه باللغة الإنجليزية (IVF) اختصارا لـ (In-vitro-Fertilisation) عبارة عن إخصاب بويضة الأنثى بالحيوان المنوي في أنابيب الاختبار بدلا من الحمل المعتاد نتيجة الممارسة الجنسية الطبيعية.. ويتم بعدها زرع البويضة المخصبة (الجنين) في رحم الأم لينمو الجنين نموا طبيعيا.. وقد أمكن بهذه الطريقة التغلب علي بعض العوائق التي تمنع حدوث الحمل عند المرأة مثل ضعف الحيوانات المنوية عند الرجل أو بسبب مشاكل في الرحم.. وقد عرف العالم مصطلح (طفل الأنبوب) أول مرة عام ١٩٧٨ عندما ولدت الطفلة (لويس براون) (Louise Brown) وهي أول طفلة أنابيب في تاريخ البشرية.

** حقيقة

قلت بحسرة:

- ما قاله صديقك ينطبق علي.. أنا أيضا أخشى على حياتك.. أنت زوجي!!!.. كما أنني أخشى أن يتم اتهامي بقتلك لو فشلت التجربة ولم تتمكن من العودة إلى الحياة لا قدر الله.

احتضنني بحنان وهو يقول:

- وأنا أؤكد لك يا عزيزتي أنني سأكون بخير وستمر التجربة بسلام.. هل تظنين أنني مستعد للتضحية في حياتي بهذه البساطة؟!!.. منذ طفولتي وأنا أحلم بتحقيق إنجاز للبشرية.. فالأحلام القديمة لا تموت.. إنها فقط تختبئ في أدراج حياتنا فترة من الزمن لعلها تظهر مرة أخرى.. وقد ظهرت بعد أن مررت بـ(أعراض لازاروس).. لقد رفض زملائي هذا الأمر لأنهم لا يفهمونه ولا يعرفون عنه شيئا.. إذ تغلبت مخاوفهم على العلم مع الأسف الشديد.. لكني أؤكد لك أنني أعرف جيدا ما أفعله.

بالفعل.. لا يمكن أن يضحي بحياته بهذه البساطة على حد قوله.. إنه يعرف ما يفعله.. و.. حسنا.. تعلمون جميعا أنني سأضعف في النهاية أمام توسلاته وإقناعه وسأوافق!!!.. نعم.. هذا ما حدث.. لقد وجدت نفسي أتقبل الفكرة

شيئا فشيئا بعد أيام طويلة من النقاش اختصرتها لكم في محادثة قصيرة.. لذا وافقت رغم أن صوتا في عقلي الباطن ظل يصرخ ويطلب مني ألا أفعل شيئا كهذا.. حتى خلال اللحظات الأخيرة حين كنت أراقب زوجي وهو يضع لمساته الأخيرة على جهازه الذي كان يعمل على صنعه منذ مدة دون علمي.. وقد جعلني أراه أخيرا بعد أن كان يخفيه في أحد أدراج مكتبه.. إنه جهاز بحجم كف اليد كما قال.. تخرج منه 4 أسلاك تحوي أقطابا يجب أن تتصل في الرأس.. وكل ما علي فعله مراقبة العداد الموجود على ذلك الجهاز.. فحين يمتص طاقة الجسد بأكملها علي أن أوقفه.. مع التأكد أن جهاز المرقاب -الذي اشتراه زوجي بمبلغ فادح- يراقب نبضات القلب ليعطي في النهاية ذلك الخط الرفيع الذي نراه جميعا في الأفلام والذي يوحي بتوقف القلب فعليا.. كما ترون.. سأتسبب بوفاة زوجي لمدة ساعة قبل أن أعيده إلى الحياة مرة أخرى!!!.

بعد أيام قليلة.. أعلن زوجي أن وقت خوض التجربة قد حان أخيرا.. وأن الجهاز بات جاهزا للعمل.. وقد صدقته!!.. كيف صدقته؟!.. لأنه قام بتجربة الجهاز على قط صغير يملكه أحد أبناء أشقائه!!!.. نعم.. فقد جاء بالقط إلى

الشقة ومارس عليه التجربة أمام عيني.. ليفارق الحياة أكثر من ساعة وتتوقف أنفاسه ونبضات قلبه.. قبل أن يستيقظ فجأة ويمارس حياته وكأن شيئا لم يكن أمام نظراتي المصدومـة بسبـب ذلك المشهد المخيف.. فعل زوجي ذلك أمامي كي يقنعني أن التجربة ستكون ناجحة ولا خوف هناك على حياته.. لكن.. يجب القيام بالتجربة على الإنسان بالطبع كونه كائنا أشد تعقيدا بكثير من القط.

لا أنسى تلك الليلة ما حييت.. ليلة (الثلاثاء).. بعد أن حصلت على إجازة من عملي بضعة أيام بناء على طلب زوجي كي أتفرغ لمساعدته.. وبعد أن أرسلت الخادمة إلى والدتي متعللة أنها تحتاج أن تتعلم أكلات خليجية معينة يحبها زوجي.. حيث توجهنا ليلتها إلى غرفة المكتب التي تحولت إلى مستشفى مصغر استعدادا للتجربة.. إذ وضع زوجي في منتصفها سريرا بسيطا.. مع جهازه الصغير المعلق على عامود حديدي رفيع شبيه بالذي يعلقون عليه المغذي السائل الذي نراه دوما في المستشفيات.. وهناك ذلك الكيس البلاستيكي الذي سيمتليء بالطاقة التي ستخرج من زوجي.. يا ترى كيف سيكون شكلها؟!.. هل ستكون خضراء اللون كما حدث في تجربة القط؟!.. سنعرف بعد قليل.. ولا ننسى (المرقاب)

أو جهاز مراقبة نبضات القلب.. وكاميرا الفيديو لتوثيق التجربة.. مع تلك الثلاجة الأفقية الكبيرة التي اشتراها زوجي ووضعها في المطبخ والتي تستوعب جسده لينام داخلها!!!.. لماذا الثلاجة؟!!.. لغرض واحد مهم أصاب جسدي بقشعريرة.. فلو فشلت التجربة لا قدر الله ولم أتمكن من إعادة زوجي إلى الحياة بعد مرور الوقت المفترض.. سيكون علي حينها أن أحمل جسده وأضعه في الثلاجة كخطوة أولى كي لا يتعفن ويموت نهائيا.. لأن هناك رابطا مجهولا بين الجسد والطاقة التي ستخرج منه على حد قوله.. فلو قمنا بطعن الجسد بخنجر مثلا أثناء مروره بـ (أعراض لازاروس).. عندها لن يعود الإنسان إلى الحياة أبدا.. أما لو قمنا بدفنه.. فسيستيقظ بأي وقت في قبره ليختنق تحت التربة حتى الموت!!!.. يجب أن يبقى الجسد سليما تماما كي يتمكن صاحبه من العودة إلى الحياة.. هكذا بكل بساطة!!.

وسيكون علي بعد ذلك أن أتصل بأقرب أصدقاء زوجي وهو الدكتور (سعود).. حيث سأضعه حينها أمام الأمر الواقع كي يساعدنا مجبرا بعد أن حاول زوجي في السابق إقناعه بمساعدته لكنه رفض لأسباب ذكرتها لكم.. سأقوم بتسليم أبحاث زوجي كاملة للدكتور (سعود) ليقرأها ويعرف كيف

يعيده إلى الحياة.. طبعا سيحدث هذا لو فشلت التجربة كما علمنا.. عموما فهذا الاحتمال مستبعد كما يردد زوجي وكما رأيت بنفسي في تجربة القط.. لكن يجب الاستعداد لكل شيء.. هل كنت خائفة؟!.. كنت أرتعد خوفا في واقع الأمر.. غريب فعلا كيف يعمل الإلحاح وكيف يملك البشر وسيلة للإقناع!!.

كنت أقول إننا بدونا مستعدين ليلتها.. زوجي يقف بثبات مرتديا بيجامة.. وبدا جادا للغاية جامد الملامح.. العرق يتصبب من رأسه.. إنه خائف.. هذا واضح.. وهذا ما ساهم أيضا بخوفي أكثر وأكثر.. ماذا لو نجحت التجربة وعاد بعدها إلى الحياة؟!.. هل سيتغير شيء؟!.. من الطريف أنني أخشى نجاح التجربة وأخشى فشلها بنفس القدر!!!.. لكنني أحاول أن أذكر نفسي باستمرار أننا وراء إنجاز سوف يسجل باسم زوجي.. وباسم بلدي.. رغم أن عقلي الباطن لم يتوقف عن الصراخ معترضا.. خاصة مع كلمة زوجي الأخيرة:

- أرجوك تذكري ولا تنسي أبدا.. لو حدث خلل ما وعجزتِ عن إعادتي إلى الحياة.. فيجب أن تحافظي على جسدي.. ولا تخبري أحدا بما حدث وإلا سيعلنون موتي رسميا لأن الأطباء لا يعرفون شيئا عن (أعراض لازاروس).. حينها سيتم دفني بطبيعة الحال.. وهذا يعني أنني سأموت فعليا دون

أي أمل بالعودة.. هل تفهمينني يا عزيزتي؟!.. أكرر لك.. لا تخبري أحدا أبدا في حالة فشل التجربة.. فقط عليك الاتصال بصديقي الدكتور (سعود).. سيتمكن على الأرجح من إنقاذي إذا قرأ أبحاثي.. عموما فإن احتمال الفشل لا يتجاوز 1% كما قلت مرارا.. لكني أستعد لكل الاحتمالات فحسب.

سألته بقلق:

- ما المطلوب مني إلى جانب الضغط على تلك الأزرار إلى أن تموت ثم الضغط على الأزرار الأخرى لأعيدك إلى الحياة؟!.

قال بهدوء وهو يحدق بي:

- فقط اجلبي شجاعتك معك ولا تخشي شيئا!!!.. ولا تنسي التأكد من موتي وتوقف نبضات قلبي من خلال المرقاب.

و.. حان موعد التجربـــة أخيرا.. إذ استلقـى زوجي على السرير وساعدته بوضع الأقطاب على رأسه.. ثم أغمض عينيه.. لأنفذ بعدها المطلوب مني وما تمرنت عليه مرارا وتكرارا وحفظته غيبا.. ضغطت على الزر الأول.. لأشعر بسخونة الأسلاك التي ترتبط أقطابها برأس زوجي.. إنها

تمتص تلك الطاقة التي تحيط به كما قال لي.. أضغط الزر الآخر الذي جعل أنفاسه تقل.. ثم الزر الثالث.. لتتوقف أنفاسه والكيس الشفاف يمتلىء بمادة خضراء غريبة الشكل.. تماما كما حدث في تجربة القط.. لا أعرف كيف أصف تلك المادة.. هل هي دخان أم ضباب أخضر؟!!.. صوت المرقاب الرتيب جوار السرير.. تيت.. تيت.. تيت.. ثم.. تيييييييت!!!.. سقطت عيناي على شاشة المرقاب فرأيت خيطا صامتا غبيا.. أنظر مرة أخرى إلى زوجي.. بشرته شحبت ليبدو كالموتى.. بل هو ميت الآن بالفعل.

صدري يعلو ويهبط بقوة.. بالطبع.. مهما كنت مستعدة.. فلا بد أن أعيش الرعب حين أمر بالتجربة عمليا!!!.. أراقب الساعة في هاتفي وعداد الثواني يسير ببطء شديد حتى شعرت وكأنني أعيش أطول ساعة في حياتي.. أترقب.. أنظر إلى جسد زوجي الشاحب.. ألمسه بيد مرتجفة.. جسمه بارد بعد أن فقد كل حرارته.. أحاول أن أتحدث إليه لكنه لا يستجيب.. إنه يعيش (أعراض لازاروس) حاليا!!!.. مفارقة غريبة ومخيفة.. الدقائق تبدو وكأنها لا تمر.. لكنها مرت أخيرا ولا أعرف كيف.. الدقيقة 59.. حان الوقت لإنعاشه.. رحت أنفذ ما طلبه مني بقلق واضح.. أضغط على أزرار

الجهاز بشكل تدريجي.. أرى الكيس يخلو من ذلك البخار الغريب وجسد زوجي يتورد مرة أخرى وأنا أردد بجنون:

- يجب أن تعود إلى الحياة.. يجب أن تعود وإلا غدونا في موقف لا نحسد عليه!!!.

إنه.. إنه يعود إلى الحياة فعليا.. وأنا ما زلت أنفذ تعليماته حرفيا.. أتركه ليستعيد وعيه بنفسه تدريجيا دون أي محاولات حمقاء مني.. كأن آتي بكوب من الماء وأفرغه في جوفه مثلا.. أو أن أضربه بكفي برفق كما يفعلون في الأفلام حين يفقد أحدهم وعيه.. و.. يبدو أن التجربة قد نجحت!!!.. أقول هذا وأتنفس الصعداء أخيرا.. إذ فتح عينيه وهو ينظر حوله بشيء من الألم.. أذهب لأحتضنه بلهفة وأسأله إن كان بخير دون أن يبدي أي استجابة.. بل ظل صامتا ينظر إلى عوالم أخرى.. العرق يتصبب من جبينه بعد أن كان جثة باردة منذ لحظات.. يبدو لي وكأنه لا يعرف شيئا مما يدور حوله.. بل ولا يعرف حتى نفسه!!!.. ينظر يمينا ويسارا.. ثم يرمقني بنظرات خاوية غير مكترث بنظراتي المترقبة.. ليقول فجأة ببطء شديد وصوت مرهق:

- حبيبتي.. أحبك!!!.



اغرورقت عيناي بالدموع لأقول متأثرة:

- وأنا أيضا أحبك يا حبيبي.

نظر إلي بصمت فترة طويلة حتى خلته فارق الحياة مرة أخرى.. لكنه نهض فجأة من السرير وبدا مرهقا للغاية.. بالطبع.. تجربة كهذه لا بد أن لها تأثيرا سلبيا ما على الجسد.. و.. ما أن علم بنجاح تجربته وأنه ظل ميتا لمدة ساعة.. حتى ضحك بمرح شديد لا يتناسب أبدا مع الموقف.. أول مرة أراه متخليا عن وقاره المحبب.. حتى إنه نهض ليحتضنني بقوة ويقول كلاما مبعثرا فهمت منه أنه سيغير وجه العالم باكتشافه هذا.. وبدا لي أنه أسعد رجل في العالم بحق.. الأمر الذي أسعدني كثيرا كوني عرفت حينها أن زوجي يحقق نجاحا مهما سيغير حياتنا.

أتذكر أن اليوم انقضى بصورة رائعة.. إذ اتصلنا بأحد المطاعم لنطلب وجبة دسمة بناء على طلبه.. ثم جلسنا نلتهم طعامنا باستمتاع شديد بعد تلك الأوقات العصيبة.. كنت أتوقع من زوجي أن يخبرني أنه سينشر بحثه ويعلن نجاح تجربته لوسائل الأعلام والهيئات العلمية.. لكن.. فوجئت به بالمقابل وهو يقول إنه سيكرر التجربة!!.. سيموت يوما كاملا هذه المرة وليس مجرد ساعة!!!.. أتذكر

أن اللقمة توقفت في حلقي من هول الصدمة.. لقد.. لقد ظننت أننا نجحنا وتخطينا هذا الكابوس!!.. نقلت له تساؤلاتي بلوعة.. فرد بحزم:

- عزيزتي.. لا يمكن أن أنشر أبحاثي وأذهب إلى الهيئات العلمية بتجربة واحدة لم تتكرر.. يجب أن أكرر التجربة مرة ثانية.. ولمدة أطول.. عندها سأكون واثقا من نجاحها.

قلت بقلق:

- من الواضح أنك تعرف جيدا ما تفعله.. لكني رأيت الإرهاق واضحا على ملامحك في التجربة السابقة.. أخشى أن تصاب بالأذى.. ثم إنني أريد أن أفهم.. ماذا يحدث لك أثناء موتك؟!.. أين تذهب بالضبط؟!.. هل ما تفعله هو عبث بالأرواح مثلا؟!.. المعذرة.. ما زلت أجد شيئا مريبا من الناحية الدينية.

رد مفكرا:

- لا يمكن أن يكون الأمر مريبا دينيا كما تقولين.. لأنه العلم.. العلم فحسب.. لقد رأيتِ التجربة ونجاحها بنفسك.. وإجابة لسؤالك.. فهناك شعور داخلي يفصلني تماما عن عالم الواقع حين أمر بتلك التجربة.. شعور لذيذ أعجز عن وصفه..

لقد أخبرتك بذلك مسبقا.. وكأنني في عالم آخر هادىء جميل تنبت فيه أجمل الأزهار ولا تسمعين فيه سوى أصوات الحب.. هل للحب صوت؟!.. في ذلك العالم نعم.. ربما تكون هذه مجرد هلوسات.. لا أعلم.. لكن ليس هذا المهم.. المهم الفائدة التي سنجنيها من هذا الاكتشاف.

أنظر إليه بذهول غير مصدقة ما أسمعه.. فقبل سنة تقريبا كنت فتاة عادية لا تعرف عن العالم سوى ما تراه حولها.. والآن يأتي زوجي ليغير كل مفاهيمي حول الحياة والإنسان؟!!.. هذا لا يصدق.. لا يصدق!!!.

غرقت في تلك الأفكار الغريبة قبل أن يقول:

- يجب أن نتأكد من نجاح التجربة مرة ثانية.. ثم نرى ما نستطيع فعله.

حسنا.. سأختصر بعض التفاصيل وأكتفي بالقول إن زوجي قرر القيام بالتجربة ذاتها بعد يومين فحسب.. التجربة الأخيرة والتي يفترض أن يعلن بعدها عن إنجازه هذا للعالم كله على حد قوله.

كان يوما موعودا بحق.. وقد يكون أكثر أيام حياتي غموضا وإثارة.. فقد أضفيت إلى التجربة عناصر الخوف الشهيرة..

المطر الشديد.. الظلام الدامس مع البرودة القارسة كوننا في شهر (فبراير).. أصوات الرعد في الخارج وكأنها مؤثرات صوتية لفيلم رعب نقوم بتصويره باحترافية عالية.. زوجي يستلقي على السرير.. أساعده بوضع الأقطاب على رأسه.. لماذا أشعر بهذا القلق الشديد رغم أنها المرة الثانية التي نخوض فيها التجربة؟!.. هل هو شعور الأنثى المعتاد بالخطر والذي يصيب دائما مع الأسف؟!.. لا أعلم.. أضغط على تلك الأزرار التي حفظت مكانها عن ظهر قلب بأصابع مرتجفة.. الكيس البلاستيكي الشفاف يمتلئ بذات الشيء الأخضر الذي ما زلت أعجز عن معرفة ماهيته.. جسد زوجي يبرد تماما كالعادة.. إنه ميت الآن أيضا.. النوع الثالث من الموت.. الغريب أنني لم أخرج من الشقة إطلاقا طوال الساعات التالية التي كان يفترض أن تتجاوز يوما كاملا كما علمنا.. بل ولا أذكر أنني أكلت شيئا يومها.. بالطبع.. فلن يتوقع أحد آن آت بعلبة فشار مثلا لأجلس وأشاهد جثة زوجي أثناء موته.. إن ما نقوم به يتحدى العقل والمنطق وكل قواعد الفيزياء!!!.

المهم.. وصلت إلى قمة درجات الترقب إلى أن مر الوقت أخيرا.. فبعد 24 ساعة بالتمام والكمال لم أنم فيها مطلقا

شاعرة بمزيج بغيض من الإرهاق والتوتر العصبي.. رحت بسرعة أكرر ما فعلته سابقا.. أحاول أن أنعش زوجي وأعيده إلى الحياة.. الكيس البلاستيكي فرغ من ذلك البخار أو الضباب الأخضر بعد أن قمت بضخه إلى جسده مرة أخرى.. أنتظر منه أن يفتح عينيه في أي لحظة.. لكنه.. لكنه لم يفعل.. ظل جسده باردا قابعا في مكانه رغم كل محاولاتي.. وجهه الشاحب يحمل علامات الموت بوضوح.. إنه ميت.. ميت جدا إن صح التعبير!!!.. لماذا لا يستيقظ؟!!.. أيتها الحمقاء.. من يعبث خلف تلك الخطوط الحمراء فلا شك أنه سيتعرض لكارثة!!..

قلبي يدق بعنف.. والتوتر يمزق أمعائي.. فبدأت أتخلى عن كل الإجراءات التي يتوجب اتباعها.. ورحت أحاول إيقاظ زوجي بالطرق التقليدية التي تفعلها كل زوجة ملتاعة فقدت أدنى درجات التعقل!!!.. أصرخ وأطلب منه الاستيقاظ.. ثم أضربه بكفي وبشيء من الحدة.. أتراجع بذعر.. وأعود مرة أخرى لأحاول إنعاشه.. أسكب الماء في يدي ثم أنثره على وجهه.. كانت مشاعري متضاربة.. الرعب.. الخوف على زوجي.. القلق من أن تنالني أصابع الاتهام وأجد نفسي متهمة بجريمة قتل مثلا!!!.. حتى إنني

فقدت الحيلة واستسلمت للبكاء.

دقائق طويلة سوداء ربما هي الأسوأ في حياتي كلها.. أقوم بإغلاق الكاميرا التي وثقت التجربة كلها.. فلا وقت هناك لهذا الهراء.. أنظر حولي بجزع ولا أعرف ما الذي يجب فعله.. أمي وشقيقاتي.. عائلة زوجي.. الشرطة.. كيف سأواجه كل هؤلاء؟!!.. حتى إن كان لدي ما يثبت قيامه بتلك التجارب بناء على رغبته.. فاللوم قد يوجه لي في النهاية كوني ساعدته بكامل إرادتي.. دعكم من أنهم سيقومون بإعلان وفاته رسميا ثم دفنه كونه ميت الآن وإكرام الميت دفنه.. وهذا ما حذرني منه قبل موته.. عندها فقط تذكرت الدكتور (سعود).. نعم.. يجب أن أنفض الأفكار السلبية من رأسي وأفكر بطريقة إيجابية!!!.. لا بد أن أنفذ ما أوصاني به زوجي حرفيا.. هذا هو الحل الوحيد المتاح حاليا.

وضعت تعليماته قيد التنفيذ.. وحملت جسده على كتفي بمشهد لا يصدق.. أمر كهذا لا أقوى على فعله في الظروف العادية.. لكن حالة الهلع التي أصابتني وتدفق الأدرينالين في دمي ضاعف من قوتي.. أسير مترنحة وبصعوبة بالغة وأنا أحمل زوجي على كتفي بمشهد قد يبدو هزليا لمن يراه.. إلى أن وصلت أخيرا إلى المطبخ ووضعت جسده في

الثلاجة.. ثم أغلقت بابها وأعصابي تتقطع خوفا!!.

اتجهت بعدها إلى هاتفي النقال كالملسوعة.. أبحث في الأرقام.. الدكتور (سعود).. لقد أعطاني زوجي رقم هاتفه قبل قيامنا بتلك التجربة.. نعم.. نعم.. هذا هو.. اتصلت به مباشرة والساعة تتجاوز السابعة مساء بقليل.. ليرد بطريقة رسمية مستفسرا عن هويتي.. أخبرته من أنا دون أي مقدمات.. فرحب بي بحرارة وإن بدا صوته مستغربا من اتصالي.. عندها انهرت باكية وشرحت له ما حدث بكلمات مبعثرة وسط شهقاته واستغرابه.. ليقول بصوت مبحوح:

- يا إلهي!!.. هذا مستحيل!!.. لا أصدق أنه فعلها!!!.. لقد طلب مني أكثر من مرة أن أساعده في تجاربه هذه.. لكني رفضت خوفا على حياته.. ولخوفي على نفسي أيضا من التورط في تبعاتها!!.

قلت بذعر محاولة دفعه إلى تجاوز الصدمة والتفكير بالخطوة التالية:

- ما الذي سنفعله الآن يا دكتور؟!!!.. إن جثته ترقد في ثلاجة شقتي.

سكت طويلا حتى بت لا أسمع سوى أنفاسه.. وكأنه يفكر

بأمر ما.. ليقول بعدها بحزم:

- سآتِ الآن.. ولنرى ما يمكننا فعله!!.

أعطيته عنوان الشقة واتجهت سريعا لأرتدي شيئا لائقا.. وجهي شاحب تماما.. طبعا.. فأنا لم أنم منذ يومين.. أترقب وأسير في أنحاء الشقة كالقط الحبيس عاجزة حتى عن الجلوس.. أنظر إلى الساعة بين دقيقة وأخرى.. قبل أن أسمع أخيرا صوت طرقات خفيفة على الباب.. أقفز من مكاني بسرعة لأفتح الباب دون أن أسأل عن هوية الطارق.. كانت المرة الأولى التي أراه فيها.. رجل في سن زوجي تقريبا.. لكنه أقل وسامة بكثير.. فهو ممتلىء الجسم.. يرتدي نظارات سميكة نسبيا.. والصلع يبدو وكأنه في طريقه ليلتهم كل شعره خلال السنوات القليلة القادمة.. إلا أنه بدا لي طفولي الوجه رغم ذلك.. مريح الملامح.. فشعرت للحظة وكأنني أرى صديقا حميما.. خاصة أنني سأرمي بتلك المصيبة عليه آملة أن يجد لها حلا.

طلبت منه الدخول دون مقدمات.. وأشرت إليه مباشرة أن يتبعني ويرى بنفسه جثة زوجي في الثلاجة!!!.. عندها اغرورقت عيناه بالدموع.. لكنه تمالك نفسه وأغمض عينيه بقوة ليمنع نفسه من البكاء.. ثم سألني بصوت مختنق:

- ما الذي حدث بالضبط؟!.. أعيدي على مسامعي كل التفاصيل مهما بدت تافهة أرجوك.

أخبرته بكل شيء دون تردد وقد اختنقت عبراتي أكثر من مرة وأنا أتحدث.. ليقول بقلق:

- هل أخبرك بما يجب فعله لو فشلت التجربة؟!.

عضضت شفتي وأنا أقول ببطء:

- لقد.. لقد أخبرني أن احتمال الفشل غير وارد إطلاقا.. لكن لو حدث وفشلت التجربة فعلينا أن نضعه في الثلاجة مباشرة.. ثم علي الاتصال بك لأسلمك كل أبحاثه علك تجد طريقة لإنقاذه!!!.

بدا وكأنه لم يتوقع ذلك أبدا.. إذ اتسعت عيناه ليقول مصدوما:

- أنا؟!!!.. لماذا أنا؟!!!.. إنني أجهل كل شيء عن تجاربه.. حتى لو كنت طبيبا فهذا لا يعني أنني سأتمكن من إنعاش رجل تحدى كل قوانين الطبيعة بتجربته هذه.

قلت برجاء كون هذا الرجل أملي الأخير:

- أرجوك ساعدني.. إنني أمام كارثة حقيقية.. لا أعلم كيف سأتصرف.. عائلته.. عائلتي.. الشرطة.. كيف سأواجه

كل هؤلاء وحدي؟!!.

قال ملوحا بيديه:

- أعلم.. أعلم.. أدرك أنك في موقف لا تحسدين عليه أبدا.. لقد ظللت طوال الطريق أفكر بالأمر.. فقول الحقيقة سيقضي عليه كونه سيعتبر ميتا في عرف الطب.. خاصة أن كل معدلاته الحيوية تشير إلى ذلك.. وبكل تأكيد أيضا ستطالك التحقيقات وربما تكونين متهمة بقتله حتى لو قدمنا للشرطة كل أبحاثه كدليل على براءتك.. الأمر قد يطول كثيرا قبل أن تخرجي من هذه الأزمة.. لذا....

سكت فجأة وأغمض عينيه.. ثم قال ببطء:

- أرى أن أنسب الحلول الكذب.. نعم.. الادعاء بأن زوجك قد خرج من البيت مع أحد أصدقائه مثلا ولم يعد منذ ذلك الحين.. هذا الحل الوحيد المتاح حاليا.. والواقع أنني لن أكذب عليك.. فهناك احتمال ألا أتمكن من إعادته إلى الحياة.. وأن يكون قد توفي.. توفي بالمعنى الذي نعرفه جميعا.

احتبست أنفاسي.. وبدأت دموعي تنهمر مرة أخرى وأنا أندب حظي وأتسائل بألم:

- لا أصدق أنه أقنعني بعمل جنوني كهذا.. لا أعرف كيف وافقته على هذه التجربة اللعينة!!!.

رد بأسى:

- ربما علم بقوة تأثيره عليك وبمحبتك الشديدة له.. فتمكن من إقناعك بأهمية هذه التجربة وكيف ستغير وجه العالم كما قلت لي بنفسك.. المهم الآن علينا أن نتركه في الثلاجة كي نحافظ على جسده من التعفن كما أوصى.. وسآخذ كل أبحاثه وأقرأها جيدا.. إنها الفرصة الأخيرة لمعرفة إن كانت هناك وسيلة لإنقاذه.. فإما أن نرفع الراية البيضاء ونستسلم.. أو ننقذه فعليا.. أعدك بالرد مساء الغد!!!.

سألته بذعر:

- هل تعني أنك ستتركني إلى مساء الغد أمام هذه الكارثة وحدي؟!!!!.

هز كتفيه بأسى وهو يقول:

- لا يوجد حل آخر مع الأسف.. أعدك أنني سأبذل كل جهدي.. خاصة أنه طلب منك تسليمي أبحاثه.. فهذا قد يعني ثقته بأنني سأتمكن من إنقاذه.. لكني أقولها لك بكل صدق أيضا.. أمور كهذه لا يدرسها الأطباء في كلية الطب

وربما لا يعرفون عنها شيئا.

آمل أن يكون محقا.. فكلامه منطقي إلى حد ما.. وإلا لماذا طلب زوجي أن أوصل أبحاثه إلى هذا الرجل في حال فشلت التجربة؟!.. لذا فقد شعرت ببعض الأمل الذي أنعشني قليلا رغم عدم ثقة الدكتور (سعود) بقدرته على مساعدتي كما قال للتو.

نهض بعدها استعدادا للخروج.. لكنه قال قبلها بحزم:

- أرجوك لا تخبري أحدا أنني قمت بزيارتك.. تذكري هذا.. فلا أريد أن تطولني التحقيقات لو فشلت -لا قدر الله- بإعادة زوجك.

هززت رأسي موافقة.. ليخرج أخيرا من الشقة ويتركني وحدي أمام هذه المصيبة.. كانت فرصة رائعة لإفراغ كل توتري.. لأنفجر في بكاء حاد.. غريزة الأنثى تخبرني أن زوجي لن يعود رغم تفاؤلي منذ لحظات بكلام الدكتور (سعود) الذي أعتقد أنه سيفشل في إيجاد حل.. وإنني عاجلا أم آجلا سأضطر إلى التستر على ما حدث وإخفاء الجثة ليصبح زوجي مفقودا طوال العمر.. أو الاعتراف بكل شيء.. لأكون حينها أمام مشكلة حقيقية.. فلا يوجد شيء في عرف القانون اسمه (موت من النوع الثالث) .. لقد

لعب زوجي بالنار واحترق.. هذا المثل يلخص ما حدث.. يا إلهي.. أشعر أن هناك عبئا ثقيلا جاثما على روحي.. وأشعر أيضا بالضعف.. بالإرهاق.. لأنني لم أنم منذ يومين تقريبا.. لذا فقد انهارت قواي.. وذهبت إلى السرير لأنام مباشرة دون أي مقدمات.. يبدو أن الإنهاك الجسدي يتغلب دوما على الإنهاك الفكري.

عندما استيقظت.. استغرق الأمر لحظات قليلة لأستوعب الكارثة التي حلت بي قبل النوم.. نظرت إلى الساعة في هاتفي النقال لأجدها وقد تجاوزت السابعة صباحا.. لقد نمت بعمق من شدة الإرهاق.. فنهضت من السرير متثاقلة شاعرة بضعف شديد.. ربما لأنني لم أتناول شيئا منذ صباح أمس.. هل أتصل بالدكتور (سعود) أم أنتظر اتصاله هو في المساء؟!.. على الأرجح سأنتظر.. وعموما لو كان قد توصل إلى شيء لاتصل هو.

ذهبت إلى المطبخ لألقي نظرة على جثة زوجي.. شيئا في داخلي جعلني أقدم على هذا التصرف.. ربما حدث ما لم يكن في الحسبان أثناء نومي.. مثل ماذا؟!.. لا أعلم!!.. أفتح الثلاجة بقلق.. ما يزال يرقد بسلام وقد بدا شاحبا للغاية.. أحاول بيأس أن أتحدث إليه دون أي رد منه كما

هو متوقع.. هل هو ميت فعليا؟!!.. أم يمر بـ(أعراض لازاروس) وقد فشلنا في إعادته؟!!.. ليتني أعلم؟!.. وكأن علامات الاستفهام تنهال علي من كل جهة حتى تغرقني!!.

أغلق باب الثلاجة.. ثم أتجه لأعد لنفسي وجبة بسيطة من البيض والخبز.. سيغمي علي لو لم آكل شيئا.. أنتهي من إعداد الوجبة وأذهب إلى غرفتي لألتهم الطعام ببطء وبذهن شارد.. يا إلهي.. لقد نسيت حياتي السابقة.. بل ونسيت أنني موظفة ومن المفترض أن أذهب إلى العمل ابتداء من الأسبوع القادم.. لحسن الحظ أن هاتف زوجي النقال لم يرن سوى مرتين أو 3 مرات على الأكثر.. ولو اتصل أحد أقاربي سأرد وأحاول التصرف على طبيعتي.. لقد تعبت.. تعبت من التفكير.

مرت الساعات بطيئة حتى إنني لم أفعل شيئا يذكر سوى التسكع في الشقة والجلوس أمام التلفزيون دون أن أشاهد منه شيئا.. المهم أن الوقت قد مر في النهاية.. الساعة الثامنة مساء.. يفترض أن يتصل الدكتور (سعود) خلال ساعة من الآن.. لا أظن أن ساعة إضافية ستغير شيئا.. خاصة أنني لم أتمكن من الانتظار أكثر.. لذا اتصلت أنا.. لكنه لم يرد.. أعدت الاتصال دون رد منه.. اللعنة.. هل قرر التخلي

عني؟!!.. ستكون كارثة حقيقية.. إنه يحمل معه كل ما يدل على أن زوجي قتل نفسه بنفسه.. يحمل الأبحاث والكاميرا التي وثقنا فيها تجربة (لازاروس) اللعينة هذه.

الوساوس تقتلني.. لكن.. الهاتف يرن أخيرا.. إنه الدكتور (سعود) بالفعل.. أجبت على الاتصال بلهفة.. ليخبرني باهتمام شديد أنه سيأتي لزيارتي الآن.. أسأله بلوعة أن يبلغني على الأقل إن كان قد توصل إلى شيء.. لكنه لم يمنحني الفرصة.. إذ أنهى المكالمة وسط تساؤلاتي التي لم تنته.. نصف ساعة عصيبة لا أعرف كيف مرت.. قبل أن أسمع صوت طرقات خفيفة على الباب.. فتحته وإذ بالدكتور (سعود) وهو يدخل سريعا دون أن يلقي التحية ليقول بطريقة تنم عن خطورة الموقف:

- اسمعيني جيدا يا (مشاعل).. سآتي بعمال لإخراج الثلاجة من هنا.. ومن ثم سأتخلص منها ومن جثة زوجك إلى الأبد.. لا يوجد حل آخر.. إن زوجك ميت.. أي محاولات لإعادته إلى الحياة ستكون عبثا.. يجب أن نخفي جثته وندّعي خروجه دون عودة حتى نتجنب اتهامك المحتمل بقتله.

شهقت بقوة وأنا أقول:

- هل تعني أن.. أن الأمر انتهى؟!.. ألم تتوصل إلى شيء من

أبحاثه؟!.. هل تتخلى عن صديق عمرك بهذه السهولة؟!.. أنا لا أصدق.. لقد كنت أنت الأمل الأخير.. كنت أنت الأمل الأخييييير!!!!.

قلتها وانغمست في بكاء حار.. إنها حقيقة أدركتها منذ الأمس لكني لم أتقبلها.. كان لدي أمل ضئيل بعودة زوجي إلى الحياة.. لكن الآن اتضحت الصورة كاملة.. لقد تحققت مخاوفي وفقدته إلى الأبد.. الدكتور (سعود) ينظر إلي بألم.. ثم يقول:

- زوجك هو صديق عمري وحياتي فداء له.. وأنت زوجته.. لذا لن أتخلى عنك أبدا.. وكما يقال فإن الحي أبقى من الميت.. هذا ما يجعلني أفكر حاليا بإنقاذك أنت بعد أن فقدنا الأمل بإنقاذه هو.. اسمعيني جيدا.. يجب أن نتخلص من جثمانه.. فلا أستطيع أن أعيده إلى الحياة.. ولا أفهم في الواقع لماذا طلب منك تسليمي أبحاثه.. إنها تفوقني علما بكثير.. لقد كان زوجك متفوقا شديد الذكاء كما عرفته دوما.. المهم الآن.. ستتصلي بالشرطة بعد خروجي لتبلغيهم أن زوجك قد خرج مع صديق له ولم يعد منذ ذلك الحين وهو لا يجيب على اتصالاتك.. وسأخرج الثلاجة من هنا لاحقا وأضعها على متن قارب أستخدمه للصيد وسأذهب

إلى أبعد نقطة ممكنة لأرميها هناك بعد أن أتأكد من وضع كل الأثقال اللازمة حولها وإحكام غلقها حتى لا تخرج إلى السطح.. إنها الطريقة الوحيدة المضمونة كي يظل زوجك مفقودا إلى الأبد دون أن يعثر عليه أحد.

رغم الألم وحزني الشديد وقلقي.. إلا أنني وجدت الحل مقنعا جدا صراحة.. هذا سيخرجني من مصيبة لا ناقة لي فيها ولا جمل.. نعم سيظل زوجي مفقودا إلى الأبد.. نعم سأظل حزينة لفقده.. لكني على الأقل سأكون بعيدة عن الشبهات.. كل ما يتوجب علي لعب دور الزوجة الملتاعة.. من يلومنا على هذا التصرف؟!.. فأنا لا أعلم تبعات إبلاغ الشرطة بالأمر.. نحن نتحدث عن قضية ستثير تساؤلات عديدة ولا أعرف بأي منظور سيراها القاضي أصلا.. لكني بكل تأكيد لن أخرج منها بسهولة.. يجب التفكير بمصيري أيضا.. وأنا لا أريد القضاء على مستقبلي.. فالحي أبقى من الميت كما قال الدكتور (سعود).. يا إلهي.. وأنا التي ظننت أن الزواج برجل في سن أبي سيجنبني المشاكل.. يا لي من حمقاء!!!.

المهم أنني وافقت الدكتور (سعود) على خطته قبل أن يفجر القنبلة حين قال صراحة ونبهني أنه لن يتمكن من

التخلص من الثلاجة الآن كوني سأتصل بالشرطة بعد قليل لأبلغهم بتغيب زوجي.. ونقل الثلاجة وسط هذه الظروف سيثير انتباه الجيران بالطبع.. وهذا الأمر قد يصل إلى رجال الشرطة إذا ما فتحوا تحقيقا موسعا حول اختفاء زوجي.. لذا فإنه يرى أن أبقي كل شيء كما هو.. لتسير التحقيقات بصورتها الاعتيادية وتمر الصدمة على عائلته وعائلتي.. ثم سيزورني بعد أن تهدأ الأمور لينقل الثلاجة إلى القارب ويتخلص منها في أعماق البحر كما علمنا.

تخيلوا أن تظل جثة زوجي في ثلاجة شقتي لأيام يعلم الله متى ستنتهي.. إنه كابوس علي أن أعيش تفاصيله كل يوم.. لا.. هذا لن يحتمل.. و.. بذعر شديد.. طلبت من الدكتور (سعود) أن يقوم معي بتجربة إعادة زوجي إلى الحياة لمرة أخيرة.. فمن يدري.. ربما يحدث شيء وننجح هذه المرة.. لن أحتمل أبدا وجود جثة هامدة في ثلاجة شقتي فترة ليست بالقصيرة قبل التخلص منها.. أما الانتقال للإقامة عند أمي فسيتركني قلقة أيضا كون الشقة ستكون خالية وقد يدخلها أحدهم ويكشف كل شيء.. من سيدخلها؟!.. لا أعلم.. لكنها البارانويا التي جعلتني أضع كل احتمال أسود في عين الاعتبار.

وأمام نظرات الذعر هذه.. نظر إلي الدكتور (سعود) بدوره بأسف وكأنه يقول:

- لا جدوى هنالك يا (مشاعل).

لكنه امتثل لكلامي أمام إلحاحي.. لنتجه معا إلى المطبخ.. حيث فتحت باب الثلاجة ورحت أتأمل جثة زوجي بحزن شديد.. و.. قبل أن ألتفت للدكتور (سعود) كي أطلب منه حمل الجثة لمحاولة إنعاشها للمرة الأخيرة.. وفي زحمة أفكاري وخواطري المبعثرة.. حدث أهم تحول في أحداث قصتي هذه.. تحول جذري علمت بسببه كم أنا حمقاء!!!!.. نعم.. أنا حمقاء.. وأقولها الآن بكل ثقة أن لا أحد في هذا العالم مثل أبي رحمه الله.. جميع الرجال أوغاد يا دكتور.. جميعهم باستثناء أبي.. وأرجوك أن تعذرني.. هذا رأيي ولن يتغير!!!!.. لماذا أصف نفسي بالحمق؟!.. لأنني فتحت الثلاجة أكثر من مرة سابقا لكني لم أنتبه إلى ما وقعت عيناي عليه للتو.. ربما لأن منظر جثة زوجي هو الذي كان يسيطر على بصري فلم أنتبه لأي شيء آخر.. لكني انتبهت هذه المرة إلى أن الثلاجة عميقة للغاية كونها ثلاجة أفقية كما تعلمون.. ورغم ذلك.. فإن الجثة لم تكن ملتصقة بالقاع.. هناك فراغ كبير نسبيا تحت جثته الموضوعة على

لوح معدني!!!.. فما الذي يحويه هذا الفراغ؟!!.. لم أنقل خواطري تلك للدكتور (سعود) الذي نظر إلي دون فهم في بادىء الأمر وأنا أدفع جثة زوجي إلى الجانب.. محاولة أن أزيح اللوح الذي تحته بما يسمح لي معرفة ما يحويه قاع الثلاجة.. وعندما فهم الدكتور (سعود) ما أنوي فعله.. حاول منعي!!!.. لكنه كان متأخرا.. لماذا حاول منعي؟!!.. ستعرفون بعد قليل.

المهم الآن.. ما الذي عثرت عليه؟!!.. حسنا.. استعدوا للصدمة.. لقد عثرت على جثة أخرى!!!.. نعم.. جثة أخرى متجمدة ترقد بسلام تحت جثة زوجي!!!.. عيناي متسعتان على آخرهما.. أنفاسي توقفت وأنا أحدق غير مصدقة ما أراه.. ما الذي يعنيه هذا؟!.. أبعدت جثة زوجي بكل قوتي إلى الجانب محاولة أن أرفع اللوح المعدني أكثر وسط صمت واستسلام الدكتور (سعود).. أنظر إلى ملامح الجثة بدقة.. إنها فتاة!!!.. فتاة شقراء جميلة جدا رغم أنها أصبحت الآن دمية خالية من الحياة.. لكن.. من هي هذه الفتاة؟!.. ولماذا جاء بها زوجي إلى هنا؟!!.. لماذا لم يخبرني بشأنها؟!.. هل أجرى تجربته عليها سابقا وفشلت مثلا؟!!.

ظللت أنظر حولي بضياع غير مصدقة أنني أمام جثتين الآن..

لقد تحول المكان فجأة إلى مشرحة مصغرة!!!.. ألتفت إلى الدكتور (سعود) بسرعة وكأنني أطلب منه توضيحا.. أرى نظرات الخجل والقلق في عينيه وكأنه وقع في مأزق رهيب.. إنه يخفي شيئا ما.. بالطبع.. لهذا حاول منعي منذ قليل من اكتشاف ما تحت جثة زوجي.. جلست على الأرض لأن قدميّ لم تحتملا المفاجأة.. وسألته بدهشة بالغة:

- ما الذي تعرفه عن هذه الفتاة؟!!.. أرجوك.. لقد فات الأوان لإخفاء السر عني!!!.

لسانه ينعقد.. يتنحنح بخجل.. لا يعرف كيف يتحدث.. ثم.. يبدو أنه قرر مصارحتي.. إذ قال وهو يزفر عالما أن لا فائدة بعد الآن من الإنكار:

- حسنا يا (مشاعل) لن أكذب عليك.. ولا أعتقد أن الأمر سيضر كثيرا لو علمت بالحقيقة.. نعم.. أنا أعرف هذه الفتاة.. إنها حبيبة زوجك السابقة قبل زواجه منك!!!.

صحت بذعر وقد انقبض قلبي:

- يا إلهي.. هل قتلها؟!.. هل مارس عليها تلك التجربة اللعينة أيضا؟!!.

لم يجب على سؤالي.. بل قال مباشرة:

- أنت تعلمين بأمر الحادث الذي تعرض له زوجك منذ سنوات.. أليس كذلك؟!!.

أومأت برأسي إيجابا.. ليكمل باهتمام:

- ربما تجهلين أنني لست صديق زوجك فقط.. بل كنت زميله في الدراسة أيضا.. وقد هرعت سريعا إلى المستشفى آنذاك حالما علمت أنه تعرض لحادث مروري.. وعند وصولي.. أخبرتني إدارة المستشفى أنه توفي متأثرا بإصاباته.. لن أتحدث عن الحزن والصدمة التي مررت بها حينها.. فهذه أمور مفروغ منها.. بل ما حدث بعد مرور حوالي ساعة من وفاته.. عندما ذهبت إلى إدارة المستشفى محاولا إنهاء الإجراءات واستخراج تقرير الوفاة.. قبل أن أفاجأ بالأطباء ينادونني سريعا لأن زوجك عاد إلى الحياة فجأة وبمعجزة غير مفهومة!!!.. الأمر الذي منحهم الوقت الكافي لإنقاذه فيما بعد.. خاصة أنه بدا لهم بحال أفضل دون أن يفهموا السبب.. في البداية ظننت أن الأطباء أخطؤوا في تشخيص حالته وظنوه ميتا.. ولم أكترث كثيرا لذلك بسبب سعادتي البالغة كون صديق عمري لا يزال على قيد الحياة.. علما بأن أي منا لم يكن قد سمع بـ(أعراض لازاروس) حينها.. حتى إنني اتجهت ناحيته بلهفة وجلست بجانبه.. ليلتفت

إلي ويخبرني بصوت منهك وكلمات متقطعة -بسبب سوء حالته- أنه التقى للتو بفتاة رائعة خلبت لبه.. فتاة أحبها وأحبته وهو مستعد أن يتبعها إلى آخر العالم!!!.

شعرت بغصة تشعر بها أي أنثى حين تعلم أن زوجها كان على علاقة بفتاة ما.. فسألته بألم:

- لا أفهم.. متى حدث ذلك؟!!.. وكيف التقى بها؟!.. وهل هي نفسها الفتاة الموجودة معنا الآن؟!.

أومأ برأسه إيجابا ببطء وهو يقول:

- نعم إنها هي.. لقد أخبرني زوجك أنه التقى بهذه الفتاة أثناء موته.. وقبل عودته المفاجئة إلى الحياة.

اتسعت عيناي بدهشة وأنا أنظر إليه.. ليتنحنح بحرج ويكمل:

- لقد ظللت أستمع إليه دون أن أحاول مجادلته كونه في حالة صحية حرجة جدا آنذاك وبالكاد قادر على التحدث.. فأخبرني أنه انتقل إلى عالم آخر مجهول.. ليس عالم الموتى.. وليس عالم الأحياء بكل تأكيد.. يقول إنه التقى في ذلك العالم بكل من كانوا يمرون بـ (أعراض لازاروس) حينها.. منهم هذه الفتاة الشقراء التي خلبت لبه ووقع في

غرامها.. حتى إنه طلب مني التأكد إن كان ما مر به مجرد هلوسات أم تجربة حقيقية.. المشكلة أن الفتاة كانت في إحدى مستشفيات (هولندا)!!!.. وقد تطلب الأمر بعض الوقت للبحث عن رقم هاتف المستشفى في (الإنترنت).. إلى أن عثرت عليه.. وحين اتصلت.. صعقت بوجود الفتاة في عالم الواقع بالفعل وقد أعلن الأطباء موتها منذ ساعات قليلة.. أي أنها فتاة حقيقية وليست من عالم الأحلام!!!.. فطلبت من الأطباء أن يتركوا جثتها في الثلاجة.. وتعللت بحاجتنا إلى جسدها لنقله إلى كلية الطب في (الكويت).. وقد حصلت على موافقة من أهلها بعد أن قمت بإغرائهم بمبلغ كبير من المال كما طلب مني زوجك.

رحت أزدرد لعابي والغصة تكاد تخنقني.. ليكمل وهو يزفر بقوة:

- لقد سافرت إلى (هولندا) واحتفظت بجثة الفتاة في ثلاجة أفقية كبيرة كهذه في شقة استأجرتها بناء على طلب من زوجك أيضا.. وذلك بعد التوقيع على جميع الأوراق الرسمية لإدارة المستشفى ودفع المبلغ الذي طلبه أهل الفتاة.. وعندما تعافى زوجك من إصاباته واستعاد صحته.. راح يفكر بطريقة لإرجاع حبيبته هذه إلى الحياة..

فدرس كل ما تعرض له.. وعرف حينها أنه مر بـ (أعراض لازاروس).. لكنه ظل عاجزا عن إنقاذ الفتاة.. خاصة وأنها نفسها أبلغته أثناء انتقاله إلى ذلك العالم ألا يحاول إعادتها إلى الحياة أصلا كونها موجودة في عالم نقي طاهر لا ترغب بتركه أبدا.. لذا بدأ يفكر بطريقة عكسية.. أن يمر هو بهذه التجربة لينتقل إلى ذلك العالم ويبقى فيه مع حبيبته إلى الأبد.

سكت طويلا وهو يسترجع أحداثا ماضية.. ثم قال بابتسامة حزينة:

- لقد ظل يؤكد لي أن الزمن في ذلك العالم مختلف عن زمننا الفعلي.. فالساعة التي فارق فيها الحياة والتقى فيها بتلك الفتاة بدت له وكأنها شهورا طويلة من زمننا الفعلي.. تماما كما يحدث لنا في عالم الأحلام حين تستغرق أحلامنا لحظات قليلة لكنا نشعر خلالها بأنها ساعات أو حتى شهور.. ثم راح يكرر على مسامعي أن المكان الذي كان فيه مع حبيبته جميلا رائعا نقيا لا يصدق.. ومن يراه مرة لا يمكن أن يرغب في الحياة مرة أخرى في عالمنا المادي!!!.

سألته بانكسار ولوعة:

- لماذا تزوجني أصلا إذا كان يحب هذه الفتاة؟!.

قال بأسف:

- لأنه حاول أن ينساها ويتزوج كباقي الناس ليعيش حياته.. لكنه عجز عن ذلك.. وعلم منذ الشهور الأولى لزواجكما بأن قلبه ملكا لتلك الفتاة وأنه لن يتمكن من نسيانها أبدا.. لذا استمر في أبحاثه دون علمك إلى أن توصل لطريقة التعرض لـ(أعراض لازاروس) هذه.. ومن ثم البقاء مع حبيبته إلى الأبد.. الطريقة أن يسحب الطاقة التي تحيط بجسده كما فعلتِ معه.. ثم نبقي جسده متجمدا بعدها.. لهذا السبب أيضا لم تعد حبيبته إلى الحياة أبدا بعد موتها.. لأنني طلبت من المستشفى آنذاك إبقاء جسدها في الثلاجة.. لم يكن زوجك يعلم أن إبقاء الجسد باردا في الثلاجة هو سر استمرار الإنسان ليعيش (أعراض لازاروس) إلى الأبد.. لكن أبحاثه فيما بعد أكدت له ذلك.. وعندما توصل إلى طريقة التعرض للموت المؤقت هذه.. قام بتجربتها أول مرة للتأكد من نجاحها.. ثم قام بها في المرة الثانية على أمل أن تلتزمي بتعليماته وتضعيه في الثلاجة قبل أن يعود إلى الحياة.. و.. هذا ما حدث.

هل مشاعر الحقد المسيطرة علي طبيعية؟!!.. هل يعقل أن يتحول الحب إلى كراهية في لحظة واحدة؟!.. لماذا يبدو

زوجي الآن وكأنه أبشع مخلوق عرفته في حياتي؟!!.. إنها الخيانة دون شك.. لقد خانني.. خانني حتى بعد موته!!!.. كان يستغلني طوال تلك الفترة كجسر عبور ليكون مع حبيبته!!!.. أشعر بغصة في الحلق ترجمتها من خلال دموعي التي انحدرت بصمت.. ليكمل الدكتور (سعود) بأسف شديد:

- لقد أخبرني قبل زواجكما أنه ينوي دراسة (أعراض لازاروس) بجدية لأنه يريد المرور بها مرة أخرى ليلتقي بحبيبته في ذلك العالم المجهول ويبقى فيه إلى الأبد.. حتى أنه توسل إلي أن أساعده في أبحاثه.. لكني رفضت لأسباب كثيرة.. خوفي على حياته أولا.. وخوفي من العواقب ثانيا.. فهذا الأمر قد يقضي على حياتي ومستقبلي لو مات زوجك وفشلت في إعادته.

سألته بعينين دامعتين شاعرة أنني مظلومة إلى حد لا يصدق:

- كنت تعرف كل هذه التفاصيل لكنك لم تمنعه وتركته يتلاعب بي كما يشاء؟!!.. تركت زوجي يخدعني طوال فترة زواجنا؟!!.

رد متأثرا وهو يلوح بيده:

- لا.. لا.. صدقيني لم أكن أعرف شيئا.. لقد ظننت أن زوجك نسي أمر تلك الفتاة.. خاصة حين تعرف بك وتزوجك.. لكني فوجئت باتصالك مساء أمس ثم بالرسالة التي تركها لي بين أوراق الملف الذي أخذته منك حيث شرح فيها كل ما أخبرتك به.. رسالة كتبها باللغة الإنجليزية يرجوني فيها أن أحتفظ بجسده وجسد الفتاة سليمين في شقة قام هو بشراءها منذ مدة.. وطلب مني وضع الثلاجة في تلك الشقة والإبقاء على جسديهما بهذه الصورة.. فكما علمت الآن.. إبقاء الجسد متجمدا هو الوسيلة لإبقاء الإنسان تحت (أعراض لازاروس) إلى الأبد.. وهذا يعني أن زوجك وحبيبته سيظلان معا في عالمهما إلى الأبد أيضا.. أستطيع أن أقول إن زوجك خدعك.. ووضعني أمام الأمر الواقع لأساعده رغما عن أنفي بعد أن رفضت مساعدته في بادىء الأمر.

سألته بتخاذل وأنا أمسح دموعي:

- كيف علم أنك ستحقق رغبته إذا كنت تجهل نواياه كما تقول؟!.

رد وهو يمط شفتيه:

- لا يوجد حل مضمون بعد موته كما تعلمين.. كان

يجب أن يأخذ تلك المخاطرة ويضعني أمام الأمر الواقع لتنفيذ طلبه.. لقد فوجئت أيضا بوجود شيك بمبلغ ضخم بين الأوراق محاولة منه لإقناعي بتنفيذ رغبته.

أنظر إلى الفراغ وقلبي يغلي غضبا وحزنا في مزيج غريب لا أعرف كيف أصفه لكم.. أحاول أن أجمع تفاصيل تلك القصة لأفهمها.. لقد كان زوجي في مرحلة من الموت يطلق عليها اسم (أعراض لازاروس) كما علمنا جميعا.. وهي مرحلة غامضة يجهلها العلم.. وكل ما نعرفه عنها هو أن الموتى يعودون فيها إلى الحياة بصورة مفاجئة لكن بفترات زمنية تختلف من شخص لآخر.. وقد التقى زوجي أثناءها بفتاة كانت تمر بتلك التجربة أيضا.. فعرف بأن الفتاة موجودة على أرض الواقع وقد تعود في أي لحظة إلى قيد الحياة.. وعندما عاد هو إلى الحياة فعل المستحيل ليخرجها من المستشفى ويأتي بها إلى (الكويت).. هناك عشرات الطرق لذلك.. منها مساعدة أحد أصدقائه الذين لديهم جواز ديبلوماسي لن يسمح لأحد بتفتيشه في المطار مثلا.. ثم راح يبحث عن طريقة يعيد فيها حبيبته إلى الحياة.. لكنه فشل.. حينها قرر أن يعثر على وسيلة ليذهب هو إلى ذلك العالم ليكون معها دون أن يتعرض

للموت البيولوجـي الذي نعرفه جميعا.. يا إلهي.. قصة معقدة تصيبني بالصداع.

قلت بحزن شديد:

- والآن ماذا؟!.

رد متنهدا:

- لا أستطيع خيانة زوجك.. الأمر لا يتعلق إطلاقا بالمبلغ الذي تركه لي.. لكنه وثق بي وسلمني حياته إن صح التعبير.. ويجب أن أكون بقدر ثقته.. خاصة أننا لا نستطيع أن نفعل شيئا الآن لنصحح خطأه.. أي تصرف آخر منك سيكون بمثابة الانتقام.. وأنا أرفض هذا المبدأ.. سآخذ الثلاجة بأكملها بعد أن تبلغي الشرطة بأمر اختفائه.. وليظل زوجك مفقودا طوال العمر.. لا يوجد حل آخر.. أنصحك بالسكوت ونسيان الأمر برمته بعد ذلك.

وكأنه يقول.. لقد خدعك زوجك وانتهى الأمر.. اضربي رأسك في الحائط!!!.. المصيبة أنه محق في كلامه.. هذا الحقير (استخدمني) لمساعدته في تجاربه للوصول إلى حبيبته عالما أنه سيضعني في مأزق حقيقي.. لكنه لم يهتم بما قد يحدث لي بعدها.. كان يحتاج إلى معاون فقط.. وأنا ساعدته

بدوري بكامل إرادتي ولأذهب بعدها إلى الجحيم.. المهم أن يعيش سعيدا مع تلك الشقراء في ذلك العالم الآخر المجهول.. الجملة الأخيرة غريبة حين نتذكر أن زوجي في كل مقاييس الطب عبارة عن جثة هامدة في الثلاجة مع حبيبته!!!.

انهمرت دموعي دون توقف أمام نظرات الدكتور (سعود) المشفقة.. عليك أن تكون أنثى يا دكتور لتشعر بطعم الخيانة والغدر.. خاصة حين يستخدمك أحدهم كجسر عبور للوصول إلى فتاة أخرى!!!.. حتى إنني شعرت برغبة قوية في البصق على جثة زوجي!!!.. بل وشعرت للحظة برغبة في الاتصال بالشرطة وإبلاغهم بكل ما حدث كي يقوموا بدفنه ليموت فعليا ونحرمه من الحياة الأبدية التي يرغبها مع حبيبته.. نعم.. علي وعلى أعدائي كما يقولون.

نقلت كلامي هذا لصديقه.. فصعقت به وهو يقول:

- المعذرة.. سأنكر كل شيء لو وضعت زوجك في هذا المأزق وتسببت بموته فعليا.. أعلم أنه ميت الآن في عرف القانون.. لكني أعلم جيدا أيضا أنه على قيد الحياة في مكان آخر.. ولن أسمح بموته.. إنه صديق عمري.. صدقيني.. أفضل ما تفعلينه هو ترك جسده في ثلاجة شقتك بعض الوقت وإبلاغ الشرطة عن اختفائه.. وبعد أن تهدأ الأمور.. سآتي وأحمل الجسدين

لنقلهما إلى تلك الشقة إلى الأبد.. أي تصرف آخر غير هذا سيضعك في مأزق أنت في غنى عنه.. خاصة أنك لا تحملين دليلا على كلامي.. الملف وشريط التصوير موجودان معي كما تعلمين.. نعم زوجك خدعك.. لكن لا يوجد ما نستطيع فعله الآن.. لحسن الحظ أنك صغيرة في السن وتستطيعين تجاوز ألم الصدمة والبدء من جديد.

سألته بحنق:

- لماذا كذبت علي في بادئ الأمر وقلت إنك ستتخلص من الجثة في البحر؟!!.

رد متعاطفا:

- لأنني أدرك جيدا أن الأمر سيكون مؤلما لو علمت بالخدعة.. لكنك كشفت وجود الجثة الأخرى.. ولاحظت ارتباكي حين حدث ذلك.. فلم يكن هناك مفر من إخبارك بكل شيء!!!.

أنظر إليه مصدومة وقد تذكرت أمرا مؤلما.. فحين عاد زوجي إلى الحياة في التجربة الأولى.. كان أول ما قاله هو: ((حبيبتي.. أحبك))!!.. يبدو أنه كان يقصد تلك الشقراء التي ذهب إلى عالمها.. وقد تأثرت كثيرا حينها ظنا مني أنه

يوجه كلامه لي .. يا لي من حمقاء.

و.. لم يعد هناك ما يقال.. لقد انتهى زواجي بطريقة غريبة ومؤلمة.. انتهى بموت زوجي حسب عرف القانون.. وخروج جثته من حياتي إلى الأبد بعد أن نفذ الدكتور (سعود) الوصية وأخذ الثلاجة إلى تلك الشقة التي لم أسأله حتى عن مكانها.. بالطبع مررت قبلها بتحقيقات ومشاكل كثيرة حين أبلغت الجميع عن اختفاء زوجي.. حيث مثلت البكاء ولعبت دور الزوجة الملتاعة التي تبحث عن زوجها في كل مكان رغم أن قلبي ظل ينزف دما لما فعله بي.. دعكم من مشاعر القلق والتوتر وأنا أقضي أيامي في هذه الشقة بوجود جثتين في المطبخ.. قبل أن يخرج الدكتور (سعود) الثلاجة بأكملها من شقتي ومن حياتي كلها!!.

لقد جعلتني هذه القصة أكره جميع الرجال!!!!.. وأيقن أن كل رجل مشروع خائن.. وهذا -المعذرة- يشملك أنت أيضا يا دكتور.. كما أنني انتبهت فيما بعد إلى أنني يجب أن أتوقف عن البكاء.. لأن هذا الوغد لا يستحق دموعي.. نعم.. قررت أن أنسى من سبب لي الألم.. لكن لن أنسى أبدا ما تعلمته من هذا الألم!!.. دعكم من الحقيقة المخيفة التي أعرفها ويجهلها الجميع.. أن هناك نوعا من الموت لا يعرفه

أحد.. ويختلف عن الموت السريري والبيولوجي.. نوع ثالث ينتقل خلاله الإنسان إلى مكان جميل نقي طاهر.

لا أنكر أيضا أنني فكرت بخطوة مخيفة.. أن أمر بنفسي بـ(أعراض لازاروس) هذه وأرى كيف شكل ذلك العالم.. بل إن الفكرة لا تزال تستهويني كوني لا أزال أحتفظ بذلك الجهاز رغم مرور بضعة شهور على تلك الحادثة.. ربما أنفض هذه الفكرة من رأسي بعد أن أنتقل قريبا إلى بيت العائلة بين والدتي وشقيقاتي كون الأمور قد هدأت الآن بعد عاصفة اختفاء زوجي وتحقيقات الشرطة.. دون أن يتخيل أحد منهم ولو للحظة.. أنه يرقد بأمان في ثلاجة!!!.. حيث يعيش حياة أبدية مع حبيبته في عالم آخر مجهول من خلال هذا النوع الغريب والغامض من الموت.. النوع الثالث!!!.



حكاية مليون دينار!!

تحكيها: روان

العمر: 21 عاما

أوصاف هامة: نحيلة الجسد متوسطة القامة..

ترتدي النقاب فلم أرَ منها سوى عينيها.

أعتذر منكم في بادىء الأمر لحرصي الشديد على عدم الكشف عن هويتي وارتدائي النقاب.. لأنكم في نهاية الأمر مجموعة من الأغراب مهما كان لقاؤنا هذا حميميا!!.. فلا يمكن أن أثق بكم وأهدد مستقبلي كوني ارتكبت فعلا يعاقب عليه القانون كما سيتضح لكم من أحداث قصتي.. ولا شك أنكم تترقبون قصة غريبة تثير خيالكم وتجعلكم تتسائلون عن مصداقيتها.. لكن تصديقكم من عدمه لا يهمني مع خالص احترامي لكم.. المهم أن أفرغ ما بجعبتي وأجعلكم تشاركونني هذا السر الذي يثقل كاهلي.. فنحن لم نجتمع هنا لنروي تجارب عادية وإلا لما اجتمعنا أصلا.. خاصة أنني أرى أن قصتي تصلح للقائنا هذا دون شك رغم أن بدايتها تقليدية مخيبة للآمال!!!.

لقد بدأ كل شيء بمعاكسة عابثة في مجمع (الأفنيوز) التجاري أثناء تسوقي مع قريباتي.. حين لاحظت ذلك الشاب الذي يلاحقنا في كل مكان ويرمقني أنا تحديدا بإعجاب شديد ويبذل قصارى جهده للفت انتباهي.. بطبيعة الحال لم أعره أي اهتمام في بادىء الأمر.. فقد اعتدت تلك الملاحقات كما اعتادتها معظم الفتيات في (الكويت).. لكنني فوجئت بنظراته الحزينة المترقبة حين

لاحظ إهمالي وعدم اهتمامي بمحاولاته.. لذا رحت أختلس النظر إلى ملامحه بنظرات سريعة.. فبدا لي شابا على قدر من الوسامة.. متوسط القامة نحيل الجسد.. وله شعر أسود طويل نسبيا أرجعه إلى الخلف مما زاده وسامة.

أصدقكم القول أن نظراته الثاقبة التي يقطر منها الإعجاب أثارت فضولي إلى حد ما.. فلم يكن عسيرا أن أتخذ قراري وأسعى للحصول على رقم هاتفه بعيدا عن قريباتي حين أخبرتهن أنني ذاهبة إلى دورة المياه.. إذ فهم ذلك الشاب مباشرة ما أنتوي فعله ولحقني بدوره ليلقي علي التحية بكلمات عجولة ويمنحني رقم هاتفه الذي قمت بحفظه سريعا في هاتفي.

كانت هذه البداية.. وكما قلت فهي بداية تقليدية للغاية.. فقد اتصلت به يومها وعرفت عنه كل شيء تقريبا في محادثة استمرت أكثر من ساعتين حيث أبدى إعجابه الشديد بي وأن شيئا في قلبه تحرك حين رآني.. ثم تحدث بعد ذلك عن نفسه وأخبرني أنه ينتمي إلى أسرة مفككة عصفت بها الكثير من الخلافات.. كما أنه فشل في دراسته ولم يكمل تعليمه لينتهي به الأمر في وظيفة حكومية عادية.. وقد أخبرني صراحة أنه لا يملك أي طموح في حياته ويقضي جل وقته

مع أصدقائه.. الغريب أن شابا كهذا لم يكن ليستهويني أبدا.. فأنا أدرس في الجامعة ولدي طموح كبير للمستقبل.. ودائما أنظر لمن هم مثل هذا الشاب نظرة دونية كونهم فاشلين اعتادوا حياة الرفاهية ولا يفكرون بالمستقبل.

لكني وجدت نفسي مع مرور الأيام أنزلق في مستنقع تلك العلاقة لتتطور فجأة إلى قصة حب غيرت مفاهيمي تماما عن العريس المنتظر!!!.. وعندما تقدم الشاب لخطبتي كما يحدث دوما في قصص الحب.. كان إقناع أسرتي عسيرا بسبب مؤهلاته المعدومة تقريبا.. لكني أصررت على موقفي وقاتلت من أجل حبي.. ووجد أشقائي أنفسهم في حرج شديد أمام عنادي.. فهم المسؤولون عني بعد وفاة والديّ -رحمهما الله- منذ سنوات.. لذا لم يجدوا بدا في النهاية من الخضوع لعنادي والموافقة على هذا الزواج.

أعترف أن حفل الزفاف لم يكن أبدا بمستوى أحلامي.. إذ كان عاديا لا يوجد ما يستحق الذكر بشأنه.. لكني ظللت أقنع نفسي أنها مجرد ليلة لا تستحق البذخ والمصاريف الزائدة وإن كانت ليلة في العمر كما نقول دوما.. نعم.. كان الحب هو الذي يقودني ولم أكن أنظر إلى المادة إطلاقا حينها.. وقد تظنون أن هذا شعورا نبيلا مني.. ربما هو كذلك.. لكن

يجب أن أعترف أيضا أن مفهوم الحب بالنسبة لي قد انهار سريعا بعد شهور قليلة من زواجنا حين اتضحت لي تلك الحقيقة البديهية.. وهي أن الحب وحده لا يصنع الزواج الناجح.. فقد انتبهت إلى حجم تضحيتي حين وجدنا أنفسنا أمام صعوبات مادية تجعلنا نحسب كل خطوة نخطوها كي يكفي راتب زوجي إلى نهاية الشهر.. نحن نتحدث عن إيجار شقة وقسط سيارة وفواتير.. إلخ.. دعكم من الإعانة الشهرية البسيطة التي أستلمها من الجامعة والتي كانت بالكاد تكفي احتياجاتي.. وقد تم تأجيل موضوع الإنجاب بالطبع كوني علمت أن زواجنا لا يقف على أرضية صلبة.. آملة أن تتحسن الأمور عندما أتخرج وأحصل على وظيفة تحقق لي جزءا من الأمان المادي.

ورغم كل شيء.. ظلت علاقتي بزوجي طيبة لا تختلف عن أي حياة زوجية مستقرة.. إذ كان يخرج مع أصدقائه بين الحين والآخر كأي شاب.. لكنه بالمقابل يمنحني الوقت الذي أحتاجه.. لذا لم أكن أعترض على خروجه.. خاصة مع دراستي التي كانت تستغرق من وقتي ساعات طويلة.. إلى أن جاء ذلك اليوم حين أخبرني زوجي أنه على وشك الدخول في مشروع تجاري مع أحد أصدقائه يتعلق ببيع

وشراء السيارات المستعملة.. وهو ما يفعله عدد كبير من الشباب في (الكويت).. منهم أحد أشقائي نفسه.. فاستقبلت هذا الخبر بسعادة وقمت بتشجيعه والثناء عليه كونه بدأ يفكر بطريقة إيجابية لتعديل وضعنا المادي.

ويبدو أن تجارته هذه كانت ناجحة بالفعل.. أو هذا ما بدا لي على الأقل.. ففي أسابيع قليلة بدأت حالتنا المادية تتحسن تدريجيا.. وبدأ زوجي يشتري لي بعض الهدايا التي لا يمكن أن يشتريها عادة براتبه.. وراح يمنحني مصروفا محترما يسمح لي بشراء كماليات كثيرة لم أكن أحلم بالحصول عليها.. حتى فاجأني ذات يوم حين أخبرني أننا سننتقل إلى شقة أكبر وأرقى بكثير من شقتنا الحالية!!!.

لقد شعرت حينها أن حياتنا في طريقها إلى الأفضل.. وأن الأمور ستكون بخير.. حتى إنني بدأت أفكر جديا بالإنجاب بعد التخرج.. خاصة أن زواجنا ظل هادئا مستقرا رغم زيادة فترات غياب زوجي وخروجه بصورة شبه يومية بسبب تجارة السيارات هذه.. دون أن أتصور للحظة أنني كنت أعيش وسط سلسلة من الأكاذيب!!.

فقد فوجئنا برجال الشرطة يطرقون باب شقتنا بقوة في وقت متأخر ذات يوم ويأمروننا أن نفتح لهم.. أتذكر أن

زوجي استيقظ من النوم متوترا وبشكل يوحي أنه ارتكب جرما بالفعل وقد سقط أخيرا في الفخ!!!.. أما أنا فكنت في حالة صدمة غير مصدقة أن المشهد الذي أراه كثيرا في السينما يحدث واقعا في حياتي.. أرى زوجي يلتفت بذعر متجاهلا كل تساؤلاتي وصراخي محاولة أن أفهم منه ما يحدث.. ثم أجده ينهض من السرير ويرتدي ثيابه بسرعة ليذهب إلى الصالة باحثا عن وسيلة للهرب.. لكن.. يبدو أنه لم يجد الوقت الكافي للتصرف.. إذ قام رجال الشرطة بكسر الباب واقتحام الشقة للقبض عليه!!!.

لقد تسبب دخولهم بفوضى هائلة.. حتى إنني ارتديت عباءتي على عجالة لأخرج وأصرخ بهم بكلمات مبعثرة وأسألهم عن سبب وجودهم واقتحامهم شقتنا بهذه الطريقة.. لكنهم تجاهلوني وأمسكوا بزوجي ليتم تقييده وسط صراخي ودموعي.. قبل أن تمسك شرطية بيدي وتأخذني إلى غرفتي لتخبرني ما لم أتوقعه أبدا.. أن زوجي يتاجر بالمخدرات منذ مدة ليست بالقصيرة بعد أن أغراه بريق المال والكسب السريع وأصدقاء السوء!!!.. هذا ما قالته لي الشرطية وسط علامات الذهول التي بدت على ملامحي.. بل وكانت المفاجأة الأكبر حين علمت من رجال

الشرطة أن المعلومات التي لديهم تفيد أن زوجي يحتفظ بحوالي مليون دينار جناها من بيع المخدرات ويخبئها في مكان ما!!!.

بالطبع كان لا بد لكل هذه الفوضى أن توقظ الجيران.. إذ خرج بعضهم ليفهم ما يحدث بفضول بشري معتاد ومتوقع.. فكانت فضيحة بكل المقاييس.. خاصة مع تفتيش رجال الشرطة لكل ركن في الشقة وإحالتهم المكان إلى زريبة بهائم علهم يعثرون على المال.. لكنهم لم يجدوا شيئا على الإطلاق!!!.. ألم أقل لكم إن بداية قصتي تقليدية للغاية؟!!.. لكنها البداية فحسب.. تذكروا هذا.

لن أتحدث عن الأيام العصيبة التالية.. وعن التحقيقات الطويلة التي جرتني إليها حماقات زوجي والتي انتهت أخيرا بعد أن تأكد رجال الشرطة أن لا علم لي بما كان يحدث حولي.. ولن أطيل الحديث أيضا عن الفترة التي وقف فيها أشقائي إلى جانبي حيث امتنعت فيها عن التواصل مع زوجي وزيارته في السجن.. رغم أنه ظل يحاول الاتصال بي ويرجوني الوقوف إلى جانبه في تلك المصيبة وأنه فعل ما فعله حبا لي ورغبة منه بإسعادي وكسب رضاي.. لكني لم أكترث لتبريراته.. فكيف أتعاطف مع مجرم هدم

الكثير من البيوت بسبب تلك السموم التي بثها في كل مكان وضاع بسببها عدد كبير من الشباب كما نقرأ يوميا في الصحف؟!!.. حتى إنني شعرت لأول مرة في حياتي بأنني أكره زوجي بشدة.. فتمسكت برغبتي في الطلاق بدلا من رفع قضية خلع كانت ستضاف إلى مصائبه دون شك.. فالعلاقة الزوجية مثل الزجاج.. أحيانا يفضل أن تتركها مكسورة بدلا من إيذاء نفسك محاولا إصلاحها!!.. لذا لم يجد في النهاية بدا من تحقيق رغبتي في الطلاق.. لينتهي كل شيء وتنتهي علاقتي بطليقي إلى الأبد كما كنت أظن.

كانت تلك الصدمات كفيلة بتحطيمي.. فبكيت بسببها دما وساءت حالتي النفسية كثيرا.. حتى إنني أوقفت قيدي في الجامعة.. بالطبع.. كيف سيكون ذهني صافيا للدراسة وقد تعرضت حياتي لهذه الهزة العنيفة؟!!.. كما أن مشاعري ظلت متناقضة لفترة من الزمن.. إذ أشعر بالأسى أحيانا لنصيبي في الزواج وأحيانا أخرى بالشفقة على حال طليقي.. مع نظرة إيجابية للحياة بنفس الوقت كون الطلاق سيمنحني فرصة للبدء من الصفر دون وجود أطفال في حياتي.. هذا ما كانت تردده لي شقيقاتي أثناء وقوفهن إلى جانبي بزياراتهن المتكررة.. قبل أن تنشغل كل منهن بحياتها الخاصة وتنعدم

زياراتهن خلال الأيام القليلة التالية.

كنت أقضي وقتي كله في الشقـة تقريبـا.. أجلس أمام شاشة التلفزيون أو أعبث بهاتفـي النقال.. وأخرج أحيانا مع صديقاتي دون أن يغيب ذهني لحظة عن التفكير بمستقبـلي وعودتـي إلى الدراسـة في الكورس القادم.. أفكر بأن ما تعرضت له درس يجب أن أستفيد منه.. ولا أنسى وعود أشقائي بأنهم سيتكفلون بإيجـار الشقة إلى أن ينتهي شقيقي الأكبر من بناء الطابق الثالث في بيته ليمنحني غرفة أعيش فيها.. وذلـك بعد أن أخذ أحـد أبنائـه غرفتي التي كنت أقطنها قبل الزواج.. نعم.. كل شيء كان يسير بصورة طبيعية ومتجها إلى حياة إيجابيـة كما ترون.

كان هذا قبل أن يحدث ذلك التبدل الرهيب في حياتي.. فبعد بضعة أسابيع من تلك الحادثة.. ذهبت لتفريغ دولاب طليقي من ثيابه ووضعتها في حقيبة ليأتي أحد أقاربه ويأخذها.. كما قمت بعملية فرز ضخمة لجميع أوراقه محاولة أن أمحو كل أثر له في حياتي.. لم يكن هناك شيء يستحق الذكر.. سوى تلك الورقة المطوية المرمية بإهمال بين الأوراق.. والتي لم أكن لأنتبه لها لولا تفتيشي بين أغراضه بعناية!!!.

كانت الورقة عبارة عن عقد إيجار باسم شخص لا أعرفه.. عقد إيجار لشقة في منطقة (الجابرية)!!!.. هل قام طليقي باستئجار شقة وجعل العقد باسم شريكه في تجارة المخدرات مثلا؟!.. لقد أشارت تحقيقات الشرطة إلى وجود شريك لطليقي بالفعل دون أن يتمكنوا من العثور عليه.. هل يقيم شريكه في تلك الشقة الآن؟!.. وهل يعرف الشرطة بأمرها أصلا؟!.. لا أعلم.. جلست على السرير أنظر حولي بتوتر لم أفهم سببه بعد هذا الاكتشاف.. وقد تذكرت فجأة مبلغ المليون دينار الذي جمعه زوجي من تجارة المخدرات دون أن يعثر عليه رجال الشرطة حتى الآن.. يبدو أنهم لم يعثروا على هذه الورقة أثناء عملية تفتيش شقتي للعثور على المال في تلك الليلة السوداء.. فالمبلغ كبير ولن يبحثوا عنه بين الأوراق بالطبع.

المشكلة أن هناك.. هناك خاطرا مجنونا ظهر في عقلي فجأة لكني أحاول أن أطرحه جانبا بسرعة.. الفكرة تكبر أكثر وأكثر حتى باتت وكأنها شخص يحمل مكبرات صوتية ويخبرني بأعلى صوت أنه من الحماقة أن أترك مبلغا كهذا يطير من يدي!!!.

ظلت هذه الفكرة تلح وتزورني بعناد واستمرار لأكثر من

أسبوع من اكتشافي هذا وأنا أحاول طرحها جانبا دون جدوى.. خاصة حين عثرت على سلسلة مفاتيح لطليقي بين طيات ثيابه أثناء وضعها في حقيبة قبل تسليمها لقريبه.. ربما أحد تلك المفاتيح هو مفتاح الشقة.. يا إلهي.. من الذي سيرفض فرصة الحصول على مليون دينار؟!!.. تخيلوا كيف سيغير هذا المبلغ حياتي؟!.. سيكون من الغباء أن أترك تلك الفرصة تفلت من يدي.. فالفرصة التي تفلت منك.. قد تطارد أحلامك طوال العمر!!!.. نعم.. هذا المال سيكون صمام الأمان لحياتي إلى الأبد.. و.. يبدو أن كل فكرة جنونية تنتهي بهذه الصورة.. إذ تظل ترفضها كونها لا تتماشى مع مبادئك.. إلى أن تقبلها في النهاية.. خاصة لو كانت مغرية كهذه.. أعلم أن ما أفكر به سرقة.. لكني سأسرق تاجر مخدرات على كل حال وليس رجل شريف.. الأمر يستحق المغامرة.. وما زاد الإغراء أن هذا المال لم تتم سرقته من بنك مثلا.. لذا يستحيل تتبعه من رجال الشرطة.. يبدو أنني تعلمت الكثير من القصص والأفلام.. لكن.. يجب أولا زيارة تلك الشقة للتأكد أن المال موجود هناك على الأقل.. كل ما سأفعله زيارتها وطرق بابها.. ولو فتح لي أحدهم واكتشفت أن الشقة مأهولة.. فسأدعي أنني أخطأت العنوان.. عموما.. سأقرر ما سأفعله بناء على

نتائج تلك الزيارة.. الأمر بسيط ولا يستحق التردد.. هكذا ظللت أطمئن نفسي وأنا أخبىء عقد الإيجار والمفتاح في أهم أدراج غرفتي.

عندما اختمرت الفكرة في رأسي جيدا.. قمت بتلك الخطوة فعليا في ليلة (خميس) عندما خرجت من شقتي والساعة لا تتجاوز العاشرة مساء.. متجهة إلى منطقة (الجابرية) حيث تلك الشقة.. أقود سيارتي بشيء من التوتر.. لا أنكر أنني ظللت طوال الطريق أتساءل إن كانت مغامرتي الصغيرة هذه تستحق خوضها أم لا.. لكني تغلبت على ترددي في النهاية ووصلت إلى تلك العمارة السكنية قديمة البناء نسبيا والتي تتكدس حولها السيارات.

ركنت سيارتي وأنا ألتفت بشيء من الحذر.. الناس في كل مكان حولي كما هو معتاد في منطقة (الجابرية) المزدحمة دوما.. أحاول التصرف على سجيتي دون أن أثير الشبهات.. ثم.. أتجه إلى داخل العمارة.. لا أحد في الطابق الأرضي.. المكان هادىء تماما.. أصعد إلى الشقة المطلوبة وأقف أمام بابها لآخذ نفسا عميقا.. أنظر حولي للمرة الألف.. ثم.. أطرق الباب بهدوء.. مرة.. مرتين.. لا أحد يرد.. أضع أذني على الباب.. لا أسمع شيئا.. أخرجت سلسلة المفاتيح من

حقيبتي الصغيرة.. يا ترى.. هل أحدها مفتاح الشقة؟!.. سأعرف الجواب الآن.. أرتدي قفازا بلاستيكيا لأخفي بصماتي كوني سأفتش في كل كل أنحاء الشقة على الأرجح لأبحث عن المبلغ.. ثم.. أدخل أحد المفاتيح بحذر.. ليس هو.. وآخر.. وآخر.. ثم.. أخيرا.. المفتاح يكمل دائرته ليفتح الباب!!!.. عندها خفق قلبي وأنا أمسك بالمقبض بتردد شديد.. لكني حسمت أمري في النهاية وفتحت الباب.

أقف عند عتبة باب الشقة وقد بدد ظلامها الإضاءة التي تأتي من الممر الخارجي.. نظرة سريعة إلى الداخل لأرى أنها شقة مؤثثة بشكل لا بأس به.. ترى.. هل كان زوجي يتاجر بالمخدرات هنا؟!.. هل هذا المكان غرفة العمليات؟!!.. ابتسمت لا شعوريا أمام تلك التسمية.. أسير بهدوء بعد أن أغلقت الباب خلفي.. الأنوار مطفأة طبعا لكي لا أثير انتباه أحد في الخارج.. أنظر حولي معتمدة على إضاءة هاتفي.. آمل ألا أجد أحدا مختبئا هنا!!!.. أو.. ربما أجد جثة؟!!.. أفزعني كثيرا هذا الخاطر لكني نفضته من رأسي محاولة أن أتذكر أنني هنا من أجل المال فقط.. أين هو المال؟!.. حسنا.. لنبحث بهدوء.. الشقة تحوي غرفتين.. أبحث فيهما بحذر ولهفة آملة ألا يدخل أحدهم ويكشف وجودي.. لكن.. لا

شيء على الإطلاق.. هل خبأ طليقي المال في مكان آخر؟!!.. مستحيل.. لا يمكن أن يستأجر تلك الشقة دون هدف.. إذ لا يوجد شيء هنا يوحي أنه كان يقضي أوقاته في العبث مع الفتيات مثلا.. مهلا.. السرير في غرفة النوم.. هل يعقل أن يخبىء المال في المكان المألوف الذي يخبىء فيه كبار السن أموالهم في الماضي؟!!.

انتفض قلبي بقوة حين انحنيت لأبحث تحت السرير.. بالفعل.. هناك حقيبة سفر كبيرة الحجم نسبيا تم دسها تحت السرير.. سحبتها نحوي.. إنها ثقيلة وتحوي أرقاما سرية.. أجرب كل الأرقام التي تخطر ببالي دون جدوى.. قبل أن أقرر أن آخذ الحقيبة معي إلى شقتي.. هناك سأكسرها وأرى محتواها.. آملة أن أجد فيها المال.. وإلا لن يكون في هذه الشقة لأنني بحثت في كل شبر فيها.

لحسن الحظ لم ينتبه أحد وأنا أسحب الحقيبة معي إلى الخارج.. ولحسن الحظ أيضا أنها حقيبة سفر تحوي عجلات ساعدتني على سحبها إلى سيارتي حيث وضعتها في الدولاب بصعوبة بسبب ثقل وزنها.. لأعود أخيرا إلى شقتي التي ما إن أغلقت بابها.. حتى شرعت أحاول فتح الحقيبة بجنون.. آت بصندوق الأدوات الذي كان يستخدمه طليقي لإصلاح

أي شيء يتلف في الشقة.. أخرج المطرقة وأهوي بها عدة مرات على مكان القفل وبكل قوتي إلى أن كسرته أخيرا.. و.. نعم يا (روان).. هذا يفوق كل أحلامك.. يفوق كل أمنياتك.. لا يمكن أن يصدق أحد كيف هو بريق المال إلا اذا رآه وعلم أنه سيصبح ملكه!!!.. رزم مالية تملأ الحقيبة.. أضع يدي عليها وأتحسسها بلهفة وقلبي يقفز فرحا وأنا أفكر بما يمكن أن أفعله بهذه الثروة.

جلست على السرير في مشهد تلفزيوني أعد رزم الأموال بلهفة غريبة وقد نسيت الزمان والمكان.. لأكتشف في النهاية أن المبلغ يزيد عن المليون دينار بقليل.. إنه المبلغ الذي يبحث عنه رجال الشرطة!!!.. هذا لا يصدق.. لا يصدق.. لكن كيف؟!.. كيف سأستفيد من هذا المال؟!.. من المستحيل أن أودعه في البنوك طبعا سواء داخل (الكويت) أو خارجها.. فإيداع مليون دينار في حسابي الشخصي سيضعني في شبهات كثيرة وسيتحتم علي تحديد مصدر المبلغ بدقة.. وإلا لن يسمح لي البنك بإيداعه أصلا.. وسيقوم موظف البنك حينها بالاتصال بالشرطة.. هل أشتري بعض المجوهرات من محلات متفرقة مثلا؟!.. لا.. ليس من مصلحتي إطلاقا أن يراني أصحاب المحلات

وأنا أقوم بشراء مجوهرات.. حتى لو ذهبت إليهم مرتدية النقاب مثلا فسيطلبون مني الكشف عن هويتي الشخصية كما ينص القانون.

ظللت أفكر كثيرا وأبحث في مواقع (الإنترنت) عن طريقة ذكية لتهريب الأموال أو حتى لغسيل الأموال* دون أن أكترث بخيوط الفجر التي بدأت تتغلغل عبر ستارة غرفتي.. إلى أن عثرت أخيرا في أحد المواقع على وسيلة عبقرية تمكنني من السفر بذلك المبلغ دون أن ألفت انتباه أحد في أي مطار في العالم!!!.. ما هذه الطريقة؟!.. إنها عبقرية بحق وسأخبركم بها لاحقا.. سيكون علي السفر إلى إحدى الدول الأوروبية أولا.. ثم تأجير صندوق أمانات في أحد البنوك هناك ووضع المال في ذلك الصندوق.. لا أحد يفتش صناديق الأمانات.. لماذا لا أضع المبلغ في صندوق أمانات أحد بنوك (الكويت) مثلا؟!.. لا أعلم.. ربما هو الحذر الزائد.. وربما لأنني أخشى أن أكون تحت أنظار الشرطة..

---

* غسيل الأموال (Money Laundering) جريمة في معظم دول العالم.. إذ يسعى خلالها اللصوص والمجرمون إلى إضفاء شرعية قانونية على أموال حصلوا عليها بطريقة غير قانونية.. كأن يتم استخدام مبلغ ضخم تم الحصول عليه من خلال تجارة المخدرات مثلا لتأسيس مشروع تجاري قانوني.. كإنشاء مصنع أو شراء عقارات.. إلخ.. وسبب قيام اللصوص والمجرمون بهذا الفعل تسهيل عملية تصرفهم بالمال المسروق كون معظم البنوك في العالم لا تقبل أي إيداعات في حسابها إذا كانت تتجاوز ١٠ آلاف دولار أمريكي دون تحديد مصدر الأموال بدقة.

عموما فإن تنفيذ خطتي هذه بتفاصيلها سيتطلب بعض الوقت.. الآن يجب ممارسة حياتي العادية فحسب لأكون بعيدة تماما عن الشبهات.

وهذا ما حدث.. فبعد أسابيع قليلة تمكنت من تنفيذ النصف الأول من خطتي بنجاح كبير.. وخبأت المال في شقتي بمكان بالغ الذكاء لا يخطر على البال سأكشفه لكم فيما بعد.. ليتبقى النصف الأسهل وهو السفر إلى أحد بنوك (سويسرا).. لكني أرجأت هذا بضع شهور قادمة حتى تهدأ الأمور ولحين الانتقال إلى بيت شقيقي عند انتهائه من أعمال البناء.. كما ترون.. كانت خطتي تسير بهدوء وعلى خير ما يرام قبل أن يتبدل الحال فجأة ذات يوم ويحدث تطورا مخيفا لم يكن أبدا في الحسبان!!!.

كان هذا حين رن هاتفي النقال في مساء أحد الأيام أثناء مشاهدتي التلفزيون باسترخاء شديد.. نظرت إلى الشاشة فوجدت رقما غريبا غير مسجل في ذاكرة هاتفي.. أجبت على المتصل بشيء من التوجس.. لأسمع صوتا مألوفا يلقي علي تحية باردة.. احتاج الأمر للحظات كي أعرف أن المتصل في واقع الأمر طليقي!!!.. نعم.. لقد خرج من السجن بعد شهور قليلة من القبض عليه بسبب ثغرات قانونية عثر

عليها محاميه الخاص!!!.

كان هذا آخر ما توقعته.. إذ لم أتابع قضيته منذ القبض عليه وظننت أن أمره انتهى إلى الأبد ولن يدخل حياتي مرة أخرى.. لكني كنت مخطئة.. بل وكنت حمقاء أيضا.. فلا يمكن أن تسرق مليون دينار ويمر الأمر مرور الكرام دون أن ينتبه أحد.. بدا هذا واضحا حين وجه طليقي سؤالا صريحا دون مقدمات:

- أين ذهب المال يا (روان)؟!!.

سؤال مربك صادم جعلني عاجزة عن النطق.. وقبل أن أبحث عن كذبة لأقولها له.. أكمل بصرامة جمدت الدماء في عروقي:

- لا تفكري بالكذب.. أعرف أنك دخلت الشقة أثناء وجودي في السجن.. فأنا لم أعثر على عقد الإيجار بين الأوراق التي استلمها قريبي منك.. ولا شك أنك عثرت أيضا على المفتاح الموجود بين ثيابي لأني لم أجده بين حاجياتي.. لذا فأنا أعيد السؤال.. أين ذهب المال؟!!.

حسنا.. لم أرد.. بل أغلقت الخط مباشرة وأغلقت الهاتف نفسه!!!.. هذا أسهل الحلول للهرب من المواجهة.. أقف

وسط الصالة بتوتر شديد وقد شعرت أنني ضائعة.. كيف سأتصرف؟!.. لمن سألجأ؟!.. سيكون من الغباء أن ألجأ للشرطة بالطبع لأنهم سيكشفون وجود المال معي حينها.. ولن ألجأ لأشقائي أو شقيقاتي.. لن أخبرهم أبدا أنني سارقة.. هذا مستحيل.. يا إلهي.. إنني أمام كارثة حقيقية.. و.. في غمرة يأسي.. تذكرت أقرب صديقاتي.. صديقتي التي وقفت إلى جانبي حين تم القبض على زوجي.. كانت تتواصل معي باستمرار في تلك الأيام العصيبة.. لقد حان الوقت لتشاركني هذا السر الثقيل.. وصديقتي هذه مطلقة أيضا بالمناسبة.. وتعيش مع طفليها في الدور العلوي من بيت والدها.. فتحت هاتفي النقال مرة أخرى واتصلت بها مباشرة.. هاتفها يرن.. أرجوك أن تردي يا صديقتي العزيزة.. أرجوك.. وأخيرا.. ترد بصوت مليء بالمرح لكني لم أمهلها.. بل قلت مباشرة بذعر:

- طليقي.. طليقي.. لقد خرج من السجن!!!.

يبدو أن الأمر تطلب بعض الوقت لكي تستوعب كلامي.. فسألتني باستغراب:

- وما المشكلة؟!.. ألم يطلقك؟!!.

قلت وأنا أعض على شفتي:

- هناك سر خطير لم أخبرك به.. سآت لزيارتك الآن.. أرجوك.. لا يوجد من أثق به سواك.. لا أستطيع أن أخبر أحدا غيرك بالأمر.. إنني في ورطة حقيقية!!!.

ردت مستغربة:

- مرحبا بك في أي وقت!!!.

كانت الساعة تتجاوز الثامنة مساء.. حين خرجت من شقتي مرتدية ما طالته يدي من الثياب.. ألتفت يمينا ويسارا طوال الوقت خوفا أن يظهر طليقي في أي لحظة.. أقود سيارتي بيد مرتجفة وأفكر بكل سيناريو أسود قد يحدث.. شاعرة بشيء من الندم على ما فعلته بعد أن وضعت نفسي في مأزق لا مخرج منه.. هاتفي النقال يرن بإلحاح دون أن أرد.. إنه طليقي مرة أخرى.. وهذا ما زاد من ارتباكي.. الشوارع مزدحمة كالعادة فتنطلق الشتائم من فمي دون توقف.. قبل أن أصل أخيرا إلى بيت صديقتي.

دخلت عندها بأسوأ حال ممكن.. لا أعرف إن كانت تستطيع أن تساعدني.. و:

- هل تشربين شيئا؟!.

تجاهلت سؤالها وقلت مباشرة بذعر:

- أعتذر عن زيارتك بهذه الطريقة المفاجئة.. لكن الأمر لا يحتمل الانتظار!!!.

سألتني باهتمام شديد وقد تسرب قلقي إليها:

- ما المشكلة؟!.. لماذا طلبت لقائي؟!!.. أنا لا أفهم لماذا تخشين طليقك إلى هذه الدرجة؟!.

أسمع صوت ولديها يلعبان في الغرفة المجاورة لأتذكر أن هناك عالما جميلا بريئا بعيدا عما أعيشه الآن.. فاقتربت مني وأحاطت كتفي بذراعيها وهي تقول:

- (روان).. حبيبتي.. أنا صديقة عمرك.. أخبريني ما الذي يحدث بالضبط؟!.

عندها فقط.. انهمرت الدموع من عيني وسط هذه الضغوط لأقول باكية:

- طليقي.. طليقي يريد الانتقام مني.

سألتني بغير فهم:

- لماذا؟!.. لم تكن لك يد في الأمر.. بل وأعرف جيدا بأنك لم تكوني على علم أصلا بتجارته للمخدرات.. أليس كذلك؟!.. أين المشكلة؟!.

قلت بحرارة:

- لقد ارتكبت خطأ فادحا.. خطأ كارثيا!!!.. لقد.....

أخبرتها بكل ماحدث.. بالطبع لم تصدق كلامي في بادىء الأمر.. بل نظرت إلي بذهول واستنكار شديدين.. فانكمشت في مكاني أكثر شاعرة بالخزي.. لتقول فجأة بألم:

- أنت.. أنت يا (روان) تفعلين شيئا كهذا؟!.. أنا لا أصدق!!.. ولكن كيف؟!!.. مهلا.. أنا لا أفهم.. أنا....

احتبست الكلمات وانعقد لسانها وهي تنظر إلي بأسف.. مما زاد انكماشي في مكاني وخجلي من نفسي.. ثم سألتني فجأة:

- لماذا لا ترجعين له المال فحسب؟!!.. هذا سيحل المشكلة.. أليس كذلك؟!!.

قطع حديثنا دخول ولديها الصالة وهما يطاردان بعضهما.. قبل أن ينتبها لوجودي ويأتيان ليلقيا علي التحية.. أقبّلهما بتوتر وعلى عجالة.. لتطلب منهما صديقتي بحزم أن يعودا إلى غرفتهما.. وما إن غابا عن أنظاري حتى أكملت قائلة:

- المعذرة لكنك لا تفهمين.. من الصعب أن أتنازل عن

المبلغ الذي أصبح بحوزتي منذ مدة وبنيت عليه حياتي القادمة بأكملها.. لقد جعلني هذا المال أرى الجنة بعين الخيال.. والآن تطلبين مني أن أعيده بكل بساطة؟!!.. مستحيل.. مستحيل تماما.. وحتى لو سلمت طليقي المال فما أدراني أنه ليس مراقبا الآن من رجال الشرطة؟!!.. سأدخل حينها طرفا في الجريمة.. لقد تورطت بما فيه الكفاية ولم يعد هناك مجال للتراجع.

ردت بأسى:

- لا يوجد حل آخر.. إما أن تسلميه المال وتستسلمي لهذه المخاطرة.. وإما سيؤذيك إلى درجة القتل ربما.. فلا أستبعد شيئا من تاجر مخدرات!!!.. أما إرجاع المال للشرطة فربما فات أوانه الآن لو فكرنا بذلك.. ستكونين متهمة بالسرقة.. بالطبع سيتم تخفيف العقوبة عنك كونك أعدت المال من تلقاء نفسك.. لكن في النهاية ستكون فضيحة لن تخرجي منها بسهولة.

قلت بعناد وحنق:

- لا أريد أن أعيد المال.. إنه مليون دينار.. مليون دينار!!!.. ماذا.. ماذا لو هربت من البلد؟!!.

أغمضت عينيها وهي تفكر.. قبل أن تقول:

- وكيف ستفعلين ذلك؟!.. هناك احتمال لا بأس به أن يبلغ طليقك عنك بعد أن يفقد الأمل.. وسيتم عندها التواصل مع الشرطة الدولية للقبض عليك.

قلت باستسلام:

- قد أسافر إلى دولة ليست عضوا في اتفاقية الشرطة الدولية!!!.. لقد بحثت في هذا الأمر من خلال (الإنترنت).

ردت باستغراب شديد:

- كيف تفكرين بهذه الطريقة؟!.. إنك صديقة عمري ورغم ذلك أشعر أنني أعرفك لأول مرة!!.. هل أنت على استعداد للهرب من بلدك وعائلتك إلى الأبد من أجل المال؟!.. وحتى لو كنت مؤيدة لاقتراحك هذا.. لماذا لا أراك متحمسة له؟!!.

وضعت أصابعي بين خصلات شعري لأقول:

- من الصعب الهجرة الأبدية إلى الخارج.. هذا يتطلب البدء من جديد.. وهو أمر عسير للغاية.. سيعني هذا شراء بيت أو شقة.. ثم القيام بتأسيس مشروع ما.. كل هذا وأنا بعيدة عن عائلتي وفي بلد لا أتحدث حتى لغته.

غمغمت صديقتي بسخرية مريرة:

- من الواضح أنك درست الأمر جيدا.

بالطبع.. من الرائع معرفة كل القوانين.. فهذا يساعدك على كسرها بطريقة صحيحة.. لكني لم أقل هذا.. بل سكت دون رد.. خاصة مع سخريتها المريرة التي صاحبت جملتها الأخيرة.. ليسود المكان صمت طويل سوى من صوت ولديها.. قبل أن تقول:

- أرجو أن تفكري جيدا.. ربما سيقتلك طليقك لو رفضت تسليمه المبلغ.. ألا تخشين هذا؟!!.. لقد خسر كل شيء.. وهذا المبلغ كل ما تبقى له ليبدأ حياته من جديد.. لا شك أن لديه طريقة للتصرف به دون أن يثير هذا انتباه الشرطة.

قلت فجأة بصوت مرتجف دون التعليق على كلامها:

- في الواقع أنني فكرت بحل أخير يسمح لي بالحفاظ على المال.. لقد.. لقد وجدت بين أغراضه مسدسا.. سأهدده بمسدسه لو تعرض لي!!.

نعم.. أنا لم أخبركم بهذا.. فقد عثرت على مسدس في الحقيبة التي سرقتها من شقته.. كان محشورا بين رزم المال.. صديقتي

تنظر إلي بذهول دون أن تنطق.. أعترف أن بريق المال غيرني يا صديقتي العزيزة!!.. ثم.. أكملْت بخفوت:

- لقد استغرقت وقتا لأتعلم كيف أفك المسدس.. لكن المشكلة أنني وجدته خاليا من الرصاصات.. وطليقي يعرف هذا دون شك.. لذا أحتاج إلى رصاصات.. عندها سأتمكن من ردعه وتهديده بعدم التعرض لي.

تنهدًت بعمق.. وكأنها ندمت على استقبالها لي.. لأقول بعين دامعة:

- أرجوك ساعديني.. لا ترمي المشكلة علي وتعودي لحياتك وتشكرين الله أنك لست أنا.. إنني بحاجة إليك.. لا تتخلي عني.. إنني لا... إنني لا....

لم أتمكن من إكمال عبارتي.. فقد غرقت في بكاء حار بضع دقائق أفرغت فيه كل توتري دون أن تحرك صديقتي ساكنا.. لأفاجأ بها تقول بعد صمت طويل:

- من الواضح أن الأمر بأكمله يتعلق بالمال.. أنت لا تريدين تسليمه لزوجك السابق.. وتريدين بنفس الوقت الخروج من هذا المأزق.. حسنا.. (روان).. لقد وثقت بي وأخبرتني بسر بالغ الخطورة.. وسيكون من غير اللائق ألا

أثق بك بدوري!!!.

نظرت إليها بعينين مغرورقتين بالدموع دون فهم.. لتكمل ببطء وتردد واضح:

- ربما أستطيع أن أدبر لك رصاصات للمسدس!!.

اتسعت عيناي استغرابا.. لتكمل ببطىء:

- أنت أغلى صديقاتي.. لا يمكنني أن أراك في هذه الحالة دون أن أقدم لك يد العون.. لذا سأخبرك بسر صغير.. إنني في واقع الأمر على علاقة حب بضابط منذ حوالي سنتين.. سأطلب منه أن يزودني بالرصاصات.. لا أعلم إن كان سيتمكن من ذلك.. لكني سأفعل ما بوسعي لإقناعه.

قلت لها بحنق:

- لا أصدق ما أسمعه.. أنت على علاقة حب طوال تلك المدة ولم تخبريني؟!!.

ابتسمت بخجل وهي تغمغم:

- المعذرة يا عزيزتي.. كنت أشعر بالحرج من إخبارك رغم أنك صديقة عمري.. وعلى كل حال فأنت أيضا أخفيت عني سرا كبيرا.. نحن متساويتان.. أليس كذلك؟!.

لم أجد ما أرد به عليها.. لتكمل قائلة:

- يجب أن تعديني أنك لن تستخدمي المسدس أبدا.. بل ستقومين بتهديد طليقك فقط لو تعرض لك.. هل تضمنين لي هذا؟!.

قلت بلهفة:

- بالتأكيد.. فأنا لن أرتكب جريمة قتل مهما حدث.. وسأعيد لك الرصاصات حال الانتقال إلى بيت شقيقي.

سألتني باهتمام:

- لماذا لا تخبرين طليقك بأن المسدس محشو بالطلقات فحسب دون أن تحصلي على الرصاصات فعليا؟!.

قلت بصدق:

- لا.. لن أشعر حينها بالأمان.. إنني أفتقد الشعور بالأمان.. وهذا لن يحصل إلا عندما أشعر بالقوة.. لا بد أن يكون المسدس بطلقات جاهزة للاستخدام كي أطمئن تماما أنني لست مكشوفة لهذا الوغد.

أطرقت برأسها فترة طويلة مفكرة وأنا أنظر إليها بترقب شديد.. ثم نظرت إلي وهي تقول بتردد:

- حسنا إذا.. لكن أنا أطلب كلمتك ووعدك أولا.. أرجوك تذكّري أن لدي طفلين أربيهما وحدي.. ولا أريد أن أهدم مستقبلي أو مستقبل من أحب.. سأكون مع حبيبي خارج القضية لو انكشف أمرك.

قلت لها بقلق:

- أقسم لك بذلك.. لكن ماذا لو رفض حبيبك توفير رصاصات للمسدس؟!!.

زفرت بقوة وهي تقول:

- سنفكر حينها بحل آخر.. لننتظر ونرى.

نظرت إليها بتأثر كونها ستقوم بتضحية هائلة كهذه.. لأنهض وأحتضنها طويلا.. قبل أن أتنحنح وأستأذنها الخروج عائدة إلى شقتي.. ولا داعي للقول أنني بقيت خائفة طوال الوقت من أن يظهر طليقي في أي لحظة.. لذا أغلقت باب شقتي جيدا حال وصولي.. ثم دسست نفسي تحت اللحاف بعد أن أبدلت ثيابي.. أفكر بعمق وأنا أنظر إلى الضوء الهادىء المنبعث من حوض السمك الصغير الموجود في زاوية غرفتي.. أنظر إلى الأسماك القليلة التي تعوم داخله وأحسدها على هذا الصفاء الذي تعيشه..

أحاول أن أحصل على هدوئها.. لكن دون جدوى.. القلق يصر أن يطل بوجهه لأفكر بالمصيبة التي وضعت نفسي فيها.. ترى.. هل سيعثر زوجي على المكان الذي خبأت فيه الأموال؟!.. يقلقني هذا رغم ثقتي التامة بعبقرية الفكرة التي لم أخبركم بها بعد.. أفكر.. وأفكر.. إلى أن استسلمت جفوني للنعاس وغرقت في عالم الأحلام المجهول.

خلال اليومين التاليين.. قمت بتغيير قفل شقتي من باب الاحتياط.. لكن هذا لم يكن كافيا ليشعرني بالأمان.. خاصة مع رسائل التهديد التي لم تتوقف من طليقي واتصالاته المتكررة التي لم أرد عليها.. إلى أن تلقيت اتصالا من صديقتي تخبرني فيه أن حبيبها الضابط قد وافق على مساعدتنا.. أخيرا!!!.

لقد زارتني ليلتها في شقتي ومعها كيس بلاستيكي صغير يحوي الرصاصات التي طلبتها.. فأخرجتها بلهفة وبيد مرتجفة وبدأت إدخالها في المسدس ليصبح جاهزا أخيرا للاستخدام.. ولا أنسى أبدا أن صديقتي عانقتني بحرارة مع تذكيري بالوعد الذي قطعته لها بكتمان السر في حال كشف أمري من قِبَل الشرطة.. بالطبع.. لن أضر صديقتي أبدا وأقحمها في تلك الأحداث الشائكة التي يعلم الله أين ستنتهي.

وكما يقال دوما فإن انتظار البلاء أسوأ من وقوعه.. لا أنسى أبدا كيف كنت أترقب وأنتظر بتوتر تلك المواجهة المرتقبة مع طليقي.. خاصة مع رسائله الهاتفية التي تحوي تهديدات يقشعر لها البدن.. فهو يكرهني الآن بعد أن ساهمت إلى حد كبير بتدمير حياته.. وهو يعلم يقينا بأنني لن أستنجد بالشرطة.. أي أنني مكشوفة تماما له دون أي حماية سوى هذا المسدس.. فأرسلت له رسالة نصية أخبره فيها أن مسدسه بحوزتي وهو محشو بالطلقات.. فالأفضل أن يبتعد عن حياتي وإلا قتلته!!.. كيف استقبل رسالتي هذه؟!.. لا أعلم.. لأنه لم يرد عليها.. لذا كنت آمل -دون اقتناع- أن تهديدي هذا أخافه.

بعد بضعة أيام امتلأت فيها حياتي بالترقب.. كنت نائمة في غرفتي تحت الإضاءة الخافتة المنبعثة من حوض السمك إياه.. حين شعرت فجأة بجلبة تحدث حولي.. استيقظت سريعا.. فمن ينام بهذا القلق يصبح كالقط مرهف الحس.. لأجد طليقي يقف بالقرب من فراشي وهو ينظر إلي بتلك النظرات الساخرة المتشفية وكأنني أصبحت الآن تحت رحمته!!!.. بالطبع كان هذا كفيلا بأن أقفز قفزا من فراشي وكأنني رأيت شبحا.. حاولت الصراخ لكن أنفاسي احتبست

في حلقي.. إنه طليقي بالفعل لكنه تغير كثيرا منذ آخر مرة رأيته فيها.. فقد نمت لحيته.. وازداد وزنه.. وأصبحت نظراته مخيفة.. كيف؟!.. كيف دخل؟!!.

قال وكأنه قرأ أفكاري:

- لا تظني أن بعض الأقفال الغبية ستقف عائقا في طريق شخص خرج من السجن واكتسب كما هائلا من الخبرات هناك.. المهم الآن.. أين المال؟!.. فكري جيدا قبل الإجابة.. فقد ذكرت لك أكثر من مرة في رسائلي النصية أنني لا أملك الوظيفة ولا السمعة ولا أي شيء آخر لأبدأ حياتي من جديد.. هذا المال هو الأمل الوحيد المتبقي لي.. ولن أضحي بهذا الأمل أبدا.. أعطني المال وأعدك بأنني سأتركك إلى الأبد وستعودين بعدها إلى حياتك الطبيعية.

احتبست الكلمات في حلقي.. أعيد إليه المال بعد أن أصبح بحوزتي؟!.. هذا مستحيل!!.. ويبدو أنه رأى علامات الرفض على ملامحي.. فأمسكني بشعري بطريقة مؤلمة وهو يضع سكينا حول رقبتي ليقول:

- لا وقت لدي لردود أفعالك هذه.. هيا.. انهضي.. لقد بحثت في كل أنحاء الشقة أثناء نومك ولم أعثر على شيء.. لم يتبق سوى هذه الغرفة.. هل المال موجود هنا؟!.

ظللت أنظر إليه بذعر هائل.. ليس هناك أي مجال للكذب أو التملص.. إنه على يقين أن المال بحوزتي.. لذا لم ينتظر مني الرد.. بل تركني فجأة ليذهب للضغط على مفتاح إنارة الغرفة.. ثم التفت إلى الباب وقفله بالمفتاح ووضع المفتاح في جيبه.. ليقول بعصبية:

- أنا لم أقتل أحدا من قبل.. لكني سأقتل هذه المرة إذا فقدت الأمل في العثور على المال!!!.

لم أرد أيضا.. لقد فقدت القدرة على النطق.. فبدأ يبحث في الغرفة كالمجنون وهو يلتفت إلي بين الحين والآخر حتى تحولت الغرفة في لحظات إلى كتلة من الفوضى وتحول هو إلى كتلة من الغضب.. سألني للمرة الألف بشراسة عن مكان المال بعد أن عجز عن العثور عليه.. بالطبع.. يستحيل أن يخمن أين خبأته.. وأنا لم أخبر أحدا أبدا بمكانه.. ولا حتى صديقتي.. و.. صفعة قوية على وجهي اهتزت بسببها كل أفكاري في رأسي.. ثم صفعة أخرى ليقول بقسوة:

- المال ليس هنا.. أين هو؟!!.

أقسمت له كاذبة طبعا بأنني لم أسرق شيئا ولا أعرف عم يتحدث.. فاقترب مني وهو يخرج من جيبه سكينا مخيفا.. ليقول بحقد:

- حسنا.. يبدو أنه لا مفر هناك.. سأقوم بتعذيبك وتشويه وجهك بالسكين إلى أن تعترفي.

قال هذا وهم بوضع السكين على وجهي لينفذ تهديده.. عندها تجاوزت صدمة وجوده في غرفتي.. وتذكرت المسدس.. يدي تمتد تحت الوسادة بهلع.. لأخرج المسدس أخيرا.. وأهدده به أمام نظراته المستغربة.. لأقول لاهثة:

- إنه مسدسك أيها اللعين.. لقد أخبرتك برسالتي النصية أنه محشو بالطلقات.. إنك لا تترك لي خيارا آخرا.. أخرج الآن وانس أمر المال.. وإلا سأقتلك.. أقسم لك بذلك.

تراجع للحظات وهو يحدق بي بذهول وأنا آمل أن يكون هذا كفيلا كي يتركني وشأني.. لكنه تصرف عكس ما توقعت.. إذ زمجر بحقد واندفع ناحيتي ملوحا بالسكين ظنا منه على الأرجح أنني لن أنفذ تهديدي.. عندها فعلت ما لم يتوقعه أبدا.. بل وما لم أتوقعه أنا نفسي!!!.. نعم.. أغمضت عيني وضغطت الزناد بلا تردد.. ليتردد صدى الطلقة ويمزق سكون العالم كله كما بدا لي.. وأجد طليقي واقعا على الأرض والدماء تبدأ بالخروج من جسده ببطء شديد.. ثم بغزارة.. ليلفظ أنفاسه الأخيرة.. أما أنا فكنت على وشك التعرض للإغماء وكأنني أنا المصابة بالطلقة النارية!!!.

عندها فقط.. صرخت رعبا بكل قوتي لتنهمر الدموع من عيني دون توقف شاعرة لأول مرة أنني تورطت أكثر وأكثر!!.. يا إلهي.. لقد كان الأمر في البداية يتعلق بالسرقة فقط.. أما الآن فقد أصبحت سارقة وقاتلة.. لم أتوقع للحظة بأن الأمور ستصل إلى هذا المنحى.. هل يعقل أن يغيرني المال بهذه الصورة؟!!.. هذا لا يصدق.. ذهبت مسرعة إلى باب الشقة.. القفل مكسور بطريقة احترافية.. يبدو أن طليقي تعلم الكثير في شهور قليلة قضاها في السجن.

أفتح الباب بحذر شديد.. السكون الشديد أشعرني بشيء من الاطمئنان.. أرجو أن يكون صوت الرصاصة قد مر بسلام.. إنها طلقة واحدة فقط.. وحتى لو اتصل أحدهم بالشرطة فلا يمكن تحديد مصدر صوت الطلقة على أنها من شقتي.

عدت بعدها إلى داخل الشقة.. ثم شرعت أمسح دموعي وأرتب شعري المبعثر وأنا أفكر بتلك المصيبة.. فاتصلت بصديقتي دون أن أكترث للوقت كون الساعة تتجاوز الواحدة فجرا.. إنها الشخص الوحيد الذي يعلم كل تفاصيل هذه القصة العجيبة.. يرن هاتفها دون رد.. أعاود الاتصال.. يرن الهاتف بإصرار مرة أخرى.. العرق يتصبب مني بغزارة.. قبل أن ترد أخيرا لحسن الحظ وبصوت ناعس

كسول.. أخبرتها بكل شيء.. وشعرت بها تتوتر كثيرا وهي تشهق وتقول بصوت مرتفع:

- يا إلهي.. (روان)!!!.. لم أتوقع أبدا أن يصل الأمر إلى القتل!!!.. لقد وعدتني أن المسدس سيكون بغرض التهديد فقط.. بل ووعدتني بإبعادي عن القضية.. أرجوك.. أرجوك.. لا أريد أن أتورط أكثر من ذلك.. لقد....

قاطعتها بألم:

- لم يترك لي خيارا آخر.. كان اللعين على وشك تعذيبي.. بل وضربني قبلها!!!.. هل.. هل يستطيع حبيبك الضابط مساعدتي؟!!.. أرجوك.. أتوسل إليك.. أنا ضائعة.. لا أستطيع الاتصال بالشرطة.. فهذا سيفضح كل شيء.. أرجووووووك ساعديني.

قالت بحدة:

- هل جننت؟!.. الرصاصات التي جلبها لنا هي بحد ذاتها جريمة.. لكنه فعلها من أجلي.. لن يخفي جثة من أجلي أيضا!!!.

بكيت وبكيت أمام رفضها وأنا أرجوها أن تفعل شيئا وأقسم لها أنني ضائعة وأحتاج وقوفها بجانبي.. بل ووعدتها بجزء من ذلك المال.. نعم.. وعدتها بمائة ألف دينار كاملة!!!..

ويبدو أن كل هذا قد جاء بنتيجة.. فبعد صمت طويل.. أخبرتني باستسلام أن أترك كل شيء كما هو.. على أن تتصل بحبيبها ولنرى بعدها ما سيحدث.

مرت الساعات بطيئة وقد جلست في صالة الشقة دون أن أجرؤ على دخول غرفتي بسبب جثة ذلك اللعين.. قبل أن تتصل صديقتي وتخبرني أنها قادمة في الطريق مع حبيبها حيث وافق على مساعدتنا شرط أن يحصلا على المبلغ الذي وعدت به.. فجلست أنتظرهما بلهفة آملة أن ينقذاني من هذا المأزق.. لا أعرف كم مر من الوقت حين سمعت طرقات هادئة على باب شقتي.. اتجهت كالمجنونة لأفتح الباب.. فوجدت رجلا نحيل الجسد طويل القامة قصير الشعر.. يرتدي ثيابا بسيطة توحي أنه كان نائما وارتدى شيئا على عجالة ليخرج من البيت.. وكانت صديقتي برفقته بالطبع.. سمحت لهما بالدخول وأغلقت الباب سريعا.. ثم عانقت صديقتي لأبكي بحرقة مفرغة كل انفعالاتي.. فاستسلمت لعناقي بعض الوقت لتدفعني بعدها برفق وهي تقول:

- يجب أن نتصرف بسرعة يا (روان).. لا وقت لدينا لهذا.

أومأت برأسي موافقة وأنا أمسح دموعي.. لتنظر إلى حبيبها الذي لم أتبادل معه كلمة واحدة.. فقال بلهجة الخبير:

- حسنا.. أمامنا الآن مهمة صعبة.. سأقطع الجثة وأضعها في أكياس بلاستيكية لنخبئها في الثلاجة مؤقتا.. وبعد بضعة أيام أخرجي الأكياس واذهبي بها إلى الصحراء لدفنها هناك.. يجب أن تتأكدي أنها مدفونة بأمان كي لا يعثر عليها أحد.. و.. المعذرة.. لقد وعدت بمائة ألف دينار.. فأرجو أن تلتزمي بوعدك.

قلت بسرعة وحرارة:

- إنني عند وعدي.. فقط أنقذني من هذه المصيبة.. لكن.. مهلا.. مهلا.. هل تعني أنني سأبيت في شقتي بضعة أيام بوجود جثة مقطعة في الثلاجة!!!.. هذا كابوس حقيقي!!!.

رد بحزم:

- لا يوجد حل آخر.. لو كشف رجال الشرطة وجود الجثة يوما.. فقد يقومون حينها بتتبع كل الخيوط والتحقيق مع سكان العمارة.. وقد يقول أحدهم إنه سمع ما ظن أنه طلق ناري وآخر سيقول إنه ربما رآك تخرجين شيئا من شقتك في نفس اليوم.. سيتم عندها ربط كل الخيوط لتتجه جميعها نحوك.. صدقيني.. رجال الشرطة جبابرة.. الحل الأفضل أن تبقى الجثة في الثلاجة بضعة أيام قبل التخلص منها.

هذا مخيف.. مخيف.. أتساءل كيف كانت (ريا) وشقيقتها (سكينة) تدفنان الجثث في قبو بيتهما* ثم تنامان قريرتا العين!!!.. يبدو أن هناك من يولد مجرما بالفطرة.. الضابط يقطع حبل أفكاري ليكمل:

- لا شك أن أحدهم سيلحظ غياب زوجك.. وسيقوم رجال الشرطة حينها باستدعائك والتحقيق معك.. لذا يجب أن تكوني قوية في الأيام القادمة في مواجهة التحقيقات وتدعي جهلك التام بكل شيء.. احذري.. سيراقبون كل تحركاتك.. إنهم يبحثون عن هذا المال ولا يعلمون حتى الآن أنك سرقته.. ولو كانوا يراقبون زوجك كما أتوقع ورأوه يأتي لزيارتك.. فربما سيطرقون باب شقتك ويسألونك عنه كونهم لم يروه خارجا من العمارة.. عندها أخبريهم أنه خرج فحسب ولا تعرفين كيف فاتهم مشاهدته.. هذا كل ما عليك قوله.. لا تتحدثي كثيرا لكي لا تخطئي.

---

* (ريا) و(سكينة).. شقيقتان مصريتان بلغت شهرتهما الآفاق بعد أن تم تمثيل حياتهما في أكثر من عمل فني.. وقد ولدتا في الصعيد واستقرتا في مدينة (الإسكندرية) في بدايات القرن الماضي.. حيث قامتا بتكوين عصابة لخطف النساء وسرقة مصوغاتهن.. ومن ثم قتلهن بالاشتراك مع (محمد عبدالعال) زوج (سكينة) و(حسب الله سعيد مرعي) زوج (ريا).. وقد تم القبض عليهم جميعا وأعدموا عام ١٩٢١.. ويعتقد أن (ريا) و(سكينة) هما أول سيدتين يتم إعدامهما في تاريخ (مصر).

قالها وهو ينظر لصديقتي نظرة ذات مغزى.. لتتنحنح وتأخذني من يدي إلى الغرفة الأخرى تاركين الضابط ليتصرف بالجثة.. من المفترض أن يخرجها من غرفة النوم إلى المطبخ.. ثم يقوم هناك بتقطيعها وهي مهمة ليست باليسيرة.. ومن ثم وضع أجزاء الجثة في أكياس بلاستيكية ليخبئها في الثلاجة.. على أن أخرج تلك الأكياس بعد أيام قليلة من الآن لأدفنها بعيدا عن أعين الناس وفي مكان لا يمكن لأحد أن يعثر عليه كما علمتم.. يا إلهي.. أنا أتصرف كمجرمة محترفة.. هل يصنع المال كل هذا؟!.. نعم.. ولم لا؟!.. فها هي صديقتي وحبيبها يتصرفان بهذه الطريقة من أجل المال أيضا!!!.

جلسنا في الغرفة الأخرى دون أن نتحدث.. نسمع صوت الجلبة في المطبخ وأنا أنظر إلى صديقتي بقلق خوفا أن أستنفد كل مخزون الصداقة في قلبها حتى وإن كان الإغراء بالمال.. فما أطلبه منها كثير جدا.. المهم أن أكثر من ساعة مرت قبل أن يطرق حبيبها الباب.. ثم يدخل وهو يلهث بقوة ويشير إلينا أن نتبعه.. فتبعناه مباشرة إلى المطبخ.. ليفتح باب الثلاجة أمامنا ويقع بصرنا على أبشع منظر قد يراه إنسان!!!.. جثة طليقي مقطعة بالفعل ومقسمة على

3 أكياس بلاستيكية شفافة كبيرة الحجم نسبيا.. حسنا.. صديقتي تشيح بوجهها سريعا.. أشعر بغصة في حلقي وانقباض غريب في أمعائي.. أريد أن أتقيأ من بشاعة فعلتي ومن هذا المنظر المروع.. لكني تمكنت من الحفاظ على أعصابي رغم كل شيء.

ساد المكان صمتا طويلا.. فلم يكن هناك ما يقال أمام هذا المشهد البليغ.. الضابط يقول مذكرا:

- نرجو أن نستلم منك المبلغ خلال الأسبوع القادم.

قالها وودعني بكلمات سريعة.. أما صديقتي فاحتضنتني بقوة.. وطلبت مني أخذ الحذر.. قبل أن يخرجا ويتركاني وحيدة في شقتي.. مع جثة طليقي!!!.

في اليوم التالي.. خرجت من الشقة لزيارة بيت شقيقي كمحاولة لقتل الوقت بأي وسيلة إلى أن يتم التخلص من الجثة بعد أيام قليلة من الآن.. ولا داعي للقول إنني بذلت جهدا خارقا للحفاظ على ثبات أعصابي أمام الجميع.. عالمة أن الأمر لن ينتهي بالتخلص من الجثة.. إذ علي بعدها مواجهة تحقيقات الشرطة عندما تبلغ عائلة طليقي عن اختفائه.. ثم تنفيذ خطتي بعد ذلك بالسفر إلى (سويسرا) دون أن يكشف رجال الأمن في المطار وجود ذلك المبلغ

معي.. معتمدة على خطتي العبقرية التي لم أخبركم بتفاصيلها بعد.. وأخيرا علي وضع المبلغ في صندوق أمانات لأتنفس الصعداء.. يا إلهي.. أمامي مهام شاقة للغاية ومغامرات لا أعلم كيف ستنتهي.. لكن عزائي الوحيد أن حياتي ستستقر بعد ذلك وتتجه للأفضل.

عندما عدت إلى شقتي في تلك الليلة.. بدأت أعيش أجواء الرعب.. فالخيال يلعب دوره بوجود جثة مقطعة في ثلاجتي.. لقد كنت في مراهقتي أتفنن في إخافة نفسي.. كنت أتخيل كل كوابيس الكون في ذلك الركن المظلم من غرفتي.. أتخيل صوت الغسالة التي تعمل وحدها ليلا بصوتها المخيف وأهلي نائمون.. بل وتخيلت نفسي ضائعة في الفضاء وخزان الأكسجين على وشك النفاد.. لكني لم أتخيل للحظة أن أكون في موقف كهذا!!!.

كنت أتجنب دخول المطبخ وأنا أكرر دون توقف:

- يجب التخلص من الجثة في أسرع وقت.. يجب التخلص من الجثة في أسرع وقت!!.

أردد هذا الكلام وأنا أذهب إلى فراشي بقلب يخفق دون توقف بعد أن أغلقت باب غرفتي بإحكام.. إلى أن انتظمت دقات قلبي أخيرا وغرقت في عالم النوم اللذيذ الذي يهرب

إليه البعض أحيانا تجنبا للواقع وليس من أجل الراحة.. وهذا ما كنت أفعله.. أريد أن تمر الأيام وينتهي كل شيء.. و....

- (رواااااااان).. (رواااااااااان)!!!.

صوت يخاطبني عبر الأبعاد والأزمان.. من الغريب أن تعود إلى عالم الواقع فجأة.. تماما كأن تكون نائما ويسكب أحدهم دلوا من الماء البارد على رأسك.. ستستيقظ مباشرة حينها صارخا بذعر يفقدك كل تعقلك.. حسنا.. هذا ما جرى لي تحديدا حين استيقظت من النوم وأنا أسمع من ينادي اسمي بصوت عميق مرعب.. نعم.. كما تتوقعون.. كان هذا صوت طليقي الذي قتلته وجثته المقطعة موجودة في الثلاجة حاليا!!!.. أسمعه مرة أخرى يناديني:

- (رواااااااااان)!!!.

أقسم لكم أنه صوت طليقي يأتي من المطبخ تحديدا لكنه يبدو لي وكأنه من أعماق الجحيم.. إن طليقي ميت.. والله العظيم ميت وشبع موتا!!!.. قتلته بنفسي ورأيت جثته مقطعة بنفسي.. كيف يناديني من المطبخ؟!.. لقد كنت على يقين في السابق أنه لا توجد بيوت مسكونة بالأشباح.. بل توجد عقول مسكونة بها فحسب!!.. لكن من الواضح

أنني كنت حمقاء.. فالأمر يتجاوز كل الماديات كما هو واضح.. إنني أعيش كارثة حقيقية.. ويبدو أن الرعب كضوء الشمس.. لا يمكن احتواؤه أبدا!!!.

فقد أطلقت عندها صرخة عنيفة مدوية وغطيت وجهي بكفي وأنا أصرخ وأصرخ.. ثم التفت حولي بهلع مستدلة بالإضاءة الخافتة التي تخرج من حوض السمك إياه.. فتقع عيني على هاتفي النقال.. أتجه إليه سريعا لأتصل بصديقتي التي يبدو أنها ستعتاد على اتصالاتي المتأخرة هذه.. ولحسن الحظ ردت على الهاتف بعد لحظات قليلة.. حسنا.. لا داعي أن أصف لكم وقع شهقاتها التي سببتها قصتي وعدم تصديقها لي في بادىء الأمر.. فهذه أمور مفروغ منها.. لكنها قالت بصوت مرتجف بعد تفكير وبعد امتصاصها للصدمة:

- أعلم أن ما سأقوله سيبدو غبيا وربما مخيفا أيضا.. لكن.. احم.. احم.. هل لك أن تذهبي للمطبخ للتأكد من وجود جثة زوجك في الثلاجة؟!.

قلت بذعر:

- هل جننت؟!.. هذا مستحيل.. سأموت رعبا قبل أن أصل إلى المطبخ.. ثم إنه ميت.. أقسم لك أنه ميت!!!.

ردت بتوتر:

- أعلم.. أعلم.. لقد رأينا جثته جميعا.. لكنا لن نخسر شيئا على كل حال.. أنا نفسي لا أفهم الغرض من ذلك.. فقط افعلي ما قلته له أرجوك.

وأمام إلحاحها.. ورغم ترددي ألف مرة وخوفي الشديد.. إلا أنني وجدت نفسي أنفذ ما طلبته مني.. إذ خرجت من غرفتي بخطوات متعثرة مترددة وقد نسيت كل ما يتعلق بالنوم.. أطلب من صديقتي أن تظل معي على الهاتف لأشعر بالصحبة الآدمية على الأقل.. أفتح باب غرفتي وأنا أتلفت حولي.. ثم.. أمشي بخطوات متوترة إلى المطبخ .. أسناني تصطك بقوة.. ساقاي تحولتا إلى عودي مكرونة وأنا أفتح باب الثلاجة.. لأجد بقايا الجثة موجودة هناك مقطعة كما تركناها.. هذا مخيف.. مخيف!!!.. أشعر وكأن هناك ثعبانا بشعا زحف على جسدي للتو.. يا إلهي.. أي كارثة ستحدث؟!.. نقلت كلامي هذا لصديقتي.. وطلبت منها أن ترحمني وتسمح لي بالمبيت عندها كونها الوحيدة التي تعلم بالسر.. لا أصدق أن تتحول حياتي إلى هذا الكم من الكوابيس.. لقد دخلت عالم السرقة والقتل.. وحتى عالم الأشباح!!!.. هذا لا يصدق.. لا يصدق.

المشكلة أن صديقتي رفضت فكرة المبيت عندها رغم كل توسلاتي.. كانت تخشى أن تغرق بدورها أكثر وأكثر في أحداث هذه القصة.. لذا قضيت الليلة في شقتي أو في غرفتي إن أردنا الدقة.. أسمع نداء زوجي قادما من المطبخ في ليلة سوداء لن أنساها أبدا.. وأنا متجمدة في سريري متكورة على نفسي.. ولا أعرف كيف نمت.. حقا لا أعرف.

عندما استيقظت في صباح اليوم التالي بعد ليلة كابوسية.. خرجت مباشرة بعد أن اغتسلت وارتديت ثيابا مريحة.. إذ توجهت إلى بيت شقيقي بعينين منتفختين وبمزاج سيء للغاية متعللة بالإرهاق والتعب وكل عذر واهٍ قد يخطر ببالكم.. حيث ظللت هناك إلى وقت الغداء.. أتحدث مع شقيقي وأسأله بنفاد صبر عن موعد انتقالي للسكن عنده حيث الدفء العائلي والأمان.. فيقسم لي أن المتبقي هو أسابيع قليلة.. وهل سأحتمل هذا الكابوس يوما واحدا كي أحتمله أسابيع قليلة أخرى يا شقيقي العزيز؟!.. لقد فكرت بالمبيت عنده.. لكني وجدت بيته في فوضى عارمة بسبب التشطيبات الأخيرة للبناء.. وبدا من كلامه أنه لا يستطيع استقبالي الآن.. أخشى أن أتوسل إليه فتفضحني توسلاتي وتثير شكوكه.

عدت إلى شقتي شاعرة وكأن كل شياطين العالم تحدق بي.. ألتفت عند أدنى صوت.. أقفز من مكاني حين يرن جرس هاتفي.. وهذا أمر طبيعي.. فبعد حدوث شيء يثير رعبك.. ستتحول كل حركة طبيعية في البيت الى أمور تندرج ضمن عالم ما وراء الطبيعة.. أجلس في غرفتي بتوتر ورعب بعد أن بدلت ثيابي.. كيف سيمر اليومان التاليان قبل التخلص من الجثة؟!.. كيف؟!.. هل أتجاهل تحذيرات ذلك الضابط وأتخلص من الجثة الآن؟!.. وهل سيتوقف طليقي عن مطاردتي إذا تخلصت من جثته؟!.. هل ستظل روحه تطاردني؟!.. ليتني أعلم.. الخواطر تأكل من طاقتي وصحتي وأنا أعبث بقلق شديد بهاتفي مع صوت التلفزيون الذي أشعرني بشيء من الصحبة الآدمية.. الوقت يمر ببطء لكنه مر أخيرا.. يوم للنسيان لم أفعل فيه شيئا سوى القلق.

أحاول النوم بعد أن دسست نفسي تحت اللحاف.. حبيبات العرق تنبت على جبهتي.. فأنا لا أستطيع النوم عموما دون أن أتدثر باللحاف مهما شعرت بالحر.. لكني لم أنم رغم كل شيء.. بل ظللت أتقلب في السرير وكأنني أتلوى في الجحيم.. ثم.. الساعة الواحدة فجرا.. و:

- (رواااااان).. (رواااااان)

الصوت يخرج مرة أخرى من المطبخ.. إنه صوت زوجي دون شك.. يا إلهي.. متى سينتهي هذا الكابوس؟!.. لا.. لن أبيت هنا بعد الآن.. أمسكت هاتفي واتصلت بصديقتي رغم الوقت المتأخر.. رحت أرجوها أن تسمح لي بالمبيت عندها.. أتوسل إليها أن تفعل.. وأكرر لها أن مبيتي في أي مكان آخر قد يثير الشكوك في حال كشف رجال الشرطة أمر اختفاء طليقي.. بينما أستطيع أن أتفق معها على كذبة نرتبها معا ليصدقها الجميع مما سيبعد عنا الشبهات.. دعكم من أنني أرتاح لصديقتي أكثر كونها تشاطرني هذا السر.. فلا أريد أن يحاصرني أحد بالأسئلة ليعرف سبب توتري.. كما ذكرتها بأنني سأتخلص من الجثة مساء الغد وعندها قد تعود الأمور إلى سابق عهدها وأسلمها المبلغ الذي وعدتها به.. و.. لحسن الحظ.. وافقت صديقتي أخيرا.. وافقت على مضض.

ذهبت إلى بيتها بالفعل بعد أن أخذت حقيبة صغيرة واضعة فيها بعض الثياب وحاجياتي الخاصة الضرورية.. فاستقبلتني بعينين ناعستين وهي تخبرني أنها على الأرجح لن تذهب إلى العمل غدا بعد أن أيقظتها من نومها وأفسدت عليها ليلتها.. لم تقل هذا حرفيا.. لكني فهمت

ما بين سطور كلامها كما يقولون.. حتى إنني اعتذرت لها كثيرا.. لتبتسم مشفقة وهي تأخذني إلى غرفتها.. حيث أبدلت ثيابي لأستلقـي على السرير وأنـام إلى جانبهـا في فراشها قبل أن تطفيء الأنوار ليسود الظلام وتغوص كل منا في خواطرها الخاصة.. ثم.. قالت فجأة بشيء من الحدة:

- لو قدر لي أن أعود بالزمن إلى الوراء لما سمحت لك أن تسرقي مال زوجك.. أشعر بالقلق بعد أن تورطت معك في هذه القصة.. لا أعرف إلى ماذا ستؤول إليه الأمور؟!.. وكأن السرقة وجريمة القتل لم تكن تكفي.. لتظهر لنا الأشباح بعد ذلك.. المعذرة.. لكن أنت السبب وراء كل ما يحدث لك.. ليتك لم تدخلي شقة (الجابرية) اللعينة تلك وتسرقي المال منها.. الأمر لا يستحق كل هذا.. أعلم أنني سأحصل بدوري على مبلغ لا بأس به أيضا.. لكني أتمنى لو لم أتورط بهذه القصة أصلا.

أقول بألم شاعرة بالندم على ما فعلته:

- فات الأوان على ذلك يا عزيزتي.. فات الأوان.. عموما.. ما فعلته يثبت معدنك وثمن صداقتنا بالنسبة لك.

سألتني وهي تزفر:

- هل خبأت المال بمكان آمن؟!.

قلت بشرود:

- اطمئني.. لن يعرف أحد أبدا مكانه.

ثم.. يدور بيننا حديث جانبي حول أمور أخرى.. قبل أن يقل همسنا شيئا فشيئا وتغرق صديقتي في عالمها الخاص.. أما أنا فقضيت ليلة سوداء مخيفة أتقلب على السرير مرارا وأنا أتخيل منظر طليقي وهو ملطخ بالدماء ليدخل غرفتي ويقتص مني.. لقد امتلأ مخزوني من الخوف بعد كل ما رأيته في هذه القصة العجيبة.. سرقت طليقي.. وقتلته.. ثم جاء شبحه ليطاردني؟!.. هل سيكتفي الشبح بالبقاء في الشقة أم سيطاردني إلى هنا أيضا؟!.. لو حدث هذا فلن يمنعه شيء عني.. ولكن لماذا؟!.. لست أول من ارتكب جريمة قتل ولست أول من سرق.. لقد سرقت أموال تاجر مخدرات.. وقتلته دفاعا عن نفسي بعد أن حاول قتلي.. الأمر ليس بذلك السوء.

بالطبع.. عقلي يعمل بقوة محاولا إيجاد التبريرات لأفعالي.. و.. عندما يعمل عقلك بقوة وتكون على السرير دون أي مؤثرات خارجية.. تتضح لك الصورة أكثر وأكثر.. وتشعر حينها بأنك على قمة جبل لترى العالم كله من حولك!!!..

لقد انتبهت للتو إلى نقطة هامة للغاية.. فعلا.. كيف حدث هذا؟!.. كيف حدث هذا؟!.. هذه النقطة ليست منطقية.. هذا.. هذا يعني ضرورة أن نقلب الأحداث رأسا على عقب.. يا إلهي.. هل يعقل ما طرأ في ذهني للتو؟!!.. أرسم تفاصيل تلك القصة في مخيلتي لأجد ثغرة كبيرة.. فأمحوها وأعيد رسمها.. وهكذا.. عقلي يمارس المزيد من رسم الأحداث وإلغاء هذا وإضافة ذاك.. وكأنني أقوم بعملية مونتاج ضخمة لفيلم.. لأكتشف بعدها ما لم أتوقعه إطلاقا!!!.. هذا يعني أن.. أن.. الإجابة عسيرة التصديق لكنها الوحيدة الممكنة.. لقد طرأت بذهني فكرة غريبة جدا تحتاج إلى بعض التأكيدات.. وهذه الفكرة منحتني راحة نفسية هائلة جعلتني أنام قريرة العين لأول مرة منذ مدة طويلة.. عالمة أن الأمور ليست بالضرورة أن تكون كما تبدو عليه.. بل ربما هناك أحداث أخرى تدور خلف كواليس هذه القصة الغريبة!!!.

في اليوم التالي.. استيقظت وقمت بخطوة صغيرة دون علم صديقتي للتأكد من الفكرة التي داهمت عقلي قبل النوم.. لأكتشف أمرا مذهلا لم يكن في الحسبان!!.. لكني رغم كل شيء.. جلست ألتهم طعام الإفطار بهدوء وبحال أفضل

بكثير شاعرة أن استنتاجاتي صحيحة على الأرجح وأنني كشفت ما يدور حولي من مخطط ستعرفونه لاحقا!!!.. المهم أنني شكرت صديقتي على حسن استضافتها وأخبرتها أنني سأذهب إلى شقتي كوني سأتخلص من جثة طليقي مساء اليوم.. فيجب أن أستعد نفسيا لهذه الخطوة.. أقول لها هذا الكلام وذهني يخطط لأمر آخر تماما.. إلا أنها نهضت واحتضنتني وأكدت لي أنها مستعدة لاستقبالي في بيتها حتى بعد التخلص من الجثة.. وليذهب حذرنا إلى الجحيم على حد قولها.

عدت إلى شقتي وقد تبددت الكثير من مخاوفي بعد كل ما اكتشفته.. لكن هذا لم يمنعني من السير بخطوات حذرة مترددة ناحية المطبخ.. أتجه إلى الثلاجة.. أفتح بابها لأرى جثة زوجي المقطعة وأمعن النظر جيدا.. و.. خفق قلبي بعنف شديد.. يا إلهي.. إن استنتاجي صحيح إذا.. هل يعقل هذا؟!!.. جلست أفكر بما سأفعله أمام هذا الاكتشاف المذهل وبعد أن تأكدت من نظريتي.. أفكر بحل.. ماذا سأفعل؟!.. ماذا سأفعل؟!.. ساعات عصيبة قضيتها في غرفتي أحاول أن أرسم فيها السيناريو الذي يربط كل تفاصيل هذا اللغز ببعضها.. لترتسم في ذهني

خطة بسيطة.. لو نجحت فسأتخلص من جميع مشاكلي بضربة واحدة!!!.

انتظرت في شقتي إلى الثانية فجرا.. لأخرج بعدها مرتدية ثيابا رياضية وأركب سيارتي متجهة إلى تلك الشقة.. شقة (الجابرية) التي سرقت منها المال والتي بدأت فيها القصة بأكملها.. لن يتوقع أحد أبدا أنني سأعود إليها.. كنت قد احتفظت بمفتاحها لحسن الحظ.. آمل ألا يكون أحدهم قد غير القفل.. أردد تلك العبارة في ذهني شاعرة بثقة هائلة في النفس إلى أن وصلت إلى العمارة.. أنزل من السيارة ثم أتجه إلى درجات السلم لأصعدها بخطوات هادئة جدا.. صمت تام تكاد تسمع فيه صوت الهواء.. أصل أخيرا إلى الشقة ذاتها.. أضع أذني على الباب وأرهف السمع.. لا أسمع شيئا في الداخل.. أدخل المفتاح في القفل.. الباب يفتح لحسن الحظ.

أمشي بترقب شديد متجهة إلى غرفة النوم.. التوتر بدأ ينمو في قلبي.. لماذا؟!.. لأنني أظن أن أحدهم ينام هناك الآن!!.. كيف عرفت؟!.. سيتضح كل شيء بعد قليل.. أدخل الغرفة بهدوء وبيدي المسدس.. أتحسس السكين في جيبي.. لماذا السكين أصلا طالما أمسك بالمسدس؟!!.. فقط تمهلوا قليلا..

و.. هذا لا يصدق!!!.. طليقي لم يمت.. طليقي لم يمت!!!.. فها أنا أراه نائما أمامي الآن في سريره.. هذا أحد الألغاز المتعلقة بقصتي والتي سأكشفها لكم بعد قليل.

المهم أنني فعلت حينها ما جئت من أجله وما لا يصدقه عقل.. لقد جئت بالمسدس لأهدد به من سأجده في الشقة في حال إن لم يكن الموجود فيها طليقي.. أما الآن فالأمر يختلف.. وضعت المسدس جانبا.. ثم أخرجت السكين وأمسكتها بقبضتي لأطعن بها طليقي بكل قوتي.. طعنة قوية مركزة في معدته.. ليقفز من سريره فجأة وهو يشهق بذهول.. من الغريب أنني أقدمت على هذا الفعل بكل جرأة وكأن اكتشافي للحقيقة أظهر لي قدرات لم أكن أظن يوما أنني أمتلكها.. أراه يلفظ أنفاسه الأخيرة وعيناه تحدقان بي غير مستوعب ما يحدث حوله!!!.. نعم.. هذا هو الحل الوحيد للتخلص منه إلى الأبد.. الدماء تتسرب من بطنه دون توقف.. وجهه يزداد شحوبا.. بدا هذا واضحا من إضاءة هاتفي التي أنارت المكان.. ثم.. اتجهت مباشرة لزر الإنارة في الغرفة.. لأرى طليقي جيدا وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.. حسنا.. أنا لم ألمس شيئا هنا سوى السكين.. سآخذها معي وأتخلص منها فيما بعد.

أخرج بعدها من الشقة وقلبي يتقافز فرحا لنجاح الجزء الأصعب من خطتي دون أي مشاكل.. الغريب أنني لم أشعر بالذنب أو الخوف رغم ارتكابي لجريمة قتل حقيقية هذه المرة.. ربما لأن عقلي تشبع بارتكاب الجريمة الأولى حين أطلقت النار على طليقي دون أن أعلم أنه لم يمت أصلا آنذاك.. عموما.. سيكون لدي كل الوقت لأشرح لكم التفاصيل وأحتفل وأشعر بالفخر بما حققته.. لكن لا بد من العمل بسرعة الآن.. عدت إلى شقتي وأخرجت الأكياس من الثلاجة ونزلت بها لأضعها في صندوق سيارتي.. أختلس النظر إلى الساعة في هاتفي.. إنها الثالثة والنصف فجرا.. هناك اتصالات كثيرة من صديقتي ورسائل نصية منها تسألني عن حالي وعن قلقها علي كوني لم أتواصل معها منذ خرجت من بيتها.. لم يعد هذا مهما الآن.

أخرج بسيارتي أخيرا.. وأسير بها إلى أبعد نقطة ممكنة.. أدخل منطقة صحراوية لم يطلها المد العمراني بعد.. سيارتي تبتعد عن الطريق العام وتسير في الصحراء وبطريق وعر لمدة 10 دقائق تقريبا وسط الرمال.. آمل ألا يصيب إطارات سيارتي شيء.. ثم.. أقف في ذلك المكان المقفر.. وأخرج أكياس الجثة من السيارة لأضعها على الأرض.. أسكب عليها

مادة سريعة الاشتعال اشتريتها من السوق المركزي.. أمسك الولاعة بيدي و.. تشاك.. تشاك.. النار تشتعل في الأكياس دون هوادة.. جثة من هذه يا ترى؟!.. لا أعرف.. وربما لن أعرف أبدا!!.

عدت بعدها إلى شقتي شاعرة أنني تخلصت من عبء هائل.. حقا أننا جميعا نمتلك قدرات لا تصدق لكنها لا تظهر إلا حين تكون حياتنا على المحك!!!.. المهم أنني اتصلت بصديقتي حال وصولي إلى شقتي.. الساعة تتجاوز الخامسة فجرا لكني لم أكترث.. فترد على المكالمة بعصبية وبصوت يوحي أنها لم تكن نائمة أصلا.. تخبرني أنني أقلقتها كثيرا ولا يمكن أن أغيب هكذا فجأة لأظهر فجأة أيضا وفي هذا الوقت المتأخر.. خاصة مع الظروف التي نمر بها.. مع سيل آخر من الكلام الذي لم تكمله لأنها خرست تماما حين قلت فجأة:

- اذهبي إلى الجحيم أيتها اللعينة!!!!.

سمعت شهقتها على الخط الآخر غير متوقعة أبدا أنني أتحدث معها بهذه الطريقة.. لأقول بحقد واضح:

- نعم.. أنا أتحدث معك أيتها الحقيرة.. لقد كشفت لعبتك بالكامل.. أنت صديقة عمري وكنت أول من فكرت

باللجوء إليه في مشكلتي هذه.. ورغم ذلك كنت تخونينني بكل وقاحة وتتلاعبين بي طوال الوقت!!!.. إنك على علاقة بطليقي أليس كذلك؟!!.. لا أعلم إن كانت علاقة عاطفية أم أن الأمر مرتبط بتجارة المخدرات فقط.. لكني أعلم أنك متفقة معه ومع الضابط على كل شيء.. اتفقتم جميعا على التلاعب بي وأخذ المبلغ مني لتقتسمونه بينكم.. لا يمكنكم خداعي بعد الآن!!!.

كان هذا آخر ما تتوقع سماعه.. لذا خرست ولم تتمكن من الرد.. لأكمل قائلة بسخرية:

- أنا أعلم الآن أنني لم أقتل طليقي في المرة الأولى حين أطلقت عليه النار.. فالرصاصات التي جئتني بها لم تكن حقيقية أصلا.. لقد تأكدت من ذلك بنفسي حين أطلقت النار من المسدس نحو تحفة زجاجية ولم يحدث للتحفة شيء.. وهذا يعني أن الدماء التي خرجت من زوجي لم تكن حقيقية أيضا.. ربما كيس من الدماء وضعه بين ثيابه.. أتذكر الآن حين أطلقت عليه النار.. لقد وضع يده ضاغطا بقوة على صدره.. كان يحاول الضغط على كيس الدماء لينفجر وتخرج منه الدماء لتبدو لي وكأنها حقيقية.. لكن يستحيل أن أنتبه لهذا حينها أمام الضغط العصبي الذي

عشته ومنظر الدماء المخيف الذي لم أرَ مثله في حياتي.

بدت متخاذلة غير قادرة على الرد.. فقالت بصوت متوتر وكلمات ملعثمة:

- إنك.. إنك مخطئة.. تفسيرك هذا خيالي وبعيد عن الواقع!!.

أطلقت ضحكة ساخرة طويلة مستفزة لأقول:

- لقد انكشفتم وانتهى كل شيء.. أعلم أنكم حاولتم إخافتي بدخول زوجي إلى شقتي أثناء نومي واختبائه في المطبخ ليناديني من هناك.. طبعا كي تسببون لي الرعب وأخرج لأبيت عندك حتى يحصل على كل الوقت الذي يحتاجه للبحث عن المال.. لقد قمتِ بتمثيلية جميلة حين اعتذرت عن استقبالي للمبيت عندك في المرة الأولى.. أما الجثة التي تم تقطيعها فلم تكن جثة طليقي أيضا.. بل جثة أخرى مقطعة وجاهزة جاء بها صديقك الضابط ووضعها في الثلاجة أثناء وجودي معك في الغرفة.. بالطبع كان الموقف أكبر من أن أنتبه إلى وجه الجثة حينها وهي موجودة في الكيس.. لذا لم أنتبه إلى شيء.. كما تذكرت الآن أن كمية الدماء التي وجدتها في المطبخ كانت قليلة جدا قياسا بعملية تقطيع جثة كانت ستنتج عنها كمية أكبر من الدماء دون شك.

ردت بارتباك شديد:

- من أين أتيت بهذه الاستنتاجات السخيفة؟!.. إنك لن....

قاطعتها مباشرة لأكمل:

- لا أعتقد أن أحدا منكم توقع أنني سأتأكد يوما من حقيقة الجثة الموجودة في الثلاجة.. لكني فعلت.. وعرفت أنها جثة لشخص آخر ليس طليقي بالتأكيد.. وواضح من عملية تجهيز جثة بهذه السرعة أنكم كنتم مستعدين جيدا لتنفيذ خطتكم.. لقد كنتم تعرفون أنني سألجأ إليك حين اتصل بي زوجي في المرة الأولى.. ربما لقوة علاقتي بك ولقربنا الشديد من بعضنا.. وعموما لو لم أفعل فربما كنتم لجأتم إلى خطة أخرى.. والآن أيتها الحقيرة.. هل ما زلت تظنين أنني مخطئة في استنتاجاتي؟!!.

كان واضحا أنني فاجأتها وحاصرتها وأصبتها بالصميم.. بل وشعرت بها تزدرد لعابها بصعوبة ولا تعرف كيف ترد.. فأكملت بانتصار:

- هل تعرفين كيف كشفت أمرك؟!.. هل تذكرين حين كنا نتحدث في بيتك منذ يومين أثناء مبيتي عندك.. لقد أخبرتني

بزلّة لسان منك أن يوم دخولي شقة (الجابرية) كان يوما أسودا!!!.. لم أنتبه إلى كلامك لحظتها.. لكني تذكرت فجأة أنني لم أخبرك أبدا بمكان الشقة.. كنت على يقين من ذلك.. فكيف عرفت مكانها يا صديقتي الحقيرة؟!!.. هذا الأمر أثار شكوكي.. ولحسن الحظ كنا نتحدث في الظلام تحت اللحاف فلم تنتبهي للملامحي التي تجهمت لحظتها وشعرت أن هناك أمرا مريبا يحدث حولي.. عندها فقط قضيت الليلة بأكملها بإعادة رؤيتي للأحداث.. وفي الصباح.. أثناء وجودك في الحمام.. عبثت بهاتفك النقال الذي فاتك وضع كلمة سرية له لحسن الحظ.. فوجدت أكثر من اتصال بينك وبين طليقي.. أحدها قبل مجيئي للمبيت عندك بدقائق قليلة.. عندها علمت أنك على تواصل به.. هذا الأمر أربكني كثيرا.. ووضعني أمام حقيقة واحدة مهما بدت غرابتها.. وهي أن طليقي لم يمت.. وأنكما ربما تقومان بهذه المسرحية وتحاولان إخافتي بعد أن فشلتما في العثور على المال.

سكت قليلا لألتقط أنفاسي.. أسمعها تلهث حتى بدت لي وكأنها ترتجف.. ثم أكملت بحماس:

- كان هدفكما إخراجي من الشقة ليقوم طليقي بتفتيشها وسرقة المال.. عندها لن أتمكن من إبلاغ الشرطة بالطبع كوني

سارقة بدوري.. أعتقد أن طليقي استغل اختبائي في غرفتي وخوفي من الخروج حين كان يمارس معي لعبة الأشباح الحقيرة ليبحث في كل أرجاء الشقة عن المال.. لكنه لم يعثر على شيء بالطبع.. مما جعلك تقبلين مبيتي عندك في المرة الثانية كي يدخل غرفتي ويفتشها كما يشاء أثناء غيابي.. أليس كذلك؟!.. وعلى كل حال.. لن تعثروا على المال أبدا.. ولن يجرؤ أحد منكم على الشكوى ضدي.. لأنكم غرقتم في هذه القصة حتى النخاع أولا.. ولعدم وجود أي دليل ضدي ثانيا.. ولا شك أن تحريات الشرطة ستكشف كل شيء لو أبلغتهم بعلاقتك بزوجي وذلك الضابط.. بل ولا أعلم في واقع الأمر إن كان حبيبك ضابطا بالفعل.. لكن هذا لا يهمني الآن بعد أن تبين كل شيء.. لا تتصلي بي مرة أخرى أيتها الحقيرة.. لقد خسرتم جميعا وربحت أنا.. هل سمعت كلامي؟!.. لقد خسرتم جميعا وربحت أنا.. وداعا إلى الأبد!!!.

أنهيت المكالمة دون أن أسمح لها بالرد.. ونهضت من مكاني بثقة لم أشعر بها في حياتي متجهة إلى حوض السمك الصغير في شقتي.. وإلى الكيس البلاستيكي الذي خبأته في تلك القلعة الصخرية الصغيرة الموجودة في حوض السمك.. ستتساءلون بكل تأكيد.. كيف تسع تلك القلعة الصغيرة هذا المبلغ الذي

لا تسعه عادة سوى حقيبة كبيرة؟!!.. نعم يا أعزائي.. هنا تأتي خطتي العبقرية.. لقد قمت بتحويل العملة إلى الدولار السنغافوري وهو ما لن يخطر ببال أحد أبدا!!!.. لماذا؟!.. لأن عملة الدولار السنغافوري هي الوحيدة في العالم التي تحوي ورقة نقدية من فئة 10 آلاف دولار!!.. إنها أعلى قيمة نقدية لورقة في العالم*.. لهذا تحولت الأوراق النقدية الكثيرة التي ملأت حقيبة كاملة إلى ما يقل عن 500 ورقة فقط.. كل واحدة منها بقيمة 10 آلاف دولار سنغافوري.. فكان حجم المال صغيرا يسهل إخفاؤه في أي مكان.

لقد قمت بتحويل العملة بمساعدة أحد محلات الصرافة بعد أن منحتهم عمولة محترمة لكي يغضوا النظر عن طلب هويتي الشخصية وبعد أن زرتهم مرتدية النقاب.. خاصة أن محلات الصرافة تعلم جيدا أنها لن تتورط بشيء إذا انكشف أمري.. كوني لن أملك أي أدلة على أن المبلغ تم تحويله إلى عملة أخرى من عندهم.. على عكس محلات الذهب والمجوهرات التي تبيع سلعا قد تفضح مصدرها

---

* حقيقة.. وكما هو مذكور في القصة.. تعتبر الورقة المالية من فئة ١٠ آلاف دولار سنغافوري أعلى قيمة نقدية في العالم لورقة مالية وتعادل حوالي ٢٠٠٠ دينار كويتي.. وفي إطار مساعي (سنغافورة) لتشديد اجراءات مكافحة غسل الأموال فإنها توقفت منذ فترة بسيطة عن طبع أوراق مالية من تلك الفئة.. وذلك بعد أن تم استخدامها من خلال عدد كبير من العصابات المنظمة واللصوص.. كونها طريقه فعالة لنقل أو إخفاء كميات كبيرة من الأموال بين المطارات دون أن يثير هذا انتباه رجال الأمن.. تماما كما حدث في قصتنا هذه.

في تحقيقات الشرطة.. حقا أن (الإنترنت) عالم ساحر أفادني كثيرا حيث تجد فيه أي معلومة تريدها.. المهم أنني خبأت المبلغ بعد ذلك في كيس بلاستيكي داخل تلك القلعة الصغيرة في حوض الأسماك.. حيلة ذكية؟!.. حيلة عبقرية بقدر بساطتها؟!!.. إنها كذلك بكل تأكيد.. لأنها نجحت بامتياز ولم يعثر طليقي على المال أبدا رغم أنه قضى يوما كاملا يفتش عنه في شقتي أثناء مبيتي في بيت صديقتي.

نعم.. أعترف أن قصتي شائكة للغاية وشبيهة بطبق المكرونة.. فلا يمكن أن تمسك بأحد الخيوط وتعرف أين سينتهي.. أو ربما هي تشبه الكذبة التي تحوي بعض الحقيقة.. فلا يمكن أن ترفضها بسبب ما تحويه من حقيقة ولا يمكن أن تقبلها لأنها كذبة!!!.. لكن ما يهمني أنني خرجت منتصرة.. قتلت طليقي.. وأخرجت صديقتي (السابقة) من حياتي.. بل وقمت حتى بمحو رقم هاتفها من ذاكرة هاتفي.. وفي هذا الزمن.. عندما تمسح رقم شخص من هاتفك.. فهذا يعني أنك تلغيه تماما من حياتك!!!.

وبالطبع عثر رجال الشرطة فيما بعد على جثة طليقي في شقة (الجابرية) إياها وقاموا باستدعائي وطرح بعض الأسئلة علي.. لكني أخبرتهم أنه جاء إلى شقتي ذات مرة -بعد خروجه من

السجن- راغبا أن يعيدني إليه فطردته ولم أره بعدها.. لن يتوقع رجال الشرطة أبدا أن تلك الفتاة المسكينة -أنا- هي وراء كل شيء.. إنني واثقة الآن أننا جميعنا أذكياء.. لكن علينا أن نثق بقدراتنا ونبحث دوما عن الأجوبة.. ويجب ألا نعتمد على أحد إطلاقا في هذا العالم.. فحتى ظلنا سيتخلى عنا حين نكون في الظلام.

لقد خرجت من عنق الزجاجة.. وتعلمت من هذه التجربة أن عدوك فقط هو من يخبرك بالحقيقة.. أما أصدقاؤك فيكذبون عليك بلا توقف مع الأسف.. إذ تجدهم أحيانا يحتضنونك بيد.. ويدهم الأخرى ممسكة بخنجر ليطعنوك في ظهرك.. يبدو أن الناس لا يتغيرون حين تعاشرهم.. إنهم فقط يظهرون على حقيقتهم.. وها قد كشفت زوجي وصديقتي على حقيقتهما.

ولا أنسى أن أذكر أنني نفذت خطتي كاملة بعد شهور قليلة.. فسافرت بهذه الأموال دون أن يكشف أحد وجودها معي في المطار كما هو متوقع.. ووضعتها في صندوق أمانات بأحد بنوك (سويسرا).. تماما كما خططت.. فهذا هو الحل الآمن الوحيد حاليا.. إذ لن يعرف أحد أبدا ما يحويه هذا الصندوق.. سأنتظر بعض الوقت.. ربما 3 سنوات إلى أن

أتخرج من الجامعة.. قبل أن أقرر ما سأفعله.. المهم الآن أن طريق النجاح قيد الإنشاء.. ويبدو أن الخيارات الخاطئة تأخذنا أحيانا إلى الأماكن الصحيحة!!!.

أدرك جيدا أن هناك نقاطا لا تشبع فضولنا.. وأسئلة تظل دون إجابات.. لكنها لا تهمني كثيرا الآن.. فما هي طبيعة علاقة طليقي بصديقتي (السابقة) بالضبط؟!!.. هل كان يخونني معها؟!.. لقد كانت تزورني أحيانا في الماضي وقبل أن تبدأ تلك الأحداث.. فهل نشأت بينهما علاقة ما؟!.. ومتى تحالفا تحديدا ضدي؟!.. وكيف تحالفا مع ذلك الضابط؟!.. هل هو حبيبها كما كانت تدعي؟!.. وهل هو ضابط أصلا؟!.. لقد دبر جثة ووضعها في ثلاجتي.. ودبر لي رصاصات مزيفة.. وهذه أمور لا يقدر عليها الإنسان العادي إلا لو كان مجرما له سوابق.. أو ضابط فاسد.

هناك احتمال آخر.. أن تكون صديقتي (السابقة) على علاقة غرامية بالضابط بالفعل؟!.. أما طليقي فربما التقى بالضابط في السجن مثلا أو بعد خروجه من السجن.. وأغراه بالمال إذا ساعده في العثور عليه.. لا أعرف.. ولا أعتقد أنني سأعرف.

ماذا؟!.. تسألون إن كانت صديقتي حاولت الاتصال بي بعد

أن كشفت أمرها؟!.. في الواقع أنها لم تفعل.. ومن المؤكد أنها علمت بمقتل طليقي وأن لي يدا في الموضوع.. فاختارت السكوت بدورها والابتعاد كي تخرج مع الضابط من تلك القضية دون مشاكل.. هذا أفضل ما قد يحدث وأقصى ما ستتمناه بكل تأكيد.

أعلم أنه سيتبادر إلى أذهانكم أنني فتاة سيئة.. لكني أقولها لكم بكل ثقة.. لا توجد براءة في هذا العالم.. فقط درجات مختلفة من الذنوب!!.. والواقع أنني لم أعد أرى نفسي فتاة سيئة.. فقد سرقت مال مجرم.. بل وقتلته لأنقذ نفسي وأنقذ الناس من شروره.. ولقنت ضابطا فاسدا مع صديقتي (السابقة) درسا لن ينسياه أبدا.. حقا إذا كنت لا تريد أن يغدر بك أحد ولا يخونك أحد فاحتفظ بأسرارك لنفسك.. أعترف أنني ما زلت أتساءل أحيانا إن كان عقد تلك الشقة في (الجابرية) هو باسم الضابط أم باسم شخص آخر لم يكن في مسرح الأحداث.. لكن على كل حال.. هذا لا يهم كثيرا.. فها أنا أقيم في بيت شقيقي شاعرة بالأمان وأن حياتي تسير بوتيرة ثابتة نحو النجاح بعد أن خرجت أخيرا من تلك الحرب.. وتلك الحكاية الغريبة.. حكاية مليون دينار!!!.

فوضى في عقلي!!

تحكيها: هبه

العمر: 20 عاما

صفات مميزة: بيضاء البشرة.. نحيلة.. قصيرة الشعر والقامة حتى لتبدو وكأنها طفلة صغيرة.

في البداية أؤكد لكم سعادتي القصوى لوجودي بينكم في هذه الأمسية الساحرة التي أتمنى أن تمتد إلى الأبد في عالم آخر موازٍ بعيدا عن عالمنا الحقيقي!!!.. أشعر بأنني كنت مخفية فترة طويلة بسبب حياة العزلة التي فرضتها على نفسي كوني قضيت أهم سنوات عمري نزيلة مستشفى الطب النفسي.. حتى إنني أتساءل أحيانا.. ما الأفضل؟!.. أن أكون خريجة سجون أم خريجة مستشفى الطب النفسي؟!.. ففي الحالتين سيشعر المرء بالخزي.

وإنني بالمناسبة أوجه تحية حارة لك يا دكتور.. خاصة أنك كنت معي خطوة بخطوة في أهم أحداث قصتي هذه.. كما أشكرك على تلبية الدعوة وحضورك الشخصي فقط لتستمع إلينا.. وسأترك لك صياغة قصتي لقرائك بالطريقة التي تراها مناسبة.. فلم ولن أكون يوما أديبة.

لكن يجب أن أنوه إلى نقطة هامة للغاية أولا.. وهي أن قصتي قد تحوي الكثير من الثغرات.. لكن أعدكم أن الصورة ستتضح لكم بالكامل في النهاية.. أما بالنسبة لنقطة البداية فربما سيكون من السهل تحديدها.. إذ بدأت من الخلافات التي دبت بين أبي وأمي واستمرت شهورا طويلة ليقررا الانفصال وأنا طفلة صغيرة لم يتجاوز عمري العامين..

حيث انتهى كل شيء بينهما برحيل أبي الذي لم أقابله في حياتي ولا أعرف عنه شيئا حتى الآن!!!.. وهذا أمر مؤسف بحق.. فالأب كما يقولون هو أول بطل في حياة ابنه وأول حب في حياة ابنته.

لذا قضيت كل طفولتي في بيت أمي الذي ورثته عن جدي رحمه الله كونه رجلا ثريا مقتدرا يملك بعض العقارات التي سجلها بأسماء أبنائه قبل وفاته.. فحصلت أمي على هذا البيت في منطقة (الروضة) بعد خلافات طويلة مع أفراد عائلتها انتهت بانقطاعنا التام عنهم.. وظلت متفرغة بعدها لرعايتي وتربيتي.. إذ لم تكن تخرج كثيرا سوى للذهاب إلى عملها في إحدى الجهات الحكومية رغبة في قتل وقت فراغها على حد قولها.. أما بخصوص المدرسة فقد كنت طالبة متفوقة بفضل اهتمام أمي الكبير والتي كانت تحرص على البقاء معي كل يوم لأنجز فروضي المنزلية بأجواء حميمة بسبب حنانها وصبرها ومتابعتها المستمرة لي.

كانت سنوات جميلة هادئة هي أجمل سنوات عمري.. حيث بذلت خلالها أمي كل ما بوسعها لإسعادي.. وهذا ما جعلني مدللة إلى حد كبير مما عوض نقص وجود الأب في حياتي.. إلى أن بلغت الثامنة من العمر.. عندما تقدم

لأمي رجل يكبرها بعقد من الزمن.. وقد بدا الأمر غريبا مزعجا بالنسبة لي في ذلك الوقت كوني اعتدت على الحياة بهذه الطريقة دون وجود أي رجل في حياتنا.. وذلك رغم محاولات أمي المستمرة لإقناعي بأنها لا تزال صغيرة ومن حقها أن تتزوج.. وأن هذا الرجل سيقوم بدور الأب على أكمل وجه وسأشعر بقيمة وجوده مع مرور الأيام على حد قولها.. لكن عقلي الصغير آنذاك لم يقتنع أبدا.. فمصطلح (زوج الأم) لا يبعث الراحة على النفس كما نعلم جميعا.. ولا يختلف إطلاقا عن مصطلح (زوجة الأب).. بل وقد يكون أكثر قسوة!!!.. ربما بسبب تشربنا قصص إساءة زوجات الأم ابتداء من قصة (سندريلا) الشهيرة التي كنت أحبها كثيرا وانتهاء بالقصص التي ما زلنا نقرأها حتى يومنا هذا.

لكني وجدت نفسي في النهاية أنساق معها بسبب صغر سني الذي جعل اعتراضي لا يتعدى بعض البكاء والغضب في البداية ثم القبول بالأمر الواقع.. خاصة حين قابلت زوجها أول مرة.. فبدت صورته مختلفة عن زوج الأم القاسي الذي رسمته في مخيلتي.. إذ كان قصير القامة نسبيا.. هزيل الجسد.. هادىء الملامح.. أسود الشعر.. حتى إنني ظللت أتأمله لفترة دون أن أتحدث.. أما هو فراح يربت على رأسي

ويخبرني أنه سيهتم لأمري وسيكون خير أب لي.. وهكذا مرت الأيام القليلة التالية قبل أن يتم عقد القران أخيرا لينتقل زوج أمي إلى بيتنا حسب رغبة أمي.. وكان هذا منطقيا للغاية كون البيت ملكا لنا ولا يوجد أي سبب للانتقال لمكان آخر.

كم أتمنى أن أخبركم أن حياتي كانت قاسية وأنني اكتشفت أن زوج أمي رجل أناني بغيض أساء إلينا وأوصلني إلى تلك الأحداث الرهيبة التي عشتها.. لكن شيئا من هذا لم يحدث في واقع الأمر.. بل اكتشفت أنه رجل مرهف الحس.. فنان حقيقي يعشق الرسم.. قام بتحويل أحد غرف البيت إلى مرسم أنيق يحوي رسومات بالغة الدقة والجمال.. وقد فوجئت به بعد شهور قليلة وهو يخرج لوحة كبيرة قام برسمها لي وقد حرص ألا أراها قبل انتهائه منها.. حيث بدوت فيها وكأنني أميرة من العصور الوسطى.. فقام بتعليق اللوحة في صالة البيت لتحتل مساحة كبيرة من الجدار.. ثم:

- قضيت الشهور الماضية في رسم تلك اللوحة.. هذه هديتي لك يا عزيزتي.

فأقول ممتنة بخجل طفولي:

- شكرا لك يا عمي.

ليرد بعتاب أبوي:

- ألا أستحق كلمة (بابا)؟!.

أمي تنظر إلي بنظرة ذات مغزى.. فأقول بتردد:

- شكرا لك يا.. بابا.

فيحتضناني معا لأشعر بألفة رائعة.. وكأننا الأسرة المثالية التي كنت أراها في التلفزيون طوال حياتي.. كان هذا بالطبع قبل أن تظهر تلك الفتاة في حياتي بصورة مفاجئة!!!.. نعم.. الأمر قد يبدو غريبا غير قابل للتصديق.. لكن هذا ما حدث فعليا!!.. فقد ظهرت في بيتنا فجأة فتاة بمثل عمري تقريبا.. وباتت تتحدث إلي باستمرار وتلعب معي طوال الوقت دون أن يراها أو يسمعها أحد سواي!!!.. وقد سبب الأمر بعض القلق لأمي في بادىء الأمر بعد أن سمعتني أتحدث مع هذه الفتاة أثناء وجودي في غرفتي.. لكن ظل زوجها يؤكد لها ألا تقلق وأن عددا ليس بالقليل من الفتيات في مثل عمري لديهن أصدقاء افتراضيون.. أو كما يقول الأجانب (Imaginary Friends)* خاصة لمن ليس لديهن أخوة.

---

* الصديق الافتراضي ظاهرة نفسية واجتماعية تتكون فيها علاقة صداقة بين إنسان وشخصية خيالية لا توجد في عالم الواقع.. وغالبا ما يكون لهذه الشخصية الخيالية سمات وسلوكيات متقنة حيث تبدو حقيقية لمن يتخيلها.. وتحدث عادة ظاهرة الأصدقاء الخياليين في سن الطفولة.. وأحيانا في مرحلة المراهقة.. ونادرا في مرحلة النضج.. وبعض الأطفال لا يمكنه تمييز أولئك الأصدقاء الخياليين عن الأشخاص الحقيقيين.. في حين نجد بعضهم الآخر يعلم في قرارة نفسه أن الشخصية التي يصادقها خيالية.. ويرى بعض الخبراء أن الصديق الخيالي جزء مهم في حياة العديد من الأطفال.. حيث يكون مصدرا للتنفيس في أوقات الخلافات العائلية أو الوحدة.

لكني لم أكترث لكلامهما رغم كل شيء.. لا تنسوا أنني كنت طفلة صغيرة لا تفكر بأي عواقب ولا تريد سوى الاستمتاع بوقتها فحسب.. لذا كنت سعيدة لوجود تلك الفتاة في حياتي دون أن أشعر بالخوف منها أو حتى أتساءل عن سبب ظهورها.. ولا أنسى أن أمي حاولت التحدث معي أكثر من مرة لإقناعي أن ما أراه هو من وحي خيالي فقط.. لكني لم أصدقها.. إذ كنت أرى الفتاة وألعب معها طوال الوقت.. فكيف ستكون وهمية بعد كل هذا؟!.. حتى إنني حاولت ذات مرة أن ألتقط لها صورة بالكاميرا الرقمية الموجودة في البيت وقبل اختراع الهواتف الذكية.. لكنها لم تكن تظهر في أي من الصور!!!.. فاقتنعت في داخلي أن هذه الفتاة صديقتي أنا فقط وتعيش في عالمي الذاتي ولن أحتاج إثبات وجودها إلى أحد أصلا.

لقد أخبرتني الفتاة أن اسمها (سميرة).. وأكدت لي أكثر من مرة أنها حقيقية تماما لكن لن يراها أحد غيري!!!.. بل وكانت تذهب معي إلى المدرسة لتقف في زاوية الفصل دون أن تنطق بحرف إلى أن تنتهي الحصة.. وقد تحدثت حينها ببراءة الأطفال لبعض زميلاتي عن وجودها معي في الفصل.. لكن معظمهن سخرن مني ومن سذاجتي على

حد قولهن.. إلا أنني لم أكترث لسخريتهن.. بل رحت أستمتع بوجود صديقتي (سميرة) في حياتي شاعرة بأمان لا حد له.. فأخبرها بكل خباياي وأسراري الطفولية.. أخبرتها أنني أسرق الحلويات من دولاب أمي أحيانا.. وأنني لا أفرش أسناني كل يوم رغم أنني أؤكد لأمي أنني فعلت.. كما ترون.. كانت تغنيني عن أي صداقات أخرى.. فبدأت بالعزلة عن زميلاتي مما أثار حفيظتهن في بادىء الأمر.. قبل أن يعتاد الجميع على ذلك.. لتصبح (سميرة) كل حياتي في غضون شهور قليلة.. وتبدأ تتحدث معي بطريقة مختلفة عن السابق تتجاوز مجرد اللعب ومشاركتي الأسرار الطفوليـة!!!.

كان هذا في منتصف العام الدراسي.. عندما بدأت أسألها لأول مرة عن حياتها الشخصية ولماذا لا يراها أحد سواي.. بل وسألتها كذلك عن أبويها كوني قد كبرت قليلا.. وبضعة شهور تضيف نضجا أكبر لفتاة في مثل عمري بطبيعة الحال.. لكن ظلت (سميرة) تحاول التملص والإجابة باقتضاب إلى أن شعَرَت في النهاية أنها تحت ضغط شديد.. وبدا هذا واضحا من توترها الذي لاحظته عليها لأول مرة.. فأخبرتها مشجعة وبصدق طفولي أنني سأخفي سرها مهما كان.. إلى

أن وثقت بي أخيرا.. لتخبرني بعد صمت طويل أنها في واقع الأمر شبح!!!!.. وأنها تشعر بالوحدة وتريد أن تبقى معي وتكون صديقتي إلى الأبد.. كوني أمتلك نوعا من الشفافية التي تسمح لي برؤيتها على حد قولها.

والواقع أن هذا لم يسبب لي أي مشكلة.. المشكلة فيما قالته بعد ذلك.. حين.. حين أخبرتني أن زوج والدتها قد قتلها وقتل والدتها ودفنهما في حديقة البيت.. بيتنا هذا!!!.. سألتها عن هوية القاتل.. فقالت بكل بساطة إنه زوج أمي!!!.. نعم.. زوج أمي هو نفسه كان زوج أمها أيضا فيما مضى.. وقد قتلهما وقام بدفنهما في حديقة بيتنا هذا أثناء خروجي مع أمي في إحدى المرات.. فلن يتوقع أحد أن تكون الجثث مدفونة هنا على حد ظنه.

كان الأمر مخيفا غريبا سبب لي رعبا هائلا حينها.. لذا لم أحتمل الكتمان.. فذهبت باكية إلى أمي لأخبرها بما سمعته من (سميرة) وسط نظرات زوجها المتوترة التي بدت لي وكأنه وقع في الفخ!!!.. بالطبع صعقت أمي بهذا الكلام الذي لا يتناسب أبدا مع سني رغم أنها لم تصدق منه حرفا كما هو متوقع.. فكانت المرة الأولى التي تعنفني فيها بحدة وهي تتحدث عن الوهم وتؤكد أن (سميرة) هذه

لا وجود لها وأنني كبرت الآن وحان الوقت لأبتعد عن الصداقات الخيالية.

كانت ردة فعلها قاسية جدا وغير متوقعة بالنسبة لي.. حتى إنني بكيت كثيرا حينها وشعرت بغضب هائل وكراهية شديدة لزوجها الذي ارتكب جريمة قتل حسب فهمي.. فذهبت إلى غرفتي كما يفعل أي طفل.. لتحتضنني (سميرة) وتحاول مواساتي وهي تطلب مني استجماع شجاعتي والتأكد بنفسي من كلامها.. عندها ستقتنع أمي بكل تأكيد وستطرد زوجها من البيت.

لذا قمت ليلتها بما لا يخطر ببال أحد.. أتذكر أنها كانت ليلة (جمعة).. حين انتظرت نوم الجميع وأنا أتقلب في سريري محاولة ألا أستسلم بدوري للنوم.. ثم.. هل تصدقون أن تتسلل فتاة في الثامنة من عمرها إلى حديقة البيت في وقت متأخر لتحفر بيدها الصغيرة وتستخرج الجثث؟!!.. هذا لا يعني أنني شجاعة مثلا ولا أخشى الظلام.. لكني تجرأت وفعلت ذلك لوجود صديقتي (سميرة) معي خطوة بخطوة.. إلا أن الأمر ظل مستحيل التنفيذ رغم كل جهودي.. فكل محاولات الحفر الطفولية هذه لم تمس سوى القليل من سطح التربة.. قبل أن أشعر بوجود

أحدهم خلفي.. التفت وإذا به زوج أمي يحدق بي ويقول بذهول حقيقي:

- ما الذي تفعلينه هنا بحق السماء؟!!.

نظرت إليه بذعر.. هل.. هل سيقتلني أيضا؟!.. ألتفت إلى (سميرة) مستنجدة.. لكنها ظلت تقف صامتة دون أن تتدخل كما تفعل دوما أثناء وجود شخص ثالث معنا.. حينها قلت له بعناد طفولي ممزوجا بالخوف:

- أنت قتلت امرأة وابنتها (سميرة) ودفنتهما في حديقة البيت!!!.

ظل ينظر إلي غير مصدق أنني أقول شيئا كهذا.. ثم أمسك بيدي وسحبني بحدة إلى داخل البيت وإلى غرفته حيث أمي لا تزال نائمة.. و:

- استيقظي يا عزيزتي.. لقد ذهبت للاطمئنان على ابنتك في غرفتها لكني لم أعثر عليها.. لم أرغب بإخافتك.. فبحثت عنها بنفسي في كل مكان لأجدها أخيرا تحفر في حديقة البيت لتستخرج جثثا مدفونة هناك على حد قولها!!!.

حسنا.. سأترك لخيالكم ردود أفعال أمي في تلك الليلة من صراخ ووعيد ممزوجا بالخوف علي.. لكن الأهم من

كل هذا هو ما قالته لزوجها بعد دقائق من استيعابها للصدمة بأنني ربما أكون مصابة بمس من الجن!!!.. فكل تصرفاتي تدل على ذلك.. أما زوجها فبدا لي للحظة وكأنه يخشاني لسبب ما.. هل لأنني على وشك افتضاح أمره مثلا كما أخبرتني (سميرة)؟!.. أم لأنني مصابة بمس من الجن بالفعل؟!.. ليتني أعلم.. أتذكر جيدا أنها كانت المرة الأولى التي شعرت فيها بالقلق على حالتي العقلية بسبب كلامهما هذا.. ولم أكن أعلم حينها أن ما مررت به هو فقط تمهيد لأحداث مرعبة أتمنى لو أستطيع أن أمحوها من ذاكرتي!!!.

فبعد أيام قليلة من تلك الحادثة.. استيقظت من النوم فجأة في وقت متأخر من الليل.. وهو أمر نادر الحدوث لطفلة في مثل عمري عليها الذهاب إلى المدرسة في الغد بطبيعة الحال.. جلست أتساءل عن سبب استيقاظي المفاجيء هذا.. قبل أن أشعر فجأة بأن عقلي يفقد سيطرته على جسدي.. فقد تشنج ظهري فجأة!!!.. وراح يرتعش بعنف.. حتى بات يضرب بالسرير بقوة بمشهد مخيف بليغ شبيه بما حدث لتلك الفتاة في أشهر فيلم رعب في التاريخ (طارد الأرواح الشريرة) (Exorcist) كما

علمت فيما بعد.. وبالطبع لا بد لصراخي هذا والصوت الذي أحدثه اصطدام ظهري بالسرير أن يوقظ الجميع.. إذ فوجئت بوعيي يعود إلي تدريجيا لأجد أمي وزوجها يمسكان بي بقوة ليثبتاني على السرير.

نظرت إليهما بذهول حال عودة وعيي إلي.. لتحتضنني أمي فجأة وهي تبكي وتقول لزوجها الذي تجمد في مكانه كالملدوغ:

- لقد قلت لك.. لكنك لم تصدقني.. الأمر يتعلق بالجن.. الأمر يتعلق بالجن.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. يجب أن نفعل شيئا قبل أن تضيع ابنتي!!!!.

بالطبع لم يكن بإمكانه أن يعترض.. فما حدث حالة مدرسية شديدة الوضوح لتلبس الإنسان بالجن كما ترون.. المشكلة أن الأمور لم تتوقف عند هذا الحد.. بل ظلت تسوء أكثر وأكثر.. حتى بات صراخي وتشنج ظهري ورعشات جسدي أمورا تحدث عدة ساعات بصورة شبه يومية في الأيام القليلة التالية التي كنت أفقد فيها وعيي كثيرا بعد تلك النوبات.. فتحول بيتنا فجأة إلى وجهة لمشائخ الدين وحفظة القرآن الذين جاءت بهم أمي لاستخراج الجن مني.. لكن.. شيئا لم يتغير.. بل ساءت حالتي وفقدت الكثير من وزني وشحب

جسدي في زمن قياسي.. وما زاد الأمور سوءا هو.. احم.. احم.. المعذرة.. لا أقصد إخافتكم.. لكني أتحدث عن وقائع هنا.. كنت أقول إن ما زاد الأمور سوءا هو دموعي أثناء بكائي في نوبات الصراخ.. فقد كانت الدموع عبارة عن دماء.. نعم.. كانت عيناي تدمعان دما ليكتمل مسلسل الرعب!!!.

لن أصدع رؤوسكم بحالة الكآبة والجو السوداوي الذي عم البيت بأكمله.. خاصة بعد أن يأست أمي من علاجي على يد مشائخ الدين.. فقامت بأخذي إلى المستشفى.. لكن النتيجة لم تتغير.. إذ لم يتمكن الأطباء من تشخيص حالتي إطلاقا رغم كثرة الفحوص.. وهذا ما جعل أمي تتأكد أن الأمر له علاقة بالجن بالفعل.. وإلا لكانت للأطباء كلمة على الأقل.

ماذا؟!.. تسألونني عن (سميرة)؟!.. لقد كنت أراها في غرفتي بين الحين والآخر حين تنتهي نوبات المس بالجن.. وكانت تتحدث معي باستمرار وتخبرني بأسف أنها لا تستطيع مساعدتي.. مع تأكيدها بأن الأمور ستسوء أكثر حين يقدم زوج أمي على قتلي وقتل أمي قريبا!!!.. لذا يجب قتله قبل أن ينفذ خطته.. وراحت تخبرني بخطة عبقرية للتخلص من زوج أمي إلى الأبد.. بالطبع لم يكن الأمر هينا.. خاصة

مع الحالة التي كنت أعيشها والتي جعلت البيت في حالة استنفار دائم.

وقد اقتنعْت بكلام (سميرة) بالفعل في تلك الليلة السوداء التي قادتني إلى مستشفى الطب النفسي آنذاك ولأول مرة في حياتي.. حين طلبت مني أن أغلي بعض الزيت في المطبخ وبوقت متأخر جدا من الليل.. على أن آتي بعدها وأصب الزيت على رأس زوج أمي ليصاب بحروق شديدة ويموت على الأرجح!!!.. أعلم أن الأمر يبدو غريبا للغاية ويصيب أجسادكم بقشعريرة.. لكنها الوسيلة الوحيدة للقتل بالنسبة لفتاة في مثل عمري لن تملك القوة الكافية لتطعن شخصا بالسكين مثلا.

لذا نفذت ما قالته (سميرة) حرفيا!!!.. إذ نهضت من فراشي في وقت متأخر من الليل وسط السكون الذي عم البيت بأكمله.. ثم اتجهت إلى المطبخ وقمت بغلي بعض الزيت وأنا ألتفت يمينا ويسارا آملة ألا تكشف الخادمة وجودي وتفسد الخطة قبل أن تبدأ.. أمسك بالقدر المغلي بحذر لأصعد به إلى الطابق العلوي حيث تتبعني (سميرة) إلى غرفة أمي.. لكن.. فتاة صغيرة تفتح باب غرفة نوم وبيدها قدر صغير مليء بالزيت الساخن لا بد وأن تحدث جلبة كافية لإيقاظ النائمين.. فاستيقظت أمي وزوجها فجأة مع

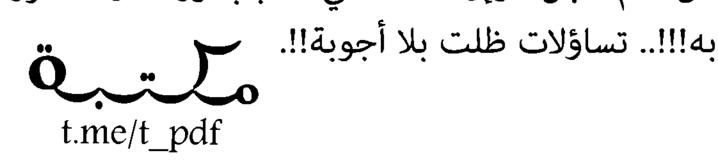
صوت غليان القدر.. لكني لم أكترث.. بل توجهت بإصرار ناحية زوج أمي وكنت على وشك سكب قدر الزيت عليه!!!.. إلا أنه ابتعد سريعا عن السرير ودفع القدر عن يدي.. لينسكب الزيت بعيداً على الأرض وسط صراخ أمي التي هرعت مسرعة لتهز كتفي الصغيرين بعنف غير مصدقة ما كنت على وشك فعله!!!!.

كان هذا الحد الفاصل لحياتي في البيت.. إذ أخذتني أمي إلى مستشفى الطب النفسي صباح اليوم التالي وقد شعرَت أنه المكان الوحيد الذي يصلح لي بعد أن فشل الطب الباطني ومشائخ الدين في علاجي.. وهناك أخبرت الطبيب بكل شيء تقريبا.. نوبات التشنج.. الرعشات ودموع الدم.. (سميرة).. ظنوني المستمرة بوجود جثث في حديقة البيت.. والأهم بالطبع.. ما حاولت فعله في الأمس.. لذا رأى الطبيب أن علي البقاء في المستشفى فترة من الزمن.. خاصة بعد أن شعر أنني ربما سأشكل خطرا على حياة أمي وزوجها لو بقيت معهما في البيت.

لقد كانت هذه بداية النهاية لحياتي ومستقبلي.. فقد نسي الجميع أمر المدرسة بعد أن ظللت في المستشفى فترة طويلة امتدت إلى 3 سنوات تقريبا كنت أتعرض فيها

بصورة مستمرة لمس الجن وأعراضه التي ذكرتها لكم.. دون أن تتوقف زيارات أمي وزوجها المستمرة لي.. والتساؤلات لا تتوقف.. كيف تبدلت حياتي بهذه الصورة؟!.. ما هو السبب يا ترى؟!.. حتى الأطباء ظلوا يطرحون الأسئلة طوال فترة وجودي في المستشفى دون العثور على إجابات واضحة.

لكن رغم كل شيء.. وبعد العناية والاهتمام الفائقين والأجواء الهادئة في المستشفى.. ومع الأدوية والجلسات العلاجية المكثفة من الأطباء الذين كانوا يستمعون إلي باهتمام وكانوا والحق يقال بقمة اللطف.. ومع الراحة النفسية كوني تخلصت من أعباء الدراسة كأي طفل لا يفكر أبعد من أنفه ولا يرى المستقبل.. بدأت الأمور تتحسن تدريجيا.. وبدأ ظهور (سميرة) يقل في حياتي إلى أن اختفت ولم أعد أراها.. خاصة وأنني كبرت وعلمت في قرارة نفسي أن هذه الفتاة لا شك وأنها من وحي خيالي.. بالطبع.. 3 سنوات في عمر طفلة هي فترة طويلة دون شك.. فقد بلغت الحادية عشر من العمر بعد تلك السنوات في المستشفى.. لكني ظللت أتساءل إن كانت (سميرة) نفسها من عالم الجن.. وإن كانت هي السبب وراء كل ما مررت به!!!.. تساؤلات ظلت بلا أجوبة!!.



ولا أنسى أبدا لقاءك معي صباح ذلك اليوم حين جلست في مكتبك يا دكتور وقلت لي بابتسامة عريضة:

- من المفترض أن تكوني بخير الآن يا (هبة).. أعلم أنني لم أتابع حالتك منذ البداية.. لكن بعد قرائتي لملفك ومتابعتك طوال الفترة التي قضيتها في المستشفى.. أرى أن حالتك تحسنت كثيرا يا عزيزتي وأنك شفيت.. أعتقد أنك تستطيعين العودة إلى بيتك الآن.. هل تريدين الاتصال بوالدتك لتأتي وتأخذك؟!.

هل تذكر كلماتك تلك يا دكتور؟!.. كنت حينها حديث العهد بمهنتك وتريد مساعدة الجميع.. حتى إنني أخبرتك بشيء من الفرح:

- أعلم أن أمي تدرك شفائي وتحسن حالتي.. لقد أخبرتني بذلك بنفسها أكثر من مرة.. آخرها في زيارتها لي منذ أسبوع تقريبا.. لكنها لا تتوقع خروجي اليوم.. أريد أن أفاجئها.. فقط أطلب منك أن تمنحني بعض المال وتطلب لي سيارة أجرة لتأخذني إلى البيت.

ورغم أن هذا منافيا للوائح والنظم كما أخبرتني بنفسك كون خروجي من المستشفى يجب أن يتم بإشراف ولي أمري بسبب صغر سني.. إلا أنك كنت كريما معي حين

أخذتني بنفسك إلى بيتنا.. حيث ظللت صامتة متفائلة طوال الطريق أتساءل عن وقع هذه المفاجأة السارة على أمي.. مع شعور لا أنكره بالندم بشأن زوج أمي الذي حاولت قتله بناء على تهيؤات طفولية سببها عقلي المختل وإصابتي بمس الجن.. لحسن الحظ أنه استيقظ سريعا في تلك الليلة بسبب الجلبة التي أحدثتها ومنعني من سكب الزيت الساخن على وجهه.. لا أصدق ما كنت على وشك فعله آنذاك!!!.. أفكر أيضا أثناء الطريق كيف ستكون حياتي بعد أن تحطم مستقبلي ولم أكمل تعليمي؟!.. أو ربما لا يزال هناك وقت لألتحق بالمدرسة؟!.. لا أعلم.. تدور تلك الخواطر في ذهني قبل أن تصل السيارة إلى البيت.

حين وصلنا أخيرا.. كانت الساعة تتجاوز الرابعة عصرا بقليل.. أرى سيارة أمي في الخارج.. وسيارة زوجها كذلك.. ضربت الجرس.. ليرد صوت أنثوي من خلال السماعة يسأل بلغة عربية ركيكة عن هوية الطارق.. يظهر أنها خادمة جديدة.. فأقول بصوت مرتجف:

- أنا (هبة).. أريد أن أدخل.. أين أمي؟!!.

الصوت لا يرد.. أسمع وقع أقدام في الساحة الداخلية للبيت.. يفتح الباب بحذر.. خادمة سمراء البشرة.. هندية

ربما.. إنها خادمة جديدة بالفعل.. تطلب مني بابتسامة عريضة الدخول بعد أن عرفتها بنفسي.. فأتبعها بخطوات حذرة وأنا أطلب منها أن تسحب حقيبتي معها.. ألوح لك بذراعي مبتسمة ممتنة على ما فعلته من أجلي.. قبل أن أسبق الخادمة إلى الداخل بخطوات سريعة.. و.. ما إن دخلت الصالة.. حتى رأيتها كما كانت حين تركتها آخر مرة.. اللوحة التي رسمها زوج أمي لي لا تزال تحتل جزءا كبيرا من الحائط.. كانت أياما رائعة قبل أن يتبدل كل شيء وتظهر (سميرة) في حياتي وأصاب بهذا المس الذي لا نزلنا نجهل عنه كل شيء.

يسرح عقلي وأنا أنظر إلى تلك اللوحة.. ثم.. تنزل امرأة بعيون دامعة.. وهي تقول غير مصدقة:

- (هبة) حبيبتي.. هذه أجمل مفاجأة.. متى خرجت؟!.. لماذا لم تبلغينا كي نأتي ونأخذك من المستشفى؟!!.

كلام جميل مؤثر.. والدموع تبدو صادقة إلى حد كبير.. لكن.. المشكلة أنني لم أرَ هذه المرأة في حياتي!!!!!.. صدمة جديدة تضاف إلى حياتي المليئة بالصدمات.. وكما قلت لكم منذ البداية.. ستشعرون أن قصتي تحوي العديد من الألغاز والثغرات.. لكن سيتضح لكم كل شيء فيما بعد..

أين كنا؟!.. نعم.. هذه المرأة ليست أمي بكل تأكيد!!!.. أنظر إليها ببلاهة وهي تأتي لتحتضنني بقوة.. فأصد عنها في حيرة مشوبة بالذهول.. تنظر إلي مستغربة وهي تقول:

- (هبة).. لماذا تنظرين إلي بهذه الطريقة؟!.. هل أنت بخير يا عزيزتي؟!.

قلت وكأنني فجرت قنبلة:

- من.. من أنت؟!!!.

وكأن سؤالي هذا آخر ما تتوقعه.. إذ شهقت واحتبست أنفاسها للحظة قبل أن ترد:

- إنه أنا يا ابنتي.. ماذا جرى لك؟!.. كنت بخير قبل أيام قليلة.

قلت لها بقلق محاولة استجماع أفكاري:

- كيف تدعين أنك أمي؟!.. أنت لست أمي.. ماذا تفعلين في بيتنا؟!!!.

انعقد لسانها قبل أن يقطع حديثنا رجل خرج من غرفة المرسم ليقول بحماس:

- (هبة).. أخيرا خرجت من المستشفى يا حبيبتي.

هل علي أن أكرر نفس الكلام؟!.. من هذا الرجل؟!.. إنه ليس زوج أمي.. أنا لم أره في حياتي أيضا.. نقلت له كلامي بتوجس.. فنظر إلي بدوره بذهول واضح وهو يقول:

- أنا زوج والدتك يا عزيزتي.. ما الذي جرى لك؟!.

قلت بعصبية:

- هل هذه خدعة أم ماذا؟!.

نظرا إلى بعضهما بحيرة شديدة.. الرجل يقول مبتسما بألم:

- ولماذا نخدعك يا عزيزتي؟!.

أما المرأة فقالت بلوعة:

- حبيبتي.. لقد كنت بحال أفضل في المستشفى.. كنا واثقين أنك تعافيت وستخرجين قريبا.. فما الذي جرى لك؟!!.

قلت وأنا أصرخ:

- إنني بحال أفضل بالفعل.. لهذا أدرك جيدا أنكما مخادعان.. سأتصل بالطبيب الآن.

اتصلت بك يا دكتور.. وأتذكر أنك طلبت مني التحدث مع تلك السيدة.. ويبدو أنك اقتنعت بكلامها.. بالطبع.. كل شيء كان يصب في غير صالحي.. صغر سني.. تاريخي

المرضي.. أمي.. زوجها.. أتذكر أنك ذهلت تماما لما حدث بعد أن ظننت أنني تعافيت!!!.. ولا أنسى المشادة الكلامية بينك وبين أمي واللوم الشديد الذي ألقته عليك وعلى المستشفى بأكمله ووصفها لك بالأحمق كونكم لا تعرفون شيئا عن الطب النفسي رغم تلك المدة التي قضيتها تحت ملاحظتكم والتي لم تأت بثمارها على حد قولها.. حتى إنها أقفلت الخط بوجهك لتنهار باكية وبطريقة مؤلمة.. هل يعقل أن يكون كل هذا تمثيل؟!.. هل يعقل أن تكون هناك مؤامرة اشتركت فيها هذه المرأة والرجل وأنت يا دكتور؟!.. هل أنا مجنونة أم أن الآخرين مجانين؟!!.. الجواب سهل كما ترون!!!.. خاصة مع الصور التي عثرت عليها في البيت لأمي.. جميعها تقول إن هذه المرأة هي أمي بالفعل.. لماذا تحمل لها ذاكرتي صورة أخرى إذا؟!.

يبدو أن المس الذي أصابني مع تلك الأعراض الغريبة قد أثروا على حالتي العقلية.. لقد شعرت وقتها أنني لا أحتاج حماية من العالم الخارجي.. بل من الأفكار السوداء التي تغزو رأسي.. فدمعت عيناي حزنا على حالي.. قبل أن أذهب إلى غرفتي وسط صمتهما التام والأفكار تتضارب في رأسي.. و.. هذه غرفتي بالفعل.. إنني أحمل كل ذكرياتي فيها.. لكن.. تغيرت الروح.. تغير الهواء نفسه بعد هذه السنوات.

لا يوجد الكثير لأقوله عن حياتي في الأيام التي تلت خروجي من المستشفى سوى محاولات تلك السيدة التودد لي ومعاملتي بتدليل مبالغ به فقط كي أشعر بالألفة معها.. فلم تتوقف عن شراء الهدايا وطبخ كل ما لذ وطاب من الطعام لكسب ودي.. مع حديثها المستمر عن السفر كونه سيغير الكثير من حالتي النفسية حين نذهب إلى بيئة مختلفة تماما عن هذا البيت الذي بت أحمل له ذكرى سوداء.. لكني عجزت رغم ذلك عن الانسجام مع هذا الوضع.. حتى لو كنت قد استسلمت واعترفت أني مجنونة.. لذا قضيت معظم الأيام التالية في غرفتي شاعرة أن حياتي بأكملها متوقفة وتسير بلا هدف!!!.

كان هذا قبل أن يحدث التبدل الجذري الجديد في حياتي بعد أيام قليلة من خروجي من المستشفى وفي وقت متأخر من تلك الليلة.. حين كنت غارقة في نوم عميق أبعدني عن عالم الواقع.. لأسمع فجأة صوت باب غرفتي يفتح.. لكني لم أكن متأكدة إن كان هذا يحدث في الواقع أم في عالم الأحلام.. هناك أنفاس تقترب من أذني.. صوت أنثى تتحدث بلغة عربية ركيكة:

- (هبة).. هل تسمعينني؟!.. استيقظي أرجوك.

فتحت عيني ببطء شديد وبدأت أستوعب أن الصوت يأتي من عالم الواقع.. نور غرفة المعيشة يقتحم غرفتي.. أنظر إلى صاحبة الصوت باستغراب.. إنها الخادمة.. تقول هامسة وبلغة عربية ركيكة:

- تلك المرأة وزوجها نصابان بالفعل!!!.. سوف يقتلانك ليستوليا على البيت.. لا بد أن تفعلي شيئا.. اهربي.. أو اتصلي بالشرطة.. أرجوك كوني حذرة.

قالتها وقد طار كل أثر للنوم من عيني.. نبضات قلبي تتسارع.. هل يعقل؟!.. لماذا يحدث كل هذا؟!.. أنا لست مجنونة إذا!!!!.. سألتها بأنفاس لاهثة لا تدل أبدا على أنني كنت نائمة بسلام منذ قليل:

- كيف تمكنا من ذلك؟!.. كيف تمكنا من انتحال شخصية أمي وزوجها؟!.. بل أين أمي وزوجها الآن أصلا؟!!.

ردت بتوتر:

- لا أعرف عنهما شيئا.. لقد جاء هذان الغريبان إلى هنا قبل عودتك بأيام قليلة.. ودار نقاش حاد هامس بينهما وبين أمك وزوجها.. فخرجا في اليوم التالي على عجالة ولم يعودا منذ ذلك الحين.. ليأخذ الغريبان مكانهما!!!.. لقد أوصتني

والدتك قبل خروجها بالاستماع والانصياع للغريبين تماما.. وهذا ما فعلته.. فأنا لا أريد التدخل بشيء.. لكني عجزت عن تجاهل الأمر حين سمعتهما يتحدثان عن قتلك!!!.. أرجوك لا تخبري أحدا أنني كشفت لك الأمر.. فأنا مجرد امرأة فقيرة ولا أرغب في التدخل بشيء.. لكني لا أريدك أن تتعرضي للقتل أيضا.

قلت بذهول:

- ولماذا يرغبان بقتلي؟!.

هزت كتفيها كناية عن أنها لا تملك الإجابة.. لقد كانت تتصرف كحال أي أجنبي يعيش هنا.. لا تريد أن تقطع لقمة عيشها.. لكن ضميرها صحا كما يبدو وفكرت على الأقل بتحذيري.. سألتها مرة أخرى:

- ماذا عن أقاربنا؟!.. هل يعقل ألا يكتشف أحد الأمر؟!.

ردت باستغراب:

- أنا لم أر أحدا يزوركم يوما.

إنها محقة في ذلك.. فعلاقتنا مع أقاربنا سطحية مع الأسف بسبب خلافات متعلقة بالميراث كما ذكرت في بداية قصتي.. لكن.. هل يرغب الغريبان بقتلي بالفعل؟!.. يا إلهي.. هل

يعقل أن أمر بكل هذه الغرائب في حياتي؟!.. المشكلة أن الخادمة لم تمنحني الفرصة لطرح المزيد من الأسئلة.. إذ قالت ما قالته ثم تركتني في غرفتي وحيدة وكأنها تخشى أن يكشف أحد وجودها معي.. تخيلوا أن يوقظ أحدهم طفلة في الـ 11 من عمرها ليخبرها أنها ستتعرض للقتل!!!.

أنظر إلى الساعة عبر هاتفي النقال الذي اشترته لي أمي منذ سنة تقريبا.. حيث تعلمت استخدامه بمساعدة صديقاتي نزيلات المستشفى.. إنها الثالثة فجرا.. من المحزن أن الأرقام الموجودة في هاتفي لا تتجاوز 4 أو 5 أرقام.. لقد عشت حياتي بأكملها في عزلة.. لا أملك أي صداقات سوى الفتيات اللاتي تعرفت عليهن في المستشفى وسمعت على لسانهن قصصا مخيفة سوداء أوصلتهن إلى ما هن عليه.. بعضهن خرجن من المستشفى على فترات مختلفة.. وأخريات لا يزلن نزيلات هناك.. المهم الآن ما يحدث حولي.. إن حياتي معرضة للخطر.. فكيف سأتصرف؟!.

ظل السؤال يلح على عقلي الطفولي طوال الوقت.. إلى أن غالبني النعاس رغما عن أنفي.. راجية أن يتحول نومي إلى غيبوبة لا أصحو منها أبدا.. لكن هذا لم يحدث مع الأسف.. بل كان نوما متقطعا متوترا يعكس حالتي النفسية جيدا..

فأستيقظ بين ساعة وأخرى لأنخرط في بكاء حاد وأفكر بيأس بالطريقة التي سأتصرف بها.. وهكذا ظللت بين النوم واليقظة وأنا أرى أشعة الشمس تتسلل إلى غرفتي معلنة عن صباح جديد مفعم بالسواد إن صح التعبير.. إلى أن قررت النهوض أخيرا من السرير والساعة لم تتجاوز الثامنة صباحا بعد.. أتجه إلى الطابق الأرضي.. فأجد التي تنتحل شخصية أمي تجلس في الصالة وأمامها طاولة صغيرة عليها فطور خفيف.. لماذا لم تذهب إلى عملها؟!.. آه.. نعم.. اليوم (السبت).. عطلة نهاية الأسبوع التي لا تعني لي شيئا.. ألقي تحية مقتضبة.. لترد التحية بحماس شديد وهي تنهض لتحتضنني بحنان.. هذه الأفعى.. أي لعبة شيطانية تمارسها بالضبط؟!.. لماذا لا تقتلني مباشرة إن كان هذا ما تنويه فعليا؟!.

ألتفت يمينا ويسارا فأسأل عن زوجها.. لترد بذات الحنان الذي وجدته مبتذلا متصنعا:

- لقد خرج لقضاء بعض الحاجيات وسيعود بعد قليل.. هل أعد لك شيئا تأكلينه يا حبيبتي؟!.

كنت جائعة بالفعل.. لكن كيف سأثق بأي شيء هنا بعد ما أخبرتني به الخادمة؟!.. هل سأواجه هذه المحتالة بما

يحدث؟!.. ستنكر تماما دون شك.. لذا جلست في الصالة ورحت أنظر بشرود إلى اللوحة الفنية التي رسمها زوج أمي لي.. حيث أبدو فيها كأميرة من العصور الوسطى.. وكأن هذه الأميرة فقدت عرشها الآن وأصبحت خادمة.. الأفكار تتقاذف في رأسي الصغير.. أذهب بعدها بنفسي إلى المطبخ لأعد طعام الإفطار وسط اعتراضات تلك المحتالة بأنها ستعد لي إفطاري بنفسها.. لكني لم أكترث لكلامها.. بل كنت أتصرف بحذر واضح.

أجلس أمام شاشة التلفزيون لأضع بعض الجبن وسط قطعة صغيرة من الخبز وأدس كل هذا في فمي كما نفعل جميعا.. تحاول المحتالة التحدث وفتح بابا للحوار.. لكني أتجاهلها وأنظر إلى التلفزيون.. أسمعها تتنهد بأسف مصطنع.. أشعر بأن وجودها يضايقني كثيرا.. فقررت النهوض والابتعاد عنها.. فكرت باستكشاف غرف البيت التي لم أدخلها منذ أكثر من 3 سنوات تقريبا.. إذ قضيت الأيام القليلة الماضية منذ خروجي من المستشفى في غرفتي.. وأحيانا في الصالة.

أدخل غرف البيت بصمت رهيب.. لم يتغير شيء سوى مرسم زوج أمي الذي امتلأ بالرسومات مع لوحات بيضاء خالية تنتظر أن يضع بصماته الفنية عليها.. أكاد ألتفت

لأخرج من المرسم لكن.. مهلا!!.. ما هذا؟!!.. تجمدت في مكاني للحظة أمام لوحة موضوعة على الأرض مستندة إلى الحائط.. إنها تحوي رسما غير مكتمل.. هذا الرسم.. هذا الرسم يحوي صورة لتلك المحتالة وهي تمسك بخنجر مخيف لتبدو وكأنها مقبلة لتقتل أحدهم.. تقتل من؟!.. لا أعلم.. فالرسم لم يكتمل بعد.. من الذي رسم هذه اللوحة؟!.. الذي يتقمص شخصية زوج أمي؟!.. هل هو فنان أيضا؟!.. وهل يعقل أن يرسم تفاصيل جريمته؟!!.

عقلي سينفجر من تلك التساؤلات.. خرجت من المرسم متجهة إلى الصالة.. ووجدت المحتالة جالسة تحتسي كوبا من الشاي.. فقلت لها بتوتر وبركان القلق يثور في داخلي:

- ما سر تلك اللوحة في غرفة المرسم؟!!.

نظرت إلي بحنان مصطنع.. لتقول بحيرة:

- أي سر يا ابنتي؟!.. وأي لوحة؟!.. لا أفهم عم تتحدثين!!!.

قلت بعصبية:

- من الذي رسمها؟!!.

نظرت إلي بغباء.. فأشرت إليها بوقاحة أن تتبعني.. لكن.. كانت المفاجأة.. مفاجأة بالنسبة لي وليست لها بالطبع..

اللوحة خالية تماما ولا تحوي أي رسم!!!.. فتحت فمي لا شعوريا وأنا أنظر إلى المحتالة بغباء.. أي لعبة يمارسها هؤلاء؟!!.. حتى لو كانت هناك مؤامرة كما تقول الخادمة.. فكيف تمكنا من تبديل اللوحة؟!.. أنا لم أرَ أحدا يدخل الغرفة بعد أن خرجت منها للتو.. ثم هل يعقل أن يتقن ذلك المحتال الرسم أيضا كما يتقنه زوج أمي؟!!.

قلت بحدة:

- هذه اللوحة.. لقد كانت تحوي رسما لك وأنت ممسكة بخنجر ومتجهة نحو شيء ما.. كيف اختفى الرسم من عليها؟!!.

ردت بلوعة:

- ومتى كنا نملك الوقت لنفعل هذا يا حبيبتي؟!.. زوجي خرج منذ الصباح ولم يعد حتى الآن.. وأنا لم أترك مكاني للحظة كما ترين!!!.

عضضت على شفتي قهرا وكدت أصرخ وأنفجر بوجهها.. لكن هذا لن يفيد.. فخرجت من المرسم وصفقت الباب خلفي بعنف تاركة تلك المحتالة وحدها.. ثم اتجهت إلى غرفتي لأفكر بما سيحدث لي.. أشعر بالضياع.. روحي مثقلة

بمشاعر متناقضة.. حياتي معرضة للخطر.. تخيلوا أن هذا يحدث لفتاة صغيرة مثلي.. كيف سأحتمل هذه الحياة؟!.. اللعنة!!!.

مر اليوم ببطء شديد.. كان كل ما فعلته هو الجلوس أمام شاشة التلفزيون بعقل غائب.. ثم تناول الفتات في وجبة الغداء وعلى مضض.. عالمة أنني سأخسر الكثير من وزني رغم أنني نحيلة أصلا.. فكيف تعيش وتأكل مع محتالين يدعون أنهم أهلك ويرغبون بقتلك والعالم بأكمله يصدقهم ولا يصدقك؟!!.. حتى وإن كان جزءا منك يخبرك أن الخلل في عقلك أنت!!!.. فكرت بالاتصال بك يا دكتور.. لكنك في النهاية لن تصدقني.. ما الفائدة؟!.. لهذا السبب قررت التوجه إلى المطبخ لأخذ أفضل سكين وجدتها تصلح للدفاع عن النفس وخبأتها تحت وسادتي.. وقد طلبت من الخادمة ألا تدخل غرفتي أبدا.. لا أريدها أن تعثر على السكين أثناء قيامها بأعمال التنظيف لأنني لم أعد أثق بأحد.. فجميع الأبواب مغلقة في وجهي كما ترون.. وهذا التصرف الوحيد البديهي لأي إنسان معرض للقتل.. لذا بدا الشحوب واضحا على ملامحي وعقلي غائب في عالم آخر آمل ألا ينتقل إليه جسدي أيضا إذا

نجح هذان الوغدان بقتلي.

جلست بعدها في غرفتي لأغرق في بكاء عنيف بعد كل ما مررت به في حياتي.. كل فتاة في هذا السن لا يشغلها سوى دراستها والاستمتاع بوقتها في عطلة نهاية الأسبوع.. أما أنا فخريجة مستشفى الطب النفسي ولم أكمل تعليمي وما أزال على الأرجح أعاني جنونا لا أفهم سببه.. أي حياة هذه؟!!.

هدأت أعصابي تدريجيا بعد نوبة البكاء.. فأمسكت بجهاز التحكم عن بعد ورحت أقلب بين قنوات التلفزيون دون أي اعتبار للوقت الذي لا يعني لي أي شيء مع الأسف.. أشاهد فيلما تلو الآخر بعقل نصف غائب.. ثم خرجت من غرفتي لتناول العشاء بشرود مع تلك المرأة وزوجها وقد تملكني يأس غريب حتى بت غير مكترثة إن قاما بتسميم الطعام مثلا.. وغير مكترثة أيضا بمحاولاتهما الخرقاء المصطنعة لكسب ودي.. لأعود بعدها ثانية إلى غرفتي وأجلس على سريري أفكر وأنا أعبث بشرود ولمدة طويلة في هاتفي.. قبل أن تطرأ في ذهني فجأة فكرة غريبة.. ماذا لو نزلت إلى الطابق الأرضي وذهبت إلى المرسم مرة أخرى؟!.. هل سأجد اللوحة خالية أيضا؟!!.

تحفزت كثيرا عند هذه الفكرة.. ووجدت نفسي أنهض من السرير في وقت متأخر من الليل لأخرج من غرفتي بتوجس شديد.. أنزل إلى الطابق الأرضي.. إضاءة الصالة خافتة جدا بعد أن خلد الجميع إلى النوم.. أتجه بهدوء ناحية المرسم.. أفتح الباب بيد مرتجفة.. ثم أضغط على مفتاح إضاءة الغرفة وأبحث بتوتر عن مكان اللوحة.. نعم.. إنها موجودة في مكانها.. ومن تنتحل شخصية أمي تظهر عليها مرة أخرى أيضا وهي ممسكة بسكين وتحاول أن تقتل أحدهم.. وقد تم إضافة تفاصيل لم تكن موجودة في المرة السابقة.. تفاصيل غرفتي.. إنها غرفتي بالفعل.. ما الذي يعنيه هذا؟!.. هل أمتلك قدرة غريبة لرؤية نبوءات مستقبلية مثلا؟!.. أم إنني ببساطة.. مجنونة؟!!.. مهما كانت الإجابة.. الأمر الوحيد المؤكد أن حياتي في خطر!!!.. حياتي التي لا معنى لها في خطر.. عبارة متناقضة جعلتني أبتسم لا شعوريا بأسى وأستدير عائدة إلى غرفتي والخواطر تتقاذف في عقلي!!!.

جلست بعدها أقرأ إحدى الروايات القديمة الموجودة في غرفتي باستسلام ويأس.. لأشعر فجأة بشيء غريب في عقلي.. شيء لا أستطيع وصفه.. وكأن الهواء قد دخل رأسي

فجأة ونفض عنه الغبار!!!.. الغريب أن هذا منحني شعورا كبيرا بالارتياح لم أشعر به منذ عودتي إلى البيت.. هناك شيء تغير.. لا أستطيع قياسه لكني أشعر به.. حتى أن جفوني ثقلت فجأة.. لأنام بعمق واطمئنان شديدين استيقظت على إثرهم في اليوم التالي بنشاط غير مألوف!!!.. نهضت من سريري حال استيقاظي شاعرة بانتعاش غريب.. فتحت باب غرفتي لأجد.. لأجد أمي على الممر في الطابق العلوي!!!.. لا.. ليست المرأة المحتالة.. بل أمي نفسها وهي تنظر إلي بحنان.. أمي.. كيف عادت؟!!.. لم أفكر بالجواب.. بل ذهبت إليها بلوعة واحتضنتها بكل قوتي وأنا أبكي بحرقة!!!.. كان تصرفي هذا مستغربا جدا بالنسبة لها.. لدرجة أنها ظلت مصدومة عاجزة عن احتضاني.. قبل أن تتنهد بارتياح وتحتضنني بالمقابل لتسألني بسعادة واستغراب عما دهاني ولماذا أبكي بهذه الطريقة.

رحت أخبرها بحماس عن المؤامرة الحقيرة التي أراد المحتالان تنفيذها.. وعن عودتها إلى البيت أخيرا.. وعن اللوحة.. و.... لم أكمل كلامي.. فكل ما بملامحها يوحي بالاستغراب الشديد.. ثم.. أراها تبتسم مرة أخرى بحزن وتربت على كتفي وكأنها تأخذني على قدر عقلي كما نفعل

مع الأطفال أو.. مع المجانين!!!.. ليخرج زوجها من غرفة النوم بسبب الجلبة التي أحدثناها.. إنه.. إنه زوج أمي الحقيقي.. لقد عاد سالما أيضا.. و.. أول مرة في حياتي أذهب إليه لأحتضنه أمام نظراته المصدومة!!!.. فاحتضنني بدوره وهو يقول بسعادة تشوبها المفاجأة:

- (هبة) عزيزتي.. يسعدني كثيرا أنك بخير!!!.

ماذا عن الخادمة؟!.. هل ما أخبرَتني به حقيقي؟!.. هل كنت أتوهم زيارتها لي في غرفتي؟!.. هناك حلقة مفقودة في كل ما يحدث حولي.. هل الحلقة المفقودة في دماغي؟!.. ليتني أعلم.. كنت مشتتة تماما ولا أعرف من أصدق.. ربما.. ربما كل شيء حولي طبيعيا للغاية والمشكلة بي أنا فحسب.. أنا لا أملك عقلي أصلا فلماذا أثق به؟!.. حاولت تناسي الأمر وطرد تلك التساؤلات من رأسي لأعيش لحظات السعادة وأنا أرى أخيرا وجوها مألوفة في البيت.. حتى إن أمي طلبت منا بحماس شديد أن ننزل لنتناول الإفطار معا.. فأومأت برأسي موافقة بحماس.. ونزلنا جميعا إلى الطابق الأرضي بالفعل لنجلس حول مائدة الطعام حيث أعدت الخادمة إفطارا خفيفا.. الغريب أن الخادمة كانت تتصرف بطريقة اعتيادية وكأن شيئا لم يتغير في البيت!!!..

لكني لم أكترث.. أريد أن أعيش حياة طبيعية طالما الأمور عادت إلى طبيعتها.

رحنا نأكل بهدوء وأمي تنظر إلي بين الحين والآخر مبتسمة.. زوجها يحاول كسر حاجز الصمت ليقول بمرح:

- هل تعجبك لوحاتي الفنية يا حبيبتي؟!.

قلت مبتسمة:

- كثيرا.

يرد وقد اتسعت ابتسامته:

- هذه اللوحة.. لقد اعتدنا وجودها في صالة البيت حتى لم نعد نوليها اهتماما.. ربما سأرسم لوحات أخرى لك.

قالها وهو يشير إلى اللوحة الكبيرة إياها والتي رسمها لي في تلك الأيام السعيدة.. نظرت إليها بأسى لأقول:

- كانت قبل مس الجن الذي أصابني.

ابتسم بحرج ولاذ بالصمت بعد أن شعر أن رغبته بكسر حاجز الصمت قد باءت بالفشل.

مرت بعدها ساعات النهار جميلة للغاية حيث خرجنا معا لنتناول الغداء في الخارج.. قبل أن نعود إلى البيت في

فترة العصر.. ليطلب مني زوج أمي محادثتي على انفراد في غرفتي.. فسمحت له بالدخول.. و:

- (هبة) عزيزتي.. أعلم جيدا أنني لست والدك.. لكنك بمثابة ابنتي.. وانا أحبك كثيرا وتهمني مصلحتك.. لقد تحدثت للتو مع أمك.. وقد اتفقت معي على ضرورة استكمالك لدراستك.. أدرك جيدا أنك مررت بالكثير في حياتك دون أن نفهم السبب.. لكن هذا لا يهم الآن.. من الضروري أن تستقيم بعض الأمور وأن نفكر بالمستقبل.. فحياتك تمضي دون هدف.

أومأت برأسي بشيء من الحزن وأنا أقول:

- أعرف ذلك جيدا يا عمي.

سألني بألم:

- ألا تستطيعين أن تقوليها بعد؟!.. كلمة (أبي)؟!.

قلت متنحنحة باعتذار وحرج شديدين:

- آسفة يا أبي.

انفرجت أساريره وهو يقول:

- لا عليك يا ابنتي.. سأذهب قريبا إلى وزارة التربية لمعرفة

إجراءات إعادتك إلى المدرسة.. ستكملين تعليمك إلى أن تنهي الدراسة الثانوية.. ومن يعلم.. ربما تلتحقين بالجامعة بعد ذلك.. لا يزال هناك الكثير لإنجازه في حياتك.. أنت ما زلت صغيرة جدا.. لكن قبل كل هذا.. سأقوم بإجراءات الحجز قريبا لنسافر نحن الثلاثة إلى مكان بعيد لشحن طاقاتك وتحسين حالتك المعنوية.

سكت قليلا ليرى تأثير كلماته علي.. ثم.. وكأنه تذكر شيئا.. إذ قال فجأة مبتسما بحرج:

- بالمناسبة.. لماذا ظننت أننا مجرد محتالين انتحلا شخصية والدتك وزوجها كما كنت تقولين؟!!.

تنهدت طويلا لأقول:

- لقد.. لقد بدوتما مختلفين حين رأيتكما أول مرة بعد خروجي من المستشفى.. لم يكن هذان وجهيكما الحقيقيين!!!.. ثم إن الخادمة جاءت لتخبرني أنكما محتالان وأن هذه المرأة التي تنتحل شخصية أمي ترغب بقتلي.

رد بانزعاج واضح:

- مستحيل.. الخادمة فعلت ذلك؟!!.. هل أنت متأكدة؟!!.

قلت بألم وقد ذكرني كلامه بجنوني والثغرات الضخمة التي

تملأ عقلي:

- بصراحة لست متأكدة من شيء.. كيف أتأكد إذا كنت لست واثقة من عقلي أصلا؟!!.

ابتسم متفهما.. ليطبع بعدها قبلة على جبيني ويتركني وحيدة في غرفتي شاعرة باطمئنان كون الأمور بدأت تعود إلى طبيعتها وإن كنت لم أفهم ما حدث حتى الآن.

كان يوم آخر مر بمنتهى الهدوء والاستقرار النفسي.. حتى إنني وضعت رأسي على وسادتي في المساء مستمتعة أيما استمتاع كوني سأنام ملء عيني هذه الليلة على عكس الأيام الماضية.. لكن يبدو أن هذا كله ليس سوى مقدمة لكارثة أخرى قادمة على الطريق.. حتى بدا لي وكأن حياتي لن تستقيم أبدا!!!.

ففي أثناء نومي.. شعرت بحركة مريبة في غرفتي.. استيقظت لأجد نور غرفة المعيشة قد اقتحم المكان.. أحدهم فتح الباب.. ربما هي أمي أو زوجها.. التفت لأعرف الزائر.. لينقبض قلبي فجأة ويطير كل أثر للنوم من عيني.. فما رأيته كان شبيها بالرسم الذي ظهر لي على تلك اللوحة!!!.. نعم.. النبوءة تتحقق أمام عيني.. هناك امرأة تدخل غرفتي بهدوء وهي ممسكة بخنجر وتتجه ناحيتي ببطء.. هل

أخذت هذه المحتالة دور أمي مرة أخرى؟!!.. بكل تأكيد.. هذه ليست أمي.. ربما تسللت إلى البيت وقتلت أمي وزوجها وهي الآن ترغب بقتلي.. هل أصرخ؟!!.. احتبس الصراخ في حلقي.. لكن.. مهلا.. السكين التي خبأتها تحت وسادتي.. هذا وقتها.. يدي تبحث عنها بهلع.. المرأة تقترب لتقف عند سريري وترفع يدها الممسكة بالخنجر!!!.. أخرج السكين من تحت الوسادة وأطعنها بكل قوتي دفاعا عن نفسي.. أراها تنظر إلي باستغراب شديد وكأن هذا آخر ما توقعَته.. ثم تحاول أن تصرخ لكن صوتـها يخونها.. لتقع على الأرض والدماء تفور من معدتها وتلطـخ ثوبها.. أما أنا فرحت أصرخ وأصرخ دون توقـف!!!.

بالطبع كان لا بد لهذه الكارثة أن تحدث جلبة كافية لإيقاظ الموتى.. إذ سمعت بعدها بلحظات وقع أقدام تركض بكل قوتها وتهم بدفع باب غرفتي والضغط على زر الإضاءة.. إنه زوج أمي ينظر إلى المشهد مصدوما.. و.. الخادمة تأتي من خلفه لتملأ الدنيا صراخا.. ينظران معا إلى الجثة وبركة الدماء التي ملأت الأرض.. قلت لهما بانهيار:

- لقد كانت تريد قتلي!!!.. كانت تريد قتلي!!!.

لم يستمع زوج أمي إلي.. بل هرع مسرعا إلى الجثة يحاول

إنعاشها.. نظرت برعب إلى الجثة الملقاه.. وإذا بها جثة.. جثة أمي!!!.. نعم.. ربما توقعتم هذا.. لكنها بالنسبة لي ولعقلي المريض كانت صدمة حقيقية.. إنها أمي بالفعل.. أين ذهبت المحتالة؟!.. أين الخنجر الذي كان بيدها؟!.. كيف تبدلت الجثة؟!.. زوج أمي ينهض من مكانه ليصفعني ويهزني بقوة وهو يصرخ باكيا:

- ما الذي فعلته أيتها الحقيرة؟!.. لقد قتلت أمك.. قتلت أمك!!!.

قالها ليقع على الأرض وهو يبكي بانهيار اختلط بصراخ الخادمة التي التصقت بالباب وهي تغطي وجهها من بشاعة المشهد.. أما أنا فظللت أحدق بالجميع دون أن أنتبه إلى زوج أمي الذي خرج من الغرفة وأغلق علي الباب بالمفتاح.. أسمعه في الخارج يتحدث إلى أحدهم بصراخ عبر الهاتف.. إنه يتحدث مع رجال الشرطة ويخبرهم أن هناك جريمة قتل!!!.

لا أعرف كم مر من الوقت.. إذ تجمدت على السرير دون أن أجرؤ على الاقتراب من جثة أمي التي اصطبغت ثيابها بالدماء ولوثت سجادة غرفتي.. كان الموقف أقوى بكثير من القيام بأي ردود أفعال.. وراح عقلي -إن كان

لي عقل أصلا- يتساءل عما يحدث حولي؟!!.. لو كانت نبوءة اللوحة خاطئة فكيف تصادف دخول أمي الغرفة في نفس يوم اتضاح المشهد على اللوحة؟!.. لا يمكن أن تكون هذه صدفة!!!.. و.. لا أعرف كم مر من الوقت أثناء تساؤلاتي تلك قبل أن أفاجأ بمن يفتح الباب.. وإذ برجال الشرطة والمسعفين الذين حولوا المكان إلى خلية نحل.. ليتم اقتيادي إلى المخفر وإلى سجن الأحداث مؤقتا لصغر سني.. مع تحقيقات مطولة لا حصر لها استمرت شهورا طويلة.. ليحكم القاضي بإيداعي في مستشفى الطب النفسي 4 سنوات على أن تُعرض حالتي عليه بعد سنتين من الآن ليعرف درجة استجابتي للعلاج.

أنت تتذكر جيدا يا دكتور انهياري وبكائي المستمر غير مصدقة أنني قتلت أمي!!.. صمام الأمان الوحيد في حياتي.. ولا شك أنك تتذكر أيضا دفاعك وزملاءك الأطباء عني أمام الجميع بأنكم كنتم ترون أنني تعافيت تماما حين سمحتم لي بالخروج في المرة الأولى.. لقد كانت أياما سوداء لم يزرني فيها أحد طوال وجودي في المستشفى.. إلا أن وجودي وحيدة قد أشعرني بشيء من الراحة لابتعادي التام عن العالم الخارجي.. حتى بت أعتقد أن المرضى يموتون أحيانا

بسبب ازعاج الزوار أكثر من الأمراض نفسها!!!.. وقد تم عرضي على القاضي بالفعل بعد سنتين وبعد جلسات نفسية عديدة وعلاج بالأدوية.. ليحكم علي باستكمال المدة للتأكد من علاجي كما أوصى الأطباء النفسيون.. على أن يتم عرضي عليه مرة أخرى بعد انقضاء المدة.

نعم.. 4 سنوات كاملة قضيتها في المستشفى تخللها العلاج بالأدوية والجلسات النفسية.. ورغم أنها سنوات طويلة دخلت خلالها سن المراهقة.. إلا أنه لم يحدث فيها ما يستحق الذكر.. سوى القراءة المستمرة بإشرافك يا دكتور لقتل وقت فراغي ولتحسين قدراتي بشكل عام.. مع القصص التي كنت أسمعها من نزيلات المستشفى والتي يشيب لهولها الولدان.. قصص عن حالات اغتصاب وتفكك عائلي وكل ما يقشعر بدنك منه في هذا العالم.. حتى لأتساءل.. هل القصص التي أسمعها في المستشفى أكثر بشاعة من التي يرويها المساجين عن تجاربهم؟!.. على الأرجح نعم.. فمن نراهم في المستشفى يكونون ضحايا في أغلب الأحيان.. على عكس المساجين الذين ارتكبوا جرما معينا.

كانت فترة إقامتي في المستشفى هادئة نسبيا رغم كل

شيء.. إذ تحسنت فيها حالتي بالتدريج وببطء شديد.. وبالطبع.. كان لا بد لكل هذا أن ينتهي.. فكل شيء ينتهي في هذا العالم.. حتى العالم نفسه.. لذا جاء يوم خروجي من المستشفى بعد أن أشارت التقارير الطبية إلى استقرار حالتي النفسية والعقلية.

لقد كانت هذه السنوات في المستشفى كفيلة لتنهي أي أمل في أن أعيش حياة طبيعية.. فقد تجاوز عمري الـ 16 عاما دون أن أحقق شيئا في حياتي سوى الإقامة في مستشفى الطب النفسي وارتكاب جريمة قتل لأقرب إنسانة لي.

والمشكلة الأكبر كانت بعودتي إلى البيت.. فالظروف باتت معقدة جدا.. إنني الآن فتاة في سن المراهقة بعد أن دخلت المستشفى طفلة.. ولا يوجد مكان أذهب إليه أصلا.. إذ لن أجرؤ أبدا على زيارة أقاربي الذين لا أعرف عنهم شيئا منذ سنوات طويلة بسبب خلافاتهم القديمة مع أمي.. لا شك أنهم يكرهونني كثيرا على الأرجح بعد تلك الحادثة وأصبحت بالنسبة لهم خارج الزمان والمكان.. هل أجرب الذهاب إلى بيت أمي مرة أخرى؟!.. لقد فقدت حقي القانوني في ورث البيت.. فالقاتل لا يرث ضحيته كما أخبرتني بنفسك يا دكتور.. ولو كانت هناك فرصة للحصول

على البيت مرة أخرى فهي لن تكون إلا بمحاكمات وجلسات ستستغرق فترة طويلة.. مستندة إلى أنني ارتكبت جريمتي وأنا تحت السن القانوني ومصابة بلوثة عقلية.. لكني لست على استعداد أن أخوض حربا كهذه.. عموما فإن زيارتي للبيت تستحق المحاولة.. ربما يرأف زوج أمي بحالي.. وهو على كل حال لن يكرهني أكثر مما أكره نفسي بعد جريمتي المخيفة.. آملة أن تكون السنوات الماضية كافية لينسى ما حدث.

وبالطبع لم يكن هناك أحد على استعداد ليقلني من المستشفى بعد انتهاء فترة علاجي.. لذا تطوعت أنت يا دكتور وللمرة الثانية لتأخذني بسيارتك إلى بيت أمي الذي ما أن وصلنا إليه.. حتى انهمرت الذكريات السوداء بأكملها في عقلي فجأة.. هذا البيت الذي بت أكرهه أكثر من أي شيء في العالم.. إنه يذكرني بكل لحظات السوء التي عشتها في حياتي.. وبجريمتي!!!.

كنت أسير إلى جانبك منكسرة.. مستسلمة.. إلى أن وصلنا إلى الباب حين قمت بالضغط على زر الجرس.. لتفتح لنا الخادمة.. لا.. ليست ذاتها التي شهدت قتلي لأمي.. بل خادمة جديدة.. نحن نتحدث عن أكثر من 4 سنوات

مضت.. تنظر إلينا بتساؤل عن هويتنا.. لكني دخلت دون أن أنتظر منها الإذن.. فهي ليست صاحبة المكان.. إنه بيت أمي في النهاية حتى وإن فقدت حقي القانوني للإقامة فيه.

أدخل عبر الساحة الداخلية الصغيرة للبيت وأنت تتبعني بخطوات سريعة بناء على طلبي.. نصل معا إلى صالة البيت لأنتبه مباشرة أن اللوحة الفنية التي رسمها لي زوج أمي قد أزيلت.. واستبدلها بلوحات لمناظر طبيعية قام هو برسمها كما يبدو.. الأثاث تغير أيضا.. لكن هذا لا يهم الآن.. أنادي زوج أمي بصوت مرتفع.. أناديه وأناديه بنفاد صبر لا أفهم سببه.. وكأنني أريد أن أتجاوز صدمة النظرة الأولى بعد كل ما حدث.. لا تنسوا أنني لم أره أبدا منذ جريمتي.

دقائق قبل أن يخرج إلينا مرتديا البيجامة.. ليقول مصدوما وكأنه نسي كل ما يتعلق بشأني وقد ظهرت في حياته فجأة:

- أنت!!!.. متى خرجت من المستشفى؟!!.

قلت بأسى:

- خرجت للتو.

هل تذكر يا دكتور كيف راح ينظر إليك منتظرا منك

توضيحا.. فأخبرته أنني تجاوزت أزمتي النفسية وأنني يجب أن أكون في بيتي بعد انتهاء حكم المحكمة بالمدة التقديرية التي يجب أن أقضيها في المستشفى.. كانت لحظات صعبة بالفعل مع نظراته الحذرة التي تحدق بي بكراهية لم تخفَ عني.. أتذكر أنني قلت بانكسار:

- لقد تغير البيت كثيرا.. حتى صورتي التي رسمتها لي أزيلت.

ليرد بصرامة:

- ماذا تتوقعين بعد جريمتك النكراء؟!.. عموما هذا البيت ملكا لي الآن ولا يحق لك الإقامة فيه.. فقد كسبت حكما من المحكمة بالحصول عليه كون القاتل لا يرث ضحيته إن كنت لا تعلمين!!!.

قلت بألم:

- أدرك ذلك جيدا.. لكن.. لا يوجد مكان آخر أذهب إليه.

أتذكر أنك تحدثت معه يا دكتور وحاولت إقناعه في للسماح لي بالبقاء في بيته.. وقد تطلب الأمر وقتا قبل أن يوافق على مضض شرط أن أجد مكانا آخر خلال أسابيع

قليلة من الآن.. حتى إنني أحسست لأول مرة بشعور المتشرد الذي لا يملك مأوى.. كانت لحظات حزينة حين ودعتك كونك صمام الأمان الجديد والوحيد المتبقي لي.. شاعرة أن حياتي عبارة عن هباء!!!.. إلى درجة أنني جلست في الصالة أحدق في السقف فترة طويلة بعد خروجك.. لأفاجأ بزوج أمي وهو يقول بحزن:

- (هبة).. لا يمكن أن تلومينني على استقبالي الفاتر ورفضي لبقائك هنا بعد كل ما حدث.. إنني فنان مرهف الحس.. وقد.. وقد.. قتلت زوجتي.

قلت بقهر:

- إنها أمي قبل أن تكون زوجتك!!!.

زفر بقوة وهو يقول ببطء شديد محاولا تغيير دفة الحديث:

- لم يكن الأمر سهلا أبدا.. ربما 4 سنوات أنستني قليلا ما حدث.. خاصة أنكِ كبرتِ الآن.. عموما.. سأسمح لك بالبقاء هنا فترة من الزمن كي تقرري ما ستفعلينه في حياتك.. سأدع الخادمة تعد لك شيئا تأكلينه ثم حاولي أن تنامي بعد ذلك.

نظرت إليه ممتنة وقد شعرت باطمئنان شديد أن لقائي به لم يكن بالسوء الذي توقعته.. ليومىء برأسه بابتسامة مضطربة ويلتفت ليصعد إلى غرفته.. أما أنا فظللت في الصالة قليلا.. قبل أن أحسم أمري وأذهب إلى غرفتي ذاتها لأكتشف أنها لم تعد غرفة نوم أصلا!!!.. إنها أقرب إلى المخزن الذي تكدس فيه بعض الأثاث القديم والأجهزة الإلكترونية المهملة.. أفتح الدولاب وعقلي مشغول تماما بكراهيتي لنفسي.. لا تزال بعض ثيابي موجودة لم يمسها أحد.. لكنها لم تعد تناسب مقاسي بعد كل هذه السنوات.. أنظر إليها بأسى وألم.. أحاول أن أتجاوز تلك الأزمة النفسية متذكرة أنني لن أبقى كثيرا في هذا البيت دون أن أعرف أين ستكون وجهتي القادمة.. وإن كنت آمل أن يغير زوج أمي رأيه فيما بعد ويسمح لي بالبقاء معه.. البيت كبير وهو يقيم فيه وحيدا مع الخادمة.. يبدو أنه لم يتزوج وإلا أخبرني بذلك.. ولحسن الحظ أن الخادمة القديمة لم تبق هنا واستبدلها بأخرى جديدة لا تعرف ماضيي الأسود.. وربما هي تتساءل الآن عن هويتي ومن أين أتيت.

مر بعدها اليوم هادئا وعقلي غارقا في تلك الخواطر مع التفكير المستمر أن حياتي الآن في منتصف الطريق فلا أعرف

أين أذهب.. فالعودة إلى الدراسة باتت صعبة للغاية وأنا بهذا العمر.. والعمل صعبا أيضا كوني صغيرة ولا أحمل أي مؤهلات.. ما الحل؟!.. كان هذا التساؤل يدور في ذهني قبل أن أسمع صوت زوج أمي يناديني بلطف ويطلب مني زيارته في المرسم.. فنهضت من مكاني لأنزل إلى الطابق الأسفل وأمشي بهدوء مهيب بعد أن رأيت في هذه الدنيا ما رأيت من أهوال.. فأي عبء أقوى من أن تقتل الفتاة والدتها؟!!.. حتى لو فعلتها في نوبة جنون كما حدث معي.. المهم أنني دخلت المرسم ووجدته في حالة فوضى.. لوحات متكدسة وضعها زوج أمي على الأرض مع لوحتي الكبيرة إياها وقد أسندها إلى أحد الجدران بإهمال.. فقال مبتسما وقد لاحظ نظراتي المتسائلة:

- غيرت الديكور قليلا بعد وفاة والدتك رحمها الله.. غيرت الأثاث ونقلت لوحتك إلى هنا على أن أضع لوحات جديدة بمناظر طبيعية تغير روح البيت.. هل تذكرين لوحتك هذه؟!.. آه.. انتظري.. نسيت أن أخبرك.. لقد رسمت أمك أيضا بعد مقتلها.

قالها وهو يحمل لوحة ما.. نظرت إليها بأسى.. إنها المرة الأولى التي أرى فيها صورة أمي بعد مقتلها.. اغرورقت عيناي

بالدموع.. ليبتسم بحرج ويغمغم معتذرا:

- يا لحماقتي.. المعذرة.. إنني أحب عملي كثيرا.. فأتحدث عنه دوما دون أن أشعر.. و.. وأنسى نفسي أحيانا.

أومأت برأسي بألم.. فراح يتحدث حول أمور أخرى ويسألني عن السنوات الـ 4 التي قضيتها في المستشفى.. حيث اعتذر عن عدم زيارته لي طوال تلك المدة.. بالطبع.. من يلومه؟!!.. ثم راح يتحدث عن أنه سيمنحني مبلغا من المال لشراء ثياب جديدة لي.. فقد كنت أرتدي في المستشفى ما تجود به صدقات الناس من ثياب مستعملة.. منتهى البؤس!!!.

المهم أن حديثنا كان طويلا حميما أشعرني بأن هذا الرجل آخر ما تبقى لي في هذا العالم.. إلى أن استأذنني للذهاب إلى الحمام.. فظللت في المرسم أنظر إلى الرسوم الموجودة.. والأوراق الكثيرة التي تركها على المنضدة الكبيرة وكلها مشاريع للوحات فنية قادمة كما يبدو.. أتذكر أنني فعلت أمرا غريبا يومها.. ربما هو أهم ما بقصتي هذه!!!.. حين تصرفت بدافع الفضول فحسب وفتحت أدراج مكتبه لأعبث بأوراقه.. أحيانا نفعل أشياء لا معنى لها لكنها تغير حياتنا بصورة غير متوقعة.. تماما كما حدث معي.. أعلم أنه من غير اللائق أبدا التجسس على الآخرين والعبث

بأغراضهم الشخصية.. لكني سعيدة للغاية أنني فعلت!!!.. فقد وجدت مجموعة أوراق باللغة الإنجليزية مرمية بإهمال في أحد الأدراج.. في البداية ظننتها مشروعا للوحة فنية جديدة كوني لا أفهم تلك اللغة بطبيعة الحال.. لكن حين أمعنت النظر.. تبين أنها شيء آخر أثار فضولي إلى حد ما.. ستعرفون ما أعنيه لاحقا.. المهم أنني أغلقت أدراج مكتبه وجلست أنتظر عودته من الحمام وأنا أفكر بتلك الأوراق كونها تحتوي على رسومات توضيحية ساعدتني على فهم بعض محتواها.. ليعود زوج أمي بعد لحظات ويستكمل حديثه الذي استمعت إليه بشرود دون أن أعلق على كلامه.. هناك أمور غائبة عني أحاول أن أستجمعها.. لكن الأمر عسير للغاية على عقلي المنهك.. بل وأتساءل إن كان هناك معنى أصلا لما أفكر به!!.

ماذا حدث بعد ذلك؟!.. ذهبت ليلتها إلى السرير وأنا أفكر ببعض الأمور التي طرأت في ذهني جراء هذا الاكتشاف.. إلى أن غاب عقلي عن العالم لأنام أخيرا.. لكني استيقظت فجأة بعد فترة قصيرة دون أن أفهم السبب.. لأنتبه بعد لحظات أن أحدهم قد دخل غرفتي.. هذا واضح بسبب الإضاءة التي اقتحمت المكان فجأة.. فتحت عيني لأجد.. لا

أعرف كيف أصف هذا.. شيء غريب لم أرَ مثله في حياتي!!!..
رأيت شخصا سمينا بشكل ملحوظ.. لكنه قصير جدا أيضا..
شعره أسود طويل.. هل رأيتم من قبل قزما يملك شعرا
طويلا يمتد حتى كتفيه؟!.. لماذا ظننته رجلا وليس امرأة؟!!..
لأنه كان يحمل لحية طويلة!!!.. نعم.. وكان يمشي ناحيتي
ببطء وتخرج من أنفاسه حشرجة غريبة تخيف أشجع
الناس.. هل هذا قرد؟!!.. طوال حياتي أكره القرود.. كنت
في طفولتي أخافها جدا وأراها أبشع المخلوقات.. وما زلت
على هذا الرأي.. ربما لأنها أشبه الحيوانات بالإنسان.. لا..
هذا ليس قردا.. إنه شيء آخر لا أعرف ما هو.. طبعا الأمر
متروك لخيالكم لتعرفوا كيف صرخت وكيف قفزت من
السرير.. لكن.. تحول هذا المنظر الكابوسي فجأة إلى زوج
أمي الذي قال بارتباك:

- آسف.. آسف.. لم أكن أقصد أن أخيفك.. كنت أريد
الاطمئنان عليك فقط!!!.

كان قلبي يدق بقوة جعلني عاجزة تماما عن التحدث..
فخرج للحظة قبل أن يعود وبيده كوبا من الماء وهو يطلب
مني أن أتمالك أعصابي.. يفعل هذا وهو يقول باستغراب
شديد:

- إنه أنا.. أنا فحسب.. لماذا تتصرفين وكأنك رأيت شبحا؟!!.

قالها وقد شعرت وكأنه أصيب بمس كهربائي!!!.. نعم.. كل السنوات التي قضيتها في المستشفى لم تغير الكثير ولم تعالج شيئا كما يظن هؤلاء الأطباء الحمقى.. هكذا كنت أقول لنفسي.. وبالطبع لم أهتم بردة فعل زوج أمي بقدر قلقي على سلامتي العقلية.. يبدو أن عقلي قد تلوث إلى الأبد بعد إصابتي بمس الجن هذا ولم يعد يوجد له علاج.. لذا لم أرد على السؤال.. بل طلبت من زوج أمي بصوت متحشرج أن يخرج من غرفتي ويتركني وحدي.. وأن يقفل الباب علي لأنني لم أعد أثق بردود أفعالي.. هكذا بكل صراحة.

حاول أن يهدىء من روعي وإن بدا خائفا مني دون أن ألومه صراحة.. فصرخت به راجية أن ينفذ ما طلبته!!!.. إنني أخشى عليه وعلى الخادمة من نفسي.. فمن يدري ما الذي سأفعله بعد الذي فعلته في المرة السابقة؟!!.. لا أعرف كيف يخبرني الأطباء في كل مرة أنني سليمة عقليا وتعافيت مما حدث لي.. حتى إنني اتهمتك شخصيا يا دكتور بالحمق.. وأرجو منك المعذرة لذلك.

ظللت في غرفتي أبكي وأنتحب غير مصدقة ما أمر به في

حياتي من أهوال.. هل يعقل أن أعيش طوال هذه السنوات من عمري بين المستشفى والبيت؟!.. أي حياة هذه التي أحياها؟!.. إنني مشروع مجسد للبؤس.. فلا تعليم ولا شهادة ولا عائلة ولا عقل.. ولا أمل بأي شيء.. يعلم الله أي كارثة قادمة سأرتكبها.. و...... لا أعرف لماذا صمت عقلي في تلك اللحظة.. لا أعرف لماذا احتبست أنفاسي وشعرت وكأن ضوءا قويا شع في رأسي فجأة حين تذكرت الأوراق التي وجدتها في أحد أدراج مرسم زوج أمي قبل نومي بقليل.. يا إلهي.. الأوراق التي اكتشفتها.. لو ربطتها بما طرأ في ذهني للتو.. هل لكل هذا معنى؟!.. أنا لم أعرف عن لحظات الإلهام تلك من قبل سوى أنني قرأت عنها في الروايات أثناء وجودي في المستشفى ولم أظنها ممكنة الحدوث على الإطلاق.. خاصة لفتاة منهكة العقل مثلي.. يبدو أن الأفكار الجنونية كالأشباح.. تخرج دوما في الليل.

حسنا.. الفكرة تبدو سخيفة للوهلة الأولى.. لكنها تشرح الكثير.. غريب بالفعل حين تطرأ في ذهنك فكرة جنونية ويتضح في النهاية أنها عبقرية عندما تدرسها وتدرك جوانبها جيدا!!!.. نعم.. جميع البشر يتخذون على الأقل قرارا واحدا ذكيا في حياتهم مهما كان مستوى تعليمهم..

ربما القصص التي سمعتها من بعض نزيلات المستشفى قد أضافت لعقلي الكثير.. فأصبحت كما يتفاخر العجائز في الأفلام العربية حين يقولون إنهم تخرجوا من مدرسة الحياة لكنهم لم يكملوا تعليمهم!!.

يا إلهي.. من الغريب أنني لم أضع تلك الحقيقة في الاعتبار طوال السنوات الماضية.. لو ربطناها بالحوادث التي غيرت مجرى حياتي.. فــ.. نعم.. نعم.. نعم.. لا يمكن أن يكون هذا التسلسل بالأحداث مجرد صدف!!!.. أم أن الأمر يضاف فقط إلى خيالاتي والجنون الذي عشته في حياتي؟!!.. لا أدري!!!.

ما زلت أفكر.. وعقلي يحاول الربط بين الأحداث.. الربط منطقي للغاية.. هل هذا يعقل؟!.. يا إلهي.. هذه الفكرة المخيفة تجعلني أشعر وكأن هناك قطعا من الزجاج تخدش رأسي من الداخل وتمزقه.. لكن.. حتى لو كنت محقة.. فمن سيصدقني؟!!.

و.. حين جاء الفجر.. كانت الفكرة قد اختمرت في ذهني.. فكل الدلائل تقودني إلى هذا الاتجاه.. المشكلة أن الأمر يحتاج إلى مواجهة من نوع خاص وليست كأي مواجهة.. أتذكر أنني قررت الذهاب في الصباح إلى مستشفى الطب النفسي

دون علم زوج أمي وأثناء خروجه من البيت.. إذ استقليت سيارة تاكسي مرتدية عباءة قذرة وجدتها في المخزن بين بقايا ثياب أمي مع نقاب كي لا يتعرف أحد على هويتي.. وهناك.. كشفت عن شخصيتي لإحدى الممرضات التي تربطني بها علاقة جيدة وطلبت منها أن توفر لي منوما قوي المفعول.. ولن أخبرك باسم هذه الممرضة مهما فعلت يا دكتور.

المهم أنها وفرت لي ما طلبته منها مشكورة.. فاستخدمت المنوم ليلتها ووضعته في وجبة العشاء عالمة أن ما أفعله قد يظهر ذكاء لم أكن أظن يوما أنني أمتلكه.. أو ربما سيؤكد جنوني إلى الأبد!!.. المهم أن مفعول المنوم كان سريعا وقويا بالفعل.. إذ فوجئت بزوج أمي يخبرني بعد أقل من نصف ساعة أنه يشعر بإرهاق ونعاس شديدين وسيذهب إلى النوم.. هذا رائع.. هل ما أفعله صحيح؟!.. الطريقة الوحيدة للتأكد هي الاستمرار ولن يكون هناك بعد ذلك أي مجال للعودة.. سأحرق كل أوراقي بهذا التصرف وأضع حياتي على المحك.

أنتظر بعض الوقت والتوتر جعل جسدي بأكمله وكأنه مصاب بمس كهربائي!!!.. أفكر دون توقف إن كان استنتاجي هذا صحيحا رغم غرابته.. أو أختم على عقلي بالجنون إلى

الأبد لأعيش بعدها طوال حياتي في المستشفى!!!.

طرحت تلك التساؤلات جانبا محاولة التركيز لإتمام خطتي.. إذ أخذت لاصقا قويا كنت قد اشتريته من السوق المركزي القريب وتسللت إلى غرفة زوج أمي أثناء نومه.. لحسن الحظ الباب مفتوح ولم يقفله.. نعم.. أتحدث عن المواجهة ولا غيرها للتأكد من استنتاجي.. دقائق قليلة نفذت فيها جزءا هاما من خطتي وبحذر شديد كي لا أوقظه.. ثم.. أنرت الغرفة فجأة ورحت أهز زوج أمي بإصرار.. قبل أن يصحو بوهن بسبب تأثير المنوم وهو ينظر إلى الضوء القوي الذي اخترق عينيه.. ليسألني دون استيعاب ما يدور حوله:

- ماذا تفعلين؟!.. ما الذي يحدث هنا؟!!.

سألته بهدوء وبقسوة مصطنعة حاولت أن أجعلها واقعية:

- أعرف الخدعة الحقيرة التي تمارسها.. لقد كشفت أمرك!!!.

آثار النوم لا تزال تسيطر عليه.. ليقول بعدم فهم:

- ماذا تعنين؟!!.. ثم....

أصابه الذعر فجأة وطار النعاس تماما عن جفونه وهو

يقول:

- مهلا.. لماذا أعجز عن تحريك يديّ وقدميّ؟!.. (هبة).. هل.. هل قمت بتقييدي؟!!.

قلت بذات القسوة:

- لقد وضعت كمية كبيرة من منوم قوي المفعول في عشائك.. وقد نجح معك كما يبدو.. الآن أريد أن أفهم.. ما سر العملية التي قمت بها في (الهند) قبل زواجك من أمي؟!!.. لماذا زرعت عينين جديدتين لك؟!!.

نعم.. هذا هو الاكتشاف الذي عثرت عليه في المرسم.. أوراق تؤكد إجراء زوج أمي لعملية زراعة عينين*.. لقد عرفت ذلك من بعض الرسوم التوضيحية في تلك الأوراق مع بعض المصطلحات التي بحثت عن معناها في (الإنترنت).. هذه العملية لا معنى لها ربما للوهلة الأولى.. لكنها نبهتني إلى نقطة هامة للغاية جعلتني أربط الأحداث ببعضها وأصل إلى استنتاج غريب سنتأكد من صحته الآن.. ويبدو أن زوج أمي لم يتوقع إطلاقا ما قلته له.. إذ خرس وهو ينظر إلي

---

* لا نستطيع أن نلوم بطلة قصتنا بسبب ضعف ثقافتها.. لذا يجب أن ننوه هنا أنه لا يوجد في الواقع شيء يسمى بزراعة العين البشرية.. بل توجد زراعة للقرنية فحسب.. فعلميا غير ممكن أن يتم زراعة العين كاملة.. لأن إزالة العين من الشخص يعني قطع العصب البصري الذي يوصل الإشارات إلى الدماغ.. ولا توجد طريقة حتى الآن لإعادة إيصاله مرة أخرى.

بذعر.. فأكملت قائلة:

- كل ما قلته عن ترحيبك ببقائي في البيت هراء في هراء.. لأنك كنت تنوي على الأرجح التحكم بعقلي مرة أخرى لأرتكب جريمة ما تساعدك على التخلص مني لتعيدني إلى المستشفى لسنوات إضافية.. تماما كما فعلت سابقا.. أليس كذلك؟!!.

قال متوسلا وهو يحاول التملص من القيود دون جدوى:

- (هبة).. لماذا تفعلين بي كل هذا؟!!.. إنني لم.....

قاطعته بحزم:

- هناك أمر تخفيه عني.. أمر لا أعرفه.. لقد طرأت بذهني نقطة انتبهت لها مساء أمس بعد أن عثرت على تلك الأوراق في أحد أدراج مكتبك في المرسم.. إذ انتبهت أنني عشت طفولة طبيعية للغاية قبل زواجك من أمي ودخولك حياتنا.. والأغرب أن في كل مرة يؤكد الأطباء شفائي.. يعود إلي جنوني بعد عودتي إلى البيت مباشرة!!!.. لماذا؟!.. لقد طرحت على نفسي هذا السؤال لأنتبه إلى أمر آخر غاب عن عقلي أيضا طوال السنوات الماضية.. فكلما أحدق بتلك اللوحة التي رسمتها لي.. يصاب عقلي بالفوضى

إن صح التعبير.. لا يمكن أن يكون الأمر صدفة.. رسوماتك دائما هي الرابط لحالات الجنون التي تصيبني.. أنت تسيطر على عقلي بطريقة ما أو بأخرى.. بالمناسبة.. أنت لا تعلم أنني أحلم بك باستمرار طوال السنوات الماضية وعلى فترات متقاربة جدا.. لقد أخبرت الأطباء بذلك.. وأخبرت حتى صديقاتي نزيلات المستشفى.. لكن الجميع لم يعر الأمر اهتماما رغم تكرار تلك الأحلام.. إنني أحلم دوما أنك تجلس معي وتقوم بغرس بعض الأحداث في عقلي.. ثم فكرت أنك ربما تفعل ذلك في عالم الواقع بطريقة ما دون وعي مني.. لكنني أتذكر كل هذا في أحلامي لسبب ما.. لا يمكن أن أحلم بك بصورة مستمرة هكذا.. ولا يمكن أن تكون كل هذه الأحلام مجرد صُدف.. ثم هناك أمر آخر.. أتذكر أنك كنت دوما تكشف أفعالي قبل أمي.. أنت من كشفت وجودي في الحديقة حين كنت أحفر بحثا عن الجثث.. لقد قلت لأمي ليلتها إنك نهضت للاطمئنان علي وهو ما لم تفعله أبدا في حياتك.. حتى حين أردت سكب الزيت على رأسك.. لم تكن نائما كما ظننا.. لأن ردة فعلك بدت لي سريعة للغاية.. كنت متأهبا لدفع القدر من يدي والابتعاد عني.. بالطبع.. لا بد أن تكون مستعدا متخذا كل احتياطاتك وإلا احترقت.. وكأنك تتوقع خطواتي باستمرار..

وهذا لا يمكن أن يحدث إلا لو كنت وراء كل شيء!!!.. والآن.. أنتظر منك التوضيح.. إنني أمنحك فرصة للاعتراف.. وإلا سأستخدم هذه المطرقة!!!.

احتبست الكلمات في فمه.. واتسعت عيناه أكثر وأكثر حين انتبه إلى يدي التي تمسك بمطرقة.. ليصرخ قائلا:

- بماذا تهلوسين؟!.. أنا لم أفعل شيئا.. إنني لم....

لم يكمل عبارته.. إذ حشوت في فمه فجأة منديلا كان بحوزتي ثم أغلقت فمه باللاصق.. فعجز عن التحدث وهو يحاول التملص من قيوده ويطلق همهمات غير واضحة.. لا يوجد حل آخر.. يجب إرغامه على الكلام للتأكد من استنتاجي.. لذا أمسكت المطرقة بيد مرتجفة.. وهويت بها على إصبعه الصغير بكل قوتي.. لتدور عيناه في محجريهما ويحمر وجهه ألما.. لم يكن منظرا هينا.. فهذا أسوأ ما قد أتصور فعله يوما وأنا بكامل إرادتي!!!.. أعلم أنه تصرف حقير وقذر!!!.. لكنه لن يعترف فقط لأنني قيدته.. فقلت له بعد ذلك بأسف مشوب بالغضب وهو تناقض غريب بالفعل:

- أعلم أن الضربة موجعة.. في المرة القادمة سأكسر إصبعك الصغير.. أرجوك اعترف ولا ترغمني على فعل المزيد!!!.

لا فائدة.. ما زال يهمهم ويهز رأسه نفيا وهو يحاول التخلص من قيوده.. فهويت بالمطرقة بكل قوتي مرة أخرى وبعين دامعة لأصيب إصبعه الصغير مع إصبعين آخرين.. هل انكسر أحدهم؟!.. لا أعلم.. بالطبع ضاع صراخه بسبب اللاصق لكن وجهه احمر بوضوح حتى بدا كعرف ديك وهو يحاول أن يضرب رأسه في الوسادة من شدة الألم.. فقلت وأنا أبكي:

- هذه فرصتك الأخيرة.. سأهوي بالمطرقة على ركبتك هذه المرة إذا لم تتحدث.. تذكر جيدا.. باب غرفتك مقفول.. والخادمة لن تسمع شيئا.. وأنا لا أخشى العقاب أصلا.. إنني خريجة مستشفى الطب النفسي.. هناك دائما العذر لأفعل ما أريد!!!.

قلتها وأنا أنتقل لضرب ركبته.. عندها فقط هز رأسه برجاء.. إنه يرغب في التحدث.. هذا واضح!!!.. أزحت عن فمه الشريط اللاصق بلهفة.. وأخرجت المنديل الذي امتلأ بلعابه دون أي تقزز.. ليقول بصوت لاهث متحشرج بسبب الألم:

- سأعترف.. سأعترف.. سأخبرك بكل شيء.. لكن.. لكن أرجوك.. أريدك أن تقسمي لي أنك ستتركيني وشأني بعدها.. أرجوك.. أرجوك.

قلت له ببرود:

- لقد وعدتك بذلك.. فقط أخبرني بالحقيقة.. ستملك حينها فرصة نادرة للنجاة.. صدقني.

رد متأوها من شدة الألم:

- لا أعرف كيف استنتج عقلك كل هذا.. ولم أعلم أنك كنت تحلمين بي باستمرار طوال تلك السنوات!!!.. نعم.. أنا أعترف.. لقد تعرضت منذ زمن بعيد إلى مرض أفقدني بصري.. وهو ما كاد أن يصيبني بالجنون.. فليس من السهـل أبـدا أن يفقد الإنسان بصره.. على عكس من يولد ضريرا مثـلا.. دعك من أنني فنان وأعشق الرسم.. وهذا ما زاد من آلامـي وحزني وقتها.. لكن.. عرفت بالصدفة ذات يوم ومـن إحـدى القنـوات الإخباريـة أن هنـاك طبيبـا هنديا تمكن من اختراع جهازا دقيقا جدا تتم زراعته في عين الأعمى ليمكنه من الرؤية*.. لكن الجهاز لم يكن قد

---

* حقيقة.. ففي أول تجربة من نوعها في العالم.. أحدث العلماء ثورة في مجال البصريات حين تمكنوا من زرع شبكية إلكترونية صغيرة من أجل إعادة البصر جزئيا لمكفوف.. وذلك من خلال جهاز صغير جدا يبلغ حجمه ربع حجم طابع البريد يتم زراعته خلف شبكية العين!!.. وهذا الجهاز يحاكي الطريقة الطبيعية التي تعالج بها العين الضوء لترسل رسائل إلى المخ لتكوين الصورة.. وقد ساعد هذا مكفوفا من تمييز اللون الأسود من الأبيض ورؤية الملامح الخارجية للأشياء.. ويعتبر العلماء أن هذه بداية مشجعة لإعادة البصر للمكفوفين.. على أمل أن يتم مستقبلا معالجة العمى كاملا.. بل وقال أحد العلماء: ((سيكون الأمر شبيها بما حدث في مجال الطيران.. فالبداية كانت مع الطائرة المروحية البسيطة.. وبعدها بسنوات تم اختراع الطائرة النفاثة.. والآن انظروا إنجازات العلم في عالم الطيران.. فالعديد من الأشياء يمكن تحسينها عبر تطوير التقنيات وعبر الخبرات المكتسبة من الصناعات السابقة)).. ولا ننسى أن نذكر أن هناك أسبابا كثيرة للعجز البصري.. منها التقدم في العمر.. والحوادث.. وبعض الأمراض كداء السكري ومرض الساد (الماء الأبيض) ومرض (الغلوكوما) (الماء الأسود).

خضع لتجارب كافية بعد.. إلا أنني لم أنتظر.. بل فعلت المستحيل لأصل إلى ذلك الطبيب.. فسافرت فعليا إلى (الهند) لألتقي به.. وهناك دفعت له مبلغا فادحا ليقوم بإجراء العملية رغم خطورتها وعلى مسؤوليتي الشخصية.. إذ كنت مستعدا للمغامرة بعد أن يأست من الظلام الذي عشته سنوات بسبب ذلك المرض اللعين.. فأجريت العملية التي نجحت نجاحا باهرا لحسن الحظ.. ليعود إلي بصري.

سكت قليلا وهو يلهث.. ليكمل وهو يعض على أسنانه ألما:

- لكني فوجئت بعدها بشهور قليلة بالنتيجة.. فقد اكتشفت بالصدفة أنني اكتسبت قدرة غريبة على التنويم المغناطيسي.. بل وقمت بتنويم أكثر من شخص مغناطيسيا بالفعل وبطريقة أبهرتني شخصيا!!!.. لكن بقيت قدرتي على التنويم محدودة رغم كل شيء.. فلا يمكن أبدا إخضاع من نقوم بتنويمه مغناطيسيا على القيام بأعمال تناقض مبادئه أو مصلحته.. كأن نطلب منه ارتكاب جريمة قتل وهو ليس بقاتل مثلا.. وقد شعرت أن علي استغلال تلك المقدرة لمصلحتي.. لكن بعد إجراء الكثير من التعديلات عليها.. فرحت أدرس طريقة التنويم المغناطيسي وأفهم كيفية عمل عين المنوِّم وتأثيرها على المنوَّم .. وقد فتح لي

ذلك بحرا من المعرفة.. إلى أن توصلت أخيرا لفكرة عبقرية.. أن أستغل لوحاتي الفنية نفسها في التنويم المغناطيسي لإحداث ما أرغب به من تأثير.. فقد تمكنت من رسم العين بطريقة تنوم مغناطيسيا من يراها.. لهذا رسمت تلك اللوحة الضخمة التي تمثلك.. لتنويمك والتأثير على عقلك*.

---

* التنويم المغناطيسي (Hypnosis) حالة نفسية غامضة مضطربة غير مستقرة.. يعتبرها البعض الحالة الرابعة للإنسان بعد الحالات الـ 3 المعروفة (اليقظة -النوم- الحلم).. ويقوم الطبيب النفسي عادة بالدخول إلى العقل الباطن للمريض من خلال إخضاعه للتنويم المغناطيسي ليقوم بعلاج مشاكله النفسية وهو ما يسمى بـ(الإيحاء).. ويرى المختصون أنه ليس باستطاعة كل الناس ممارسة التنويم المغناطيسي.. فالأمر يحتاج إلى خبرة وقدرة قوية على الإيحاء قد لا تتوافر عند الكثيرين.. ويعود تاريخ التنويم المغناطيسي إلى عام 1784 حين استخدمه العالم الألماني (آنتون ميسمر) (Anton Mesmer) في علاج وتخدير مرضاه.. حيث ظن الناس في ذلك الوقت أن ما يفعله (ميسمر) نوع من السحر والشعوذة.. لذا فقد تم منعه من ممارسة أبحاثه في هذا المجال.. بل وقامت المنظمة الطبية (Medical Fraternity) آنذاك في (فيينا) بفصله وحرمانه من عضويته.. الأمر الذي أجبره على السفر إلى (فرنسا) ليمارس أبحاثه هناك بهدوء.. فجذبت طريقته في العلاج العديد من الأثرياء الذين راحوا يتوافدون على عيادته.. مما جعل الأكاديمية الفرنسية تشكل لجنة مكونة من علماء ومختصين لدراسة ما قام به (ميسمر).. وكانت نتيجة هذه الدراسات التي استمرت أكثر من 7 سنوات أن هناك بالفعل ما يسمى بـ (التنويم المغناطيسي) وهو بعيد كل البعد عن السحر والدجل والشعوذة.. وتجدر الإشارة إلى أن أول من استخدم مصطلح (التنويم المغنطيسي) كان الطبيب البريطاني (جيمس بريد) حيث ساهم في إدخاله إلى المناهج العلمية.. كما اكتشف العلماء في العصر الحديث استخدامات وتطبيقات جديدة للتنويم المغناطيسي.. منها الرجوع بالمريض إلى سن مبكرة ومعرفة أسباب اضطراباته النفسية التي تتشكل عادة في مرحلة الطفولة.. فالتنويم المغناطيسي يساعد الإنسان على تذكر أمور كثيرة في حياته قد لا يتذكرها عادة في وعيه.. اعتمادا على القاعدة التي يعرفها علماء النفس والتي تشير إلى أن الإنسان لا ينسى أبدا أي معلومة يتلقاها أو موقف يعيشه، وما يحدث فقط هو أن المعلومة تكون موجودة في جانب مظلم من ذاكرته، والتنويم المغناطيسي يقوم بإخراجها ليتذكرها الإنسان، ولا ننسى أن نذكر أن السينما قامت بتشويه العديد من المفاهيم المتعلقة بظاهرة التنويم المغناطيسي.. كأن يتم تنويم أحدهم بالقوة مثلا.. وهذا مستحيل.. فلا يمكن لأحد أن يقع تحت تأثيره إلا بكامل رضاه.. كما لا يمكن أن يقوم الشخص الواقع تحت تأثير التنويم المغناطيسي بأي أعمال تتنافى مع مبادئه.. أو يعجز أن يقوم بها في أرض الواقع.

سألته غير مصدقة:

- كيف؟!!.. كيف أحدثت بي كل هذا التأثير؟!!.

بكى فجأة بطريقة غريبة.. ليقول:

- عندما نظرتِ إلى اللوحة أول مرة.. تم تنويمك فعليا بسبب عينيك أنت.. وليس عين أحد آخر.. وهذا ما جعل تحكّمي في عقلك سهل للغاية.. إذ أصبح الأمر وكأن عقلك الباطن هو الذي يأمرك بالقيام بما أريدك أن تفعليه.. بينما كنت أنا من ألقي عليك الأوامر وأزرع في عقلك ما أريد من معلومات مغلوطة دون علم والدتك.

كان كلامه لا يصدق!!!.. فقلت بغضب وأنا ألوح بالمطرقة مهددة باستخدامها مرة أخرى:

- هل تظن أنني بهذه السذاجة لأصدق كلامك؟!.

صرخ قائلا:

- أقسم لك.. هو ما أقوله.. لقد تعلمت طريقة جديدة للتنويم المغناطيسي تجعل من يخضع له يحقق لي كل رغباتي.. أن أرسم لوحة للإنسان.. مع استغلال قدرتي على رسم عينيه بطريقة فنية تنومه مغناطيسيا مباشرة.. فيتلقى الأوامر مني لكنه يشعر أنه يتلقاها من عقله الباطن كونه

تعرض للتنويم المغناطيسي من اللوحة التي تمثله ومن عينيه نفسيهما وليس بواسطة عين شخص آخر.. وقد اكتشفت أن التحكم في عقـول الكبـار أمر بالغ الصعوبة رغم ذلك.. أما الأطفال فعقولهـم لا تزال بكرا ومن السهل نسبيا التحكم بها.

قلت مصدومة وأنا أصرخ:

- ولماذا؟!!.. لماذا فعلت كل هذا؟!!.. لقد.. لقد.. لقد جعلتني أعيش أجمل سنوات عمري في مستشفى الطب النفسي.. دمرت مستقبلي وأنهيت حياتي وأنا ما زلت طفلة.. لماذا؟!!.

رد وهو يبكي:

- أرجوك سامحيني.. أتوسل إليك.. كنت أبحث عن امـرأة مطلقـة تملك بيتـا أو مبلغا من المال أستطيـع أن أرثه منها فـي حال وفاتها.. أنت لم تسأليني أبدا عـن حالتـي المادية.. إنني أنتمي إلى أسرة عاديـة لا يملـك أفرادهـا سـوى رواتبهـم.. وتلك العملية الجراحيــة كلفتنـي كل ما أملك بعد أن استدنت مبالغ طائلة لإجرائها.. حتى وصلـت إلى مرحلـة عجزت فيها عن السداد وظننـت أنني سأدخل السجن.. لكني التقيت بوالدتـك صدفة وشعــرت

أنها ستنقذني مما أنا فيه.. أعترف أنني نسجت شباكي حولها وتزوجتها بسبب الطمع.. خاصة حين علمت أنها ورثت من أبيها هذا البيت مع مبلغ لا بأس به.. لكن كان العائق أنت.. فالاستيلاء على بيتها وأموالها مستحيل دون التخلص منك أولا ثم من والدتك.. فقمت بتنويمك مغناطيسيا من خلال اللوحة.. ومن ثم جلست معك لدقائق قليلة وزرعت في عقلك أوهاما بوجود صديقة افتراضية اسمها (سميرة).. كان عقلك مفتوحا تماما لي لأغذيه بما أريد من معلومات وأحشو فيه ما أرغب من أفكار.. وتمكنت حينها من إيهامك بكل شيء.. ففي كل مرة أتحدث فيها معك وحدي.. كنت أزرع بعض المعلومات في ذاكرتك بعد تنويمك.. وقد كنت تستمعين لأوامري كون من ينومك هو عيناك أنت من خلال تلك اللوحة كما أخبرتك.. إذ زرعت في عقلك فكرة أنك مريضة بمرض نادر يصيب العين*.. لهذا كانت عيناك تنزفان دما.. أما رعشات جسدك القوية فقد حدثت حينما زرعت في عقلك الشعور بوجود مرض

* يتحدث هنا عن (الهايمولاكريا) (Haemolacria) وهو مرض نادر بالفعل يتسبب بخروج دموع الإنسان ممزوجة بالدماء.. ليبكي دما حقيقة لا مجازا!!.. وهو مرض يحدث لأكثر من سبب.. أحيانا بسبب وجود ورم في الجهاز الدمعي للإنسان.. أو بسبب التهاب الملتحمة.

نفسي أيضا*.. كل هذا كي تموتي ببطء دون أن يثير موتك الشبهات.

كان ما يقوله لا يصدق.. حتى إنني شككت للحظة إن كان ما أسمعه جزء من نوبات جنوني ولا علاقة له بالواقع.. ثم تذكرت أنه يستطيع تنويمي في أي لحظة.. حتى وإن كان عاجزا الآن بسبب الآلام التي يمر بها والتي قد تمنعه ربما من التركيز.. لكني تجنبت النظر إليه رغم كل شيء وأنا أسأله ببرود:

- ولماذا لا تقوم بتنويمي الآن لأفعل لك ما تريد وتنجو!!.

رد بألم:

- لأن اكتشافك للحقيقة أيقظك من سلطتي على عقلك.. أستطيع أن أرى هذا في عينيك الآن.. كما أنك كبرت قليلا

---

* يتحدث هنا أيضا عن (النوبات النفسية غير الصَرعية) (Psychogenic non-epileptic seizures).. وهي اضطرابات نفسية حادة تشبه أعراضها كثيرا نوبات الصرع، لكنها من دون شحنات كهربائية.. فهناك طاقة كهربائية تنتجها خلايا الدماغ وتنتقل عبر الجهاز العصبي لتتحرك عضلاتنا كما نريد.. أما في حالة المصاب بالصرع فإن خلايا دماغ المريض تفشل في التحكم بتلك الطاقه الكهربائية لتنتج دفقات مفاجئة وعنيفة إلى الجهاز العصبي فتصيبه بارتباك شديد ونوبات تشنج حادة.. مع الرجفة العنيفة التي تصيب الجسم والتحديق إلى أبعاد أخرى دون هدف.. ويصاحب ذلك أيضا تصرفات عشوائية كارتعاش الشفاه والمضغ دون وجود طعام في الفم مع البلع المستمر للعاب وبشكل ملحوظ.. وعدم تجاوب المريض مع محيطه الخارجي.. وبقي أن نقول إن هناك أسبابا عديدة للصرع.. منها عوامل وراثية تتمثل بخلل في الجينات أو حتى بيئية كتعرض الإنسان بكثافة لأنواع من الغازات الملوثة.. ولا ننسى أن نذكر أن نسبة الانتحار في حالات المصابين بالصرع مرتفعة في جميع أنحاء العالم تقريبا بسبب الاكتئاب الشديد الذي يصاحب المرض عادة.. أما (النوبات النفسية غير الصرعية) وهي محور حديثنا في هذه القصة فأعراضها كما قلنا شبيهة جدا بأعراض الصرع لكن أسبابها نفسية بحتة وليست عضوية.

وأحتاج إلى أجواء مؤهلة أكثر من هذه للسيطرة عليك.. فكلما يكبر الإنسان.. تصعب السيطرة على عقله كما ذكرت لك.

سألته ببرود لا يتناسب أبدا مع ما علمته للتو وكأن صدمة هذا الاكتشاف سحبت كل طاقتي:

- لماذا لم تجعلني أنتحر مثلا.. أو تفعل أي شيء ينهي حياتي مباشرة.. لماذا كل هذا العذاب الذي جعلتني أمر به؟!.. ثم.. أتذكر الآن حين عدت إلى البيت في المرة الأولى بعد خروجي من المستشفى.. لقد بدت لي أمي مختلفة.. وكذلك أنت.. فمتى تمكنت من الانفراد بي والسيطرة على عقلي؟!.

رد متوسلا وهو لا يزال يتأوه من ألم ضرباتي:

- لقد كانت عملية تخريب عقلك تدريجية.. فمن الصعب تحقيق ذلك في ليلة وضحاها.. إن ما أفعله في النهاية مجرد تنويم مغناطيسي ولكن بطريقة مبتكرة جدا.. كنت أحتاج إلى استدراج عقلك على مراحل لتدميره.. أما بخصوص سؤالك الثاني.. فالواقع أنني كنت باستقبالك يومها في الصالة لكنك لا تذكرين ذلك.. فقد احتضنتك وجعلتك تنظرين إلى لوحتك بعد أن أخبرتك بحنان

مصطنع أنك أميرة بالنسبة لي حتى لو كنت قد خرجتِ للتو من مستشفى الطب النفسي.. وأن هذه اللوحة صورتك الدائمة في عقلي.. فالتفت تلقائيا لتنظري إليها.. ليتم تنويمك كما أردتِ وإخضاعك لسيطرتي.. لقد تلاعبت بعقلك حال عودتك من المستشفى في المرة الأولى تمهيدا لترينا أشخاصا مختلفين يرسمون مؤامرة وهمية لقتلك وأنك في خطر حقيقي.. لأدخل بعدها إلى المرسم منتظرا أن تخرج والدتك لتلقي عليك التحية أولا.. ثم خرجت أنا لألقي عليك التحية وكأنني ألتقي بك للمرة الأولى.. حتى زيارة الخادمة لغرفتك كانت من أجل ترسيخ فكرة أن والدتك مجرد محتالة تنوي قتلك.. بالطبع الخادمة لم تدخل غرفتك ليلتها.. بل أنا من فعلت وزرعت في عقلك التصور أنني الخادمة!!.. المشكلة أن دخولك مستشفى الطب النفسي وعلاج الأطباء والجلسات النفسية.. كل هذا يخرجك من المؤثر (اللوحة) وتأثير سيطرتي العقلية عليك بعد فترة من الزمن.. تماما كما حدث معك في المرتين السابقتين حين دخلت المستشفى وخرجتِ متعافية.

سألته غير مصدقة:

- تريد أن تقول إن (سميرة) ودموع الدم والرعشات

والتشنجات كلها من صنعك أنت بعد أن زرعتها في عقلي الباطن؟!.. لكن كيف.. كيف لم يكتشف الأطباء أي من هذا حين قاموا بفحصي؟!!.

رد بأسف:

- لأن تلك الأعراض لم تكن عضوية.. بل كانت موجودة في عقلك فقط.. لهذا جاءت نتائج فحوصاتك سليمة مما أربك كل الأطباء!!!.. والجسد يستجيب لما يخبره به العقل.. فمن يكون على يقين أنه مصاب بالسرطان مثلا ستسوء حالته الصحية كثيرا لأنه مقتنع بإصابته بالمرض.

خرست تماما أمام خسته ودناءته.. فانحدرت دموعي بحزن عميق ليقول هو بأسف:

- في البداية زرعت في رأسك فكرة وجود صديقة خيالية آملا أن يتسبب هذا بإيداعك مستشفى الطب النفسي.. لكن والدتك لم تفعل.. فانتقلت لمرحلة نوبات التشنج ودموع الدم.. لتظن والدتك أنك تعرضت لمس من الجن.. عندها عرفت أنها لن تلجأ أبدا لمستشفى الطب النفسي إلا لو تسببتِ بخطر على حياتنا.. إذ لم أكن أرغب أن أقترح ذلك على والدتك كي لا أثير شكوكها.. كنت أريد ترحيلك إلى مستشفى الطب النفسي كي يكون عقلك دوما محل

شك عند القضاء تمهيدا للاستيلاء على أملاك والدتك بعد تخلصي منها أيضا.. فجعلتك تظنين أن صديقتك الوهمية تطلب منك قتلي لأنني أشكل خطرا على حياتك وحياة والدتك.. كان هذا عندما حاولت أن تسكبي الزيت الساخن على رأسي.. بالطبع كنت مستعدا لذلك عالما أنك ستدخلين الغرفة في تلك اللحظة.. فأنت في النهاية تنفذين أوامري.. المهم أن هذه الحادثة أقنعت والدتك أخيرا بإيداعك المستشفى.. لكني فوجئت بعدها أن حالتك تتحسن وأنك تخرجين من سطوة سيطرتي العقلية بسبب العلاج النفسي الذي حصلت عليه هناك.. كما أن هناك مشكلة أخرى لم أكن قد فكرت في حل لها بعد.. التخلص من والدتك.. عندها فقط واتتني تلك الفكرة الجنونية.. أن أجعلك تتخلصين منها بنفسك دون تدخل مباشر مني!!!.. ففي هذه الحالة سأضرب عصفورين بحجر واحد.. ستموت والدتك وستفقدين حقك في الورث بنفس الوقت.. ليصبح بعدها البيت وأموالها ملكي أنا لأتحرر من كل ديوني التي لم تكن والدتك تعرف عنها أي شيء.

سألته بذهول:

- أيها الحقير.. لماذا لم تطلب من أمي المساعدة فحسب..

بدلا من كل ما فعلته بنا؟!!.

رد بأسف:

- لم أكن أرغب بالاستمرار بزواجي منها.. كنت أطمع بأموالها وبيتها فقط.. فالطلاق مثلا لن يؤدي إلى شيء.

وضعت يدي على رأسي وأنا أحدق به غير مصدقة هذه الدرجة من الدناءة.. لأقول مصدومة:

- حالات المس بالجن التي أصابتني.. دموع الدم.. التشنجات المخيفة.. الصديقة الوهمية.. الأشياء المرعبة التي رأيتها في حياتي.. ضياع أجمل سنوات عمري في المستشفيات.. كل هذا من خلال التنويم المغناطيسي وتلك اللوحة التي كانت معلقة بسلام في صالة البيت؟!!.. هل.. هل تعني أنني كنت ضحية عملية نصب طوال تلك السنوات؟!!!.

لم أنتظر إجابته.. بل تذكرت أمرا آخر.. فسألته فجأة:

- مهلا.. كيف عدت إلى رشدي في ذلك اليوم حين استيقظت في الصباح ووجدتك مع أمي ولم أر هيئتكما الأخرى كمحتالين؟!.

قال منهارا:

- لا أعرف.. ربما سمعت أو قرأت كلمة أخرجتك من سيطرتي العقلية.

شردت كثيرا وأنا أفكر في تلك الليلة حين كنت أقرأ رواية ما وشعرت بعدها براحة عقلية غير مفهومة.. هل قرأت كلمة من الرواية أخرجتني من سيطرته كما يقول؟!.. هذا هو التفسير الوحيد.

التفت لأنظر إليه متجاهلة تلك النقطة.. ليردف باكيا:

- سامحيني أرجوك يا (هبة).. سامحيني.

هذا الحقير يظن أن كلمة آسف كلمة سحرية تمحو كل شيء.. فقلت بحقد:

- أنت لست نادما أيها اللعين.. أنت تعتذر وتبكي فقط لأنك تحت رحمتي!!!!.

هز رأسه باكيا بألم:

- أنا نادم بالفعل.. أنا نادم.. أقسم لك.

يا إلهي.. هل يجب أن ألوم نفسي لأن هذا المجرم خدعني طوال سنوات عمري؟!!.. أم ربما لست ملامة.. لأنني كنت طفلة صغيرة لا تملك أي خبرة في هذا العالم.. وأنا التي ظننت أن الرعب يتعلق بالأشباح والجن فقط.. لكن يظهر

أن الرعب الحقيقي هو حين يخلع البشر أقنعتهم دون أي مراعاة للآخرين.. ويبدو أن الوحوش لا تنام تحت السرير كما كنا نظن في طفولتنا.. بل تنام في عقول الناس!!.

قلت ببرود شديد بعد هذا الصمت:

- هل تريد أن تقول إنني إذا حللت وثاقك ستعيد لي حياتي التي أخذتها مني؟!!.

قال بلهفة ورجاء:

- نعم.. نعم.. أقسم لك بأنني سأعوضك عن كل ما فات.. سأسجل البيت باسمك وسأعيد لك الورث بالكامل!!!.

رددت بذات البرود:

- حتى لو كنت حمقاء وصدقتك.. فماذا عن أمي؟!!.. هل نسيت؟!.. لقد جعلتني أقتل أمي.. هل توجد جريمة أبشع من هذه أيها اللعين؟!!.

أصيب بالذعر أمام كلمتي هذه.. و.. عندما تذكرت أمي.. اقتربت منه دون أن أنظر إلى عينيه شاعرة أنه لا يوجد أجمل من أن ترى عدوك تحت رحمتك.. خاصة أن هذا الوغد يطرق باب الشيطان بلا انقطاع.. سأجعل الشيطان يستجيب ويفتح له.. تماما كما سأفتح أنا رأسه!!!.. وإذا كان

هذا الحقير يكرهني منذ طفولتي دون سبب.. فسأمنحه السبب.. اقتربت من رأسه وهو يصرخ ويرجوني ألا أفعل ما يبدو أنني على وشك فعله.. وراح يذكرني بوعودي أنني سأطلق سراحه إذا قال الحقيقة.. لكنني لم أبالِ بكلامه.. فمنذ متى نلتزم بوعودنا تجاه المجرمين؟!!.

و.. هويت بالمطرقة على رأسه بكل قوتي!!!!!.. مرة ومرتين وثلاث شاعرة بأن الموت نفسه لا يستطيع إنقاذه مني.. ضربات متلاحقة لم تتوقف.. إلى أن بدأت صرخاته تخبو مع الدماء التي ظلت تتناثر من رأسه المهشم حتى لوثت وجهي وثيابي.. هل يعقل أن دماء هذا الحقير حمراء كدمائنا؟!.. هل القلب الأسود ينزف دماء حمراء؟!.

نعم.. لقد قتلت زوج أمي بمطرقة!!!.. هشمت رأسه دون أسف.. وتخاذلت قدماي بعدها لأقع على الأرض وأنا أنتفض غضبا.. أنتفض حقدا.. وعلى الرغم من أن هناك حدودا للثأر.. إلا أنني لم أصل إلى حدي بعد.. فغضبي لم يتوقف.. حتى إنني نهضت مرة أخرى وهشمت رأس زوج أمي -المهشم أصلا- مرة أخرى وأخرى.. ولا أذكر كم مر من الوقت حين اتصلت بالشرطة بعد أن فككت وثاق هذا المجرم وجهزت مشهدا يوحي وكأنه كان ينوي هتك

عرضي.. هذا أول ما طرأ في ذهني لإنقاذ نفسي من جريمة القتل.. فهذا العذر تحديدا سيجعل الأمور كلها تنصب في صالحي كما هو الحال دوما في كل مكان في العالم.. كيف عرفت ذلك رغم ثقافتي المحدودة؟!.. لأنني تخرجت من أهم مدرسة في العالم.. مدرسة الحياة!!.. هل نسيتم؟!.. لقد سمعت الكثير من قصص الاغتصاب التي أودت ببعض الفتيات إلى مستشفى الطب النفسي.. وأضاف هذا إلى خبرتي الكثير أيضا.

لقد كانت هناك تحقيقات كثيرة بالطبع تساءل على إثرها الشرطة عن سبب إصابات هذا الوغد البليغة في رأسه.. لكني أصريت على أنني قتلته بعد أن ضربته وأنا بحالة هستيريا فقدت فيها إحساسي بنفسي بعد تحرشه بي.. خاصة حين أخبرت الشرطة أن زوج أمي يتحرش بي منذ طفولتي.. لكني انفجرت هذه المرة وضربته على رأسه بالمطرقة التي كنت أخبئها تحت وسادتي تحسبا لقدومه.. نعم.. لقد سحبت جثته إلى غرفتي ومسحت كل آثار الدماء من غرفته.. ثم نثرت بعض دمائه على سريري لأعطي الشرطة انطباعا أنه هو من جاء إلى غرفتي للاعتداء علي.

وقد صدق رجال الشرطة قصتي.. بكل تأكيد.. فمن سيكذب فتاة هشة في الـ 16 من عمرها ويصدق رجل اتضح من التحقيقات أنه ظل مديونا بمبالغ كبيرة قبل أن يسددها من أموال أمي.. تسألون عن الخادمة؟!.. لحسن الحظ أنها لم تصعد لتعرف سبب صراخ زوج أمي الحقير.. لم تكن فضولية كالخادمة السابقة.. أو ربما لم تكن ترغب بالتورط في مشاكل هي في غنى عنها كما يفكر الأجانب دوما في مجتمعاتنا الخليجية.

وبالطبع كانت شهادتك في صالحي يا دكتور حين ذكرت أنني سليمة من الناحية العقلية بناء على تقارير المستشفى الأخيرة.. المعذرة كوني أعترف لك بجريمتي لأول مرة.. ستسألني كيف عرفت أن زوج أمي مذنب بالفعل؟!.. وكيف عرفت أنه لم يقل ما قاله تفاديا للتعذيب مثلا؟!.. حسنا.. أنا واثقة من صدق اعترافه لأنني وبكل بساطة لم أصب بأي نوبات جنون منذ مقتله.. تماما كما لم أصب بأي نوبات جنون في المستشفى أثناء وجودي طوال السنوات الماضية.. دعك من أحلامي التي كنت أراه فيها باستمرار وهو يسيطر على عقلي.. لقد توقفت تلك الأحلام أيضا.

لقد قضيت أكثر من 4 سنوات من عمري في دور الرعاية الاجتماعية لصغر سني وبعد أن رفض أقاربي استلامي.. قبل أن يتم السماح لي بالخروج أخيرا والإقامة في بيتي.. بعد أن قام أحد المسؤولين عني هناك بمساعدتي لرفع قضية واسترداد بيتي.. حيث كسبت القضية لحسن الحظ بعد شهور طويلة.. ربما يكون هذا الانتصار الوحيد الذي حققته في حياتي.

والآن.. بعد هذه القصة الكابوسية.. ما زلت أحاول أن أعيش حياتي بهدوء ولا أخرج من بيتي سوى قليلا لقضاء حاجياتي الضرورية من السوق المركزي.. فلن أخرج من الظلام لأن النور يرعبني بعد كل هذه السنوات.. ولا أنكر أنني أحاول أن أنام طوال الوقت.. ليس كسلا.. بل هروبا من العالم.. حتى بت أعيش نفس اليوم كل يوم!!!.. رغم علمي أن الوحدة مخيفة.. فهي تجعلك تتذكر كل آلامك بالإجبار.

لكن.. أحاول دوما أن أذكر نفسي أيضا أنه لا توجد مصيبة مطلقة.. بل لا بد أن تأتي معها بعض الحسنات.. لأن وجود البعض في حياتنا نعمة.. ووجود البعض الآخر دروس يجب أن نستفيد منها.. وقد استفدت من درس زوج أمي الوغد

قبل أن أتخلص منه إلى الأبد.. ولحسن الحظ أيضا أن حياتي المادية مستقرة.. إذ يكفيني تماما ورث والدتي الذي حصلت عليه بحكم القضاء.. أما بخصوص الخادمة.. فقد رحلت إلى بلدها بعد مقتل ذلك الوغد.

هذه قصتي باختصار.. مؤلمة.. حزينة.. ورغم أنهم يقولون إن الوقت يعالج كل شيء.. إلا أنهم يكذبون.. فما زلت أشعر بالألم.. وكل ما أستطيع قوله الآن إنني أفتقد أمي كثيرا.. وأبكيها ساعات طوال.. فأتمنى أن أشكو لها ما فعله الزمن بي.. وأحاول باستمرار أن أجعل ما مررت به دافعا لأنهض.. فربما أكمل دراستي قريبا.. وربما أحصل على وظيفة بعدها.. نعم.. فما زلت صغيرة.. وهناك سنوات طويلة أمامي لا أريد أن أعيشها بهذه الطريقة.. بعد أن دمر ذلك المجرم حياتي وتسبب بتلك الفوضى.. في عقلي!!!.

الخاتمة

كان من العسير بالفعل أن نلتزم جميعنا الصمت المطلق أثناء سردنا للقصص كوننا اتفقنا على أن نترك التعليق في الختام.. لذا ظلت ملامحنا تتحدث طوال الساعات الماضية وتعبر عما في داخلنا.. فقد اغرورقت العيون بالدموع أثناء سرد بعض الأحداث.. وتعالت الشهقات أحيانا أخرى.. وربما علت وجوهنا الابتسامة بين الحين والآخر.. بالطبع.. فلا يمكن أن تستمع إلى تلك القصص كالإنسان الآلي أو جهاز التسجيل.. خاصة مع عمق أحداثها وغرابتها.. و.. الآن.. بعد أن انتهينا.. شعرت أن من واجبي أن أقول شيئا وأقطع حاجز الصمت الذي ساد المكان من رهبة ما سمعناه.. تنحنحت لأقول:

- لقد كنا جميعا نحتاج يوما بعيدا تماما عن الواقع.. بعيدا عن الناس.. بعيدا حتى عن أفكارنا.. ومكانا نستطيع أن نبصق فيه أفكارنا كما نبصق السموم التي نمتصها من دم من لدغته أفعى!!!.. وهذا ما فعلته اليوم.. وأنا لن أوجه لكَنّ أي نصائح بعد كل ما سمعته.. فأحيانا لا نريد

النصيحة.. بل نريد أن يستمع إلينا أحدهم فحسب. قالت (مشاعل) بصدق:

- لكننا نريد رأيك في قصصنا يا دكتور رغم كل شيء.. هذا يهمنا كثيرا.

قلت وأنا أمرر أصابعي بين خصلات شعري وأعدل نظارتي:

- لا أستطيع الادعاء أن قصصكم صدمتني.. فقد باتت الصدمات جزءا من حياتي.. المعذرة.. لا أقصد التقليل أبدا من التجارب التي مررتن بها.. لكني أتحدث عن تجاربي الشخصية وما رأيته في هذه الدنيا من غرائب والتي جعلت الاستماع إلى المزيد منها أمرا لا يدعو للدهشة.. تماما كالفارق بين من يرى الثعبان للمرة الأولى ومن يعيش بين الثعابين طوال حياته واعتاد فحيحها.. ههه.. عفوا.. هذا لا يعني أنكن ثعابين بالطبع.. هذا التشبيه للقصص التي سمعتها فقط.. وعموما فإن الإنسان لن يفهم آلام الآخرين إلا إذا حدثت له شخصيا.

قالت (هبة) بحزن:

- أتذكر يا دكتور كلامك لي في المستشفى حين كنت تقول باستمرار إن الصدمات التي عشتها في حياتي ليست

استثنائية.. فهناك فتيات عشن أضعافها ورأين من المآسي ما يشيب لهوله الولدان.. بل وأذكر أيضا القصص التي سمعتها على لسان بعض نزيلات المستشفى.. لقد استفدت كثيرا من تجاربهن لأخرج من قصتي هذه على قيد الحياة وأتخلص من زوج أمي.. لكن رغم كل شيء.. فإن تجربتي كانت كابوسية.

قلت بأسف:

- بالطبع.. لقد دمر زوج والدتك الحقير حياتك بالكامل.. وأنا لا ألومك أبدا على قتله.. أقولها بكل صدق.. وتستطيعين الوثوق بي بالمناسبة.. فلن يخرج الكلام الذي سمعته منك عن هذه الشقة.. وهذا ينطبق على (مشاعل) و(روان) بكل تأكيد.

همهمت (مشاعل) و(روان) بكلمات صادقة مؤيدة لكلامي.. ثم التفت إلى (روان) وأنا أردف متفهما:

- أحترم ارتداءك للنقاب وإخفاء هويتك عنا.. ربما كنت الفائزة الوحيدة في القصص التي سمعتها منكن اليوم.. لا أستطيع أن أتحدث عن الجانب الأخلاقي للأمر.. أنت تعرفين الصواب من الخطأ.. وطالما كانت سرقتك من تاجر مخدرات فإن الأمر لا يثير غضبي كثيرا صراحة.

ردت بهدوء:

- هذا ما كنت أقوله لنفسي.. لكن يبقى مؤلما بالطبع أن أكتشف أن زوجي كان يخدعني ويتاجر بالمخدرات.. فهذه خيانة بالنسبة لي.. كما لا أنسى أبدا خيانة صديقة عمري بنفس الوقت.. لذا لم أعد أثق بأحد في هذا العالم.

قالت (مشاعل) بسخرية مريرة:

- ما الذي سأقوله أنا عن خيانة زوجي حتى بعد موته!!!.. فبغض النظر عن الموت ومسمياته.. أشعر أن هناك من طعن قلبي ولا يزال ينزف ألما بسببه.. كما أن مسألة اختفاء زوجي بالنسبة للجميع تجعلني معلقة الآن.. فلست متزوجة ولا مطلقة.. وسأحاول بعد مدة الحصول على طلاق غيابي من المحكمة.. لن يتوقع أحد في العالم أن زوجي مركونا في ثلاجة مع حبيبته حيث يعيشان معا (أعراض لازاروس) في عالمهما الآخر بشقة صغيرة.. هذا الكلام ضرب من الجنون.. لكني لن أنسى ما فعله بي.. فالفتاة لا تنسى الخيانة أبدا.. إنها تضعها في أرشيف عقلها لتبقى هناك إلى الأبد.

سكتنا للحظة أمام كلامها هذا.. لتكمل قائلة:

- مذهل هذا الكم الهائل من الهموم التي قد نخفيها عن الناس من خلال رسم ابتسامة بسيطة.. فالابتسامة لا تعني دوما أنك سعيدا.. بل قد تعني أنك قويا أيضا.. وأنا في الواقع لا أظن أننا سنجد السعادة عند البشر.. فجميعهم يبحثون عنها.

زفرت بعمق لأقول:

- بالفعل.. إننا نرتدي أقنعة لوقت طويل جدا إلى درجة أننا ننسى من يعيش خلفها.. ويبدو أنه سيمر علينا زمن إذا لم يكن لدى الإنسان طبيب نفسي يزوره باستمرار فسيظنه الناس مجنونا!!!.. مفارقة طريفة ومؤلمة بنفس الوقت.. أعترف يا (مشاعل) أن قصتك غريبة للغاية.. ربما هي أغرب قصص هذه الليلة.. وإن كنت أظن أن أصعبها وأقساها هي قصة (هبة).. عموما.. تستطيع كل منكن أن تعيش حياتها الآن مهما كانت التضحيات في الماضي.. فالماضي يشكل شخصياتنا نعم.. لكن لا يعرفنا إلى العالم سوى حاضرنا.. لنحرص جميعا على أن نؤسس حاضرا جميلا.

سألتني (هبة) بابتسامة:

- متى سنسمع خبر زواجك يا دكتور؟!.. المعذرة لتغيير الموضوع.. لكن طرأ ذلك السؤال في ذهني فجأة؟!.

قلت وأنا أتنهد:

- دائما أتحدث عن الحب لكني لا أعيشه.. ولا أعرف متى سأعيشه.. عندها ربما سأفكر بالزواج.

قالت (مشاعل) مبتسمة:

- آمل أنك لم تشعر بالملل من مشاكلنا!!.

قلت بصدق:

- كل شخص نلتقي به في حياتنا.. لا بد وأن يعرف شيئا نجهله.. تأكدي من ذلك.. إن الجلوس أمام فتيات مثلكن هو ما صنع ثقافتي.. فقد استمعت اليوم إلى قصة من عالم ما وراء الطبيعة.. وقصة بوليسية.. وقصة رعب.. ربما هذا أفضل تصنيف ممكن لتجاربكن.

ردت (روان) بأسف:

- لا ننكر هذه الحقيقة.. فهذا عملك في نهاية الأمر ونحن مجرد حالات غريبة بالنسبة لك.

ابتسمت بأسى لأرد:

- صدقيني.. لم أعامل أي مريض نفسي على أنه مجرد حالة تستوجب العلاج.. وربما هذا ما وضعني في مآزق

كثيرة كادت أن تكلفني حياتي نفسها!!!.

ساد المكان صمت جميل.. لم أسمع يوما صمتا بهذه الفصاحة الرائعة!!!.. مما جعلني أشعر باقتراب تلك اللحظات الحزينة حين تنتهي من أمسية ساحرة كهذه ولا تعرف ما الذي ستفعله في حياتك بعدها.. لكنها الحياة.. كل شيء لا بد وأن ينتهي مع الأسف.. ونحن عموما لا نعرف أبدا روعة وجمال اللحظة إلا حين تصبح ذكرى.

نهضت بعدها من مكاني كوني الرجل الوحيد بين الفتيات.. ومن اللائق أن أنهض أنا أولا استعدادا للرحيل.. أنظر إلى الساعة لأجدها تتجاوز الواحدة فجرا بقليل.. وحالما نهضت.. قالت (مشاعل) بأسف:

- لا نرغب برحيلك.. لكني أتفهم أن الوقت متأخر.. أتمنى ألا تنسانا يا دكتور.. وإن كان الأمر لا يضايقك.. نتمنى ألا تمانع اتصالنا بك بين الحين والآخر.. على الأقل لنطمئن أنك موجود دوما معنا.

أومأت برأسي موافقا مبتسما.. وطلبت منهن بصدق أن يقمن بزيارتي في المستشفى متى ما سمح وقتهن بذلك.. لتنهض كل منهن وتصافحني بحرارة.. يبدو أنهن سيبقين معا بعض الوقت بعد رحيلي.. أتساءل ما الذي ستقوله كل

منهن عني في غيابي.. سيبقى هذا التساؤل دون إجابة.. إنهن مجموعة من الفتيات لديهن المزيد مما يردن قوله لبعضهن على الأرجح بعد خروجي.. أنا فقط الدخيل بينهن.. لقد جئت إلى هنا للاستماع فقط وإبداء رأيي بما أسمعه.. أعتقد أنني فعلت ما يتوجب علي فعله.

ارتديت معطفي الثقيل ووضعت اللفة حول رقبتي.. ثم ارتديت حذائي.. قبل أن ألقي عليهن التحية للمرة الأخيرة وأخرج بعدها متجها إلى سيارتي حيث عم السكون شوارع المنطقة إلى حد كبير في هذا الوقت المتأخر.. أنكمش في معطفي من شدة البرد.. وأقود سيارتي بحزن عميق لم أفهم سببه.. مع الشعور بأنني أنتمي إلى عالم آخر شديد الهدوء بعيدا عن عالمنا هذا.. أفكر بالساعات الحميمة التي قضيتها مع هؤلاء الفتيات آملا أن ألتقي بهن مرة أخرى.. أفكر بحياتي وكيف ارتبطت بالإنسان وأسراره.. وأفكر أيضا بالمسؤولية الملقاه على عاتقي.. مسؤولية كتابة أحداث تلك التجربة لقرائي الأعزاء.. لتتشكل الكلمات وتمنحكم في النهاية جزءا رابعا من تلك الحالات التي غيرت ملامح حياتي بأكملها.. حالات نادرة!!!.

الفهرس

قبل بدء الليلة الموعودة 05

النوع الثالث 17

حكاية مليون دينار 81

فوضى في عقلي 149

خاتمة 233



إصدارات المؤلف:

1) وراء الباب المغلق (2000)
2) خلف أسوار العلم (2002)
3) الأبعاد المجهولة (2004)
4) الأبعاد المجهولة 2 (2006)
5) في الجانب المظلم (2008)
6) حكايات من العالم الآخر (2008)
7) 17 (2008)
8) زيارات ليلية (2009)
9) رسائل الخوف (2010)
10) بعد منتصف الليل (2012)
11) منطقة الغموض (2012)
12) حالات نادرة (2012)
13) حالات نادرة 2 (2013)
14) حالات نادرة 3 (2014)
15) الأبعاد المجهولة 3 (2014)
16) متحف الأرواح (2015)
17) حالات نادرة 4 (2016)
18) قصص.. لا يسمحون لي بنشرها (2017)
19) مخطوطات مدفونة (2018)
20) ملاذ (2018)
21) المُعقَّد (2019)
22) حالات نادرة 5 (2020)
23) جرعة زائدة (2020)

للتواصل مع المؤلف

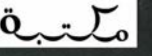
Email : **kuwaiti27@hotmail.com**

Twitter : **@Abdul_Alrifaee**

Instagram : **abdul_alrifaee**

Snapchat : **alrifaee**

Youtube : **www.youtube.com/aalsayed1973**





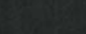
حالات نادرة (4)

أعرف أن عنوان الكتاب مألوفا لديكم.. نعم.. أنا الطبيب النفسي ذاته الذي سردت لكم سابقا أغرب القصص والحالات التي مرت علي في مستشفى الطب النفسي في 3 أجزاء سابقة حملت اسم (حالات نادرة).. لتصلني العديد من الرسائل يطلب فيها القراء سرد المزيد.. وقد وجدت الفرصة على طبق من ذهب حين جلست مع 3 فتيات في ليلة هادئة لا تنسى أبدا.. وبمكان تستطيع كل منهن أن تبصق فيه أفكارها كما نبصق السموم التي نمتصها ممن لدغته أفعى!!!.. وهذا ما فعلته كل منهن في تلك الليلة.. خاصة مع أضواء الشموع المتراقصة والأجواء الغامضة التي تشعرك أنك ترتاد أدغال النفس المظلمة!!.

إنها قصص تكتب بين النجوم ولا مكان لها على الأرض.. فهي تتحدث عن الأشياء التي لا يقولها الناس ويخفونها عنا.. حتى لتشعر أن العالم الذي يعيشه الآخرون مزيف.. بينما عالمنا في تلك الأمسية هو الحقيقي.. مما يجعلني أظن أنه سيمر علينا زمن إذا لم يكن لدى الإنسان طبيب نفسي يزوره باستمرار.. فسيظنه الناس مجنونا!!!.

والآن نرجوكم الصمت.. حيث سندخل عالما غريبا من المشاكل والشخصيات التي ملأت قصصها حياتي بالكوابيس.. قصص من الحالات النادرة.. بجزئها الرابع.

@Abdul_Alrifaee abdul_alrifaee alrifaee






ISBN 978-99966-47-99-4

www.novapluskw.com @novakw